من الشرق والغرب
نافذة على الفكر العالمي المعاصر

شاطئ الأحلام

أسرار من الصحراء الغربية



بقلم
رفعت الجوهري

من الشرق والغرب

شاطئ الأحلام

أسرار من الصحراء الغربيّة

بقلم اللواء

رفعت الجوهري

أهم المشاهدات في شاطئ الأحلام وأسرار من الصحراء الغربية:

مدائن وآثار في الصحراء — مرسى مطروح — برج العرب — الضبعة — السلوم — صيد الإسفنج .

قبائل أولاد على الأحمر والأبيض .

شريعة الصحراء عادات وتقاليد بين البدو . حروب ومعارك .

شعوب منسية في مجاهل الصحراء .

واحات بين غرود وكثبان الرمال — سيوة — والبحرية .

الرمال الذهبية تطوى في جنباتها جيوش الفرس المغيرة منذ آلاف السنين .

بحر الرمال والواحات المجهولة .

وادى النطرون ومنخفض القطارة .

معركة العلمين .

السنوسيون .

تقديم الكتاب

****

شاءت ثورتنا البناءة أن تمتد سياستها الإنشائية والإصلاحية الضخمة حتى أعماق صحراواتنا ، وقد اعتزمت الثورة أن تغزو على مر الوقت بالمشروعات العمرانية المدروسة قفرها وجدبها وعزلتها الموحشة لتحيلها قطعة نابضة بالحياة والنماء والإنتاج ، وقطعة من قلب وطننا العربى العزيز الذى ودع حياة ضعيفة منكمشة ليستقبل حياة قوية عزيزة تتحرك فى كل الاتجاهات .

والصحراء على أهميتها الاستراتيجية لها أهميتها الاقتصادية أيضاً إذ هى تحفل بالطاقات والقوى الكافية التى تنتظر الاستثمار والاستغلال بقوة العلم الحديث . هذا المجتمع الذى نبنيه بسواعدنا الفتية وعقولنا الواعية وجهودنا المخلصة ، ومن البديهى أن نهتم اهتماماً جدياً بصحراواتنا ، وتعمل الثورة جاهدة بسياسة تعميرية مثمرة ويجب أن تلم إلماماً كافياً بهذه الصحارى وساكنيها وبعاداتهم وتقاليدهم التى هى فى الواقع جزء لايتجزأ من حياتهم بل من كيانهم النفسى والعقلى .

وفى هذا الكتاب « شاطىء الأحلام » تعريف عن نواح كانت مجهولة لكثيرين وأشبه بعملية مسح عام من نواح كثيرة تاريخية وجغرافية وثقافية واجتماعية ومحاولة لاكتشاف عالم الصحراء الغامض .

إن عهداً جديداً من العمل الصالح البناء يسود الآن مناطق الصحراء وأجدر بالمواطنين أن يعرفوا بلادهم ويشاهدوا ما أقامته الثورة من جهود ومشروعات للتعمير وأن يجولوا فى ربوع الصحراء ويتمتعوا بجوها ومناظرها الخلابة ويتصلوا بإخوانهم المواطنين من البدو وأهالى البلاد لإفساد ما وضعته السياسة البريطانية فى الشرق العربى كما قال الأستاذ محمد حسنين هيكل (إن السياسة البريطانية فى الشرق العربى حاولت دائماً أن تضع فرقة بين الريف والمدينة وبين الصحراء والقرية وبين البدو والحضر وبين القبائل والمتعلمين) .

وفضلا عن ذلك فقد كتبت فى أحد فصول هذا الكتاب عن البدو وقبائلهم المقيمين بالصحراء الغربية وعاداتهم وتقاليدهم وذلك للمساهمة فى رسالة الإيمان بالأمة العربية والقومية العربية . سائلين الله أن يوفق رئيسنا جمال عبد الناصر فيما يبذله من جهاد يبعث الماضى وينير السبيل للمستقبل السعيد ، ويسدد خطاه فيما يضطلع به من عبء توجيه هذه الأمـــة نحو غايتها المشتركة بإذن الله ، والله ولى التوفيق ؟

لواء

رفعت الجوهرى

الباب الأول

:*****************:

١ — تمهيد

****

الرواد من العرب :

كان للعرب من قبل رواد أوائل كالمقريزى والمسعودى واليعقوبى وأبى الفداء وغيرهم وكان لهم شرف الأولوية فى ارتياد الصحارى والسياحة بمجاهلها مستهدفين لأخطارها فى وقت لم يعرف عنها غيرهم إلا النزر اليسير .

عظمة الصحراء :

وكانت هذه الصحارى ولا تزال حجابا مقفلا وسراً مجهولا مهما قال عنها العارفون ، فللصحراء هدوؤها وللرمال المنبسطة سكونها ولتلك الجبال الشامخة عظمتها ولهذه الصخور الجرانيتية تعدد ألوانها من حمراء قانية إلى زرقاء صافية ومن صفاء سمائها ولمعة نجومها وضيائها خلال لياليها الساحرة . ثم من جفاف هوائها وطلاقته ومن اتساع أراضيها وفراغها ومن سكينة القفار وهدوئها كل هذه العوامل تلفت نظر المسافر وتخلب لب الرواد وتجذبه نحو ارتيادها وتشوق الإنسان إلى إذلال هذه الطبيعة فيشعر من نفسه بانبساط وارتياح لا يشعر بهما فى حياة المدن .

الصحراوات المصرية :

فالذين يخرجون إلى صحراء الأهرام أو ضاحية مصر الجديدة فى نزهة خلوية لا يسير بهم الظن إلى أن هذه هى الصحراء المقصودة فإن هذه الأماكن القريبة لا تعطى فكرة صحيحة عن الصحراء وتأثيرها المعنوى .

وليس الموجود ببلادنا من الصحارى الحقيقية ، الصحارى بمعناها المفهوم

فكلمة صحراء تطلق على تلك القفار الممتدة ذات المساحات الواسعة وكثبان الرمال الخالية من الماء والنبات كالصحراء الكبرى وصحراء جوبى . وإنما صحراواتنا فى الواقع أبعد بكثير من ذلك . فالآبار فيها كثيرة متقاربة والواحات بها متعددة يانعة تحبب إلى الإنسان ارتيادها والتمتع بمناظرها بشوق مهما يكلفه الشوق من مشقة وعناء .

البدو :

أما ساكنوها من البدو وما فطروا عليه من البساطة فى المعيشة والسهولة فهذا التعبير يعطينا فكرة حقيقية عن حالة هؤلاء القوم ويصور لنا سر عظمة وبساطة حكمهم وسلامة شرائعهم كما يفسر لنا ذكاءهم وبعد نظرهم فى معرفة النجوم واتجاهاتها وهبوب الرياح وعلاماتها وأوقاتها مما يجعلهم سادة هذه الصحراء وأدلتها ، ولم أقصر كتاباتى على استعراض الطرق الصحراوية فقط ولكن رأيت أن أقرنها بتاريخ مختصر لما يمر به المسافر لزيادة الاطلاع والمعرفة .

قيادة السيارات فى الصحراء :

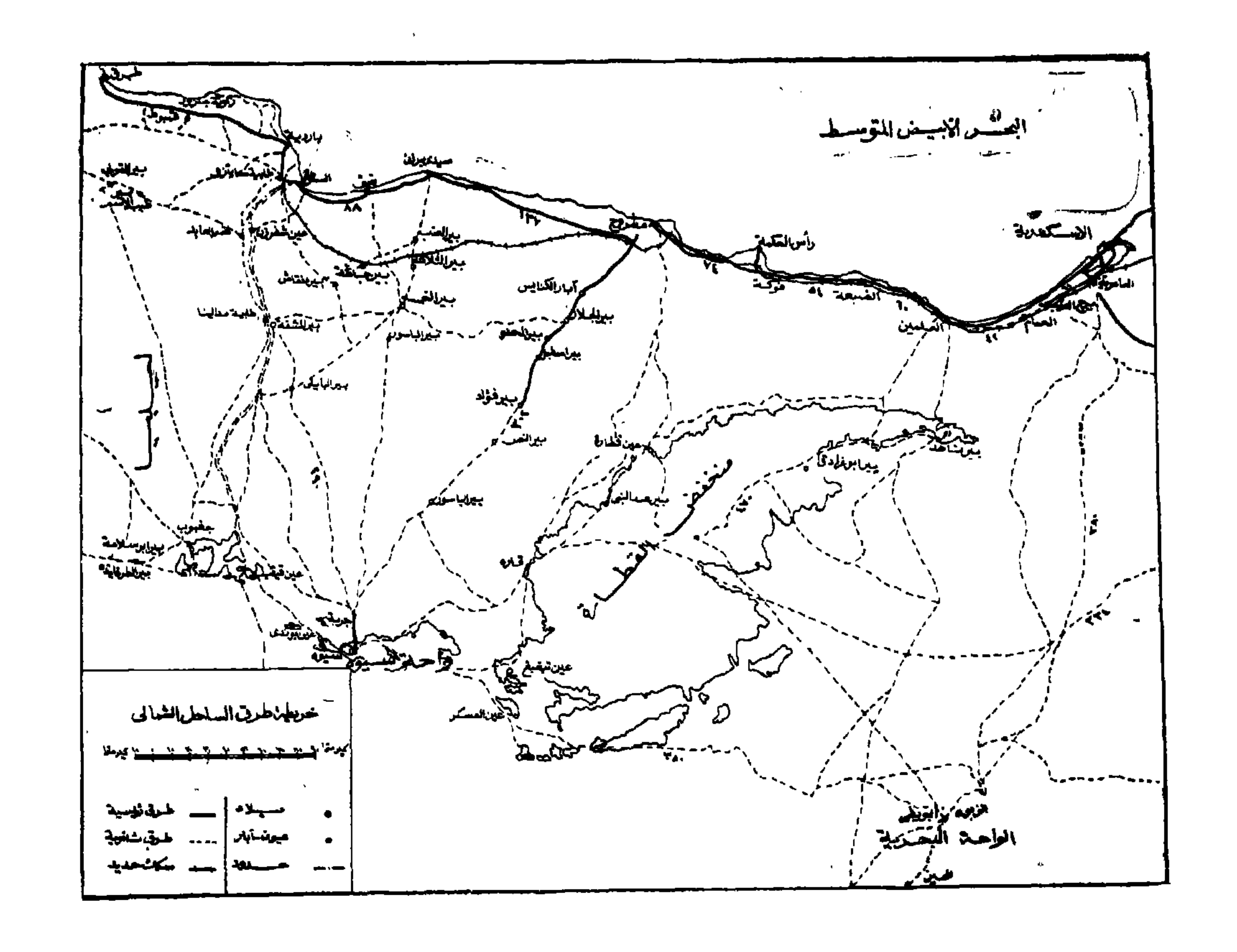
وقد كان الناس يعولون فى الماضى على اجتياز الصحراء بالجمل وهو مركب الصحراء لطبيعته وتكوينه فى القدرة على احتمال العطش ومشقة السير ولا يزال استخدامه ضروريا فى بعض بقاع تلك الصحارى . فلما شاع استعمال السيارات ازداد افتتان الناس بارتياد الصحراء .

ومن سنين قلائل مضت قبل أن تبلغ صناعة السيارات هذا الحد من الإتقان كان استعمال السيارات فى رحلات الصحراء من الأمور الصعبة التى تحتاج إلى تكاليف باهظة وعناية خاصة مثل وجود ميكانيكى وقطع للغيار يرافقان القافلة .

الطرق :

أما فى الوقت الحاضر فإن ما تبذله الحكومة ومصلحة الطرق بخاصة من التحسينات المستمرة فى تهذيب طرق الصحراء وتمهيدها وشقها وتعديلها وما يقوم به

نادى السيارات من إقامة علامات الطرق وتحديد اتجاهاتها وملفاتها فى وسط مجاهل هذه الصحارى جعلت السير والسياحة فيها أمرا سهلا وفى متناول كل فرد له إلمام بسيط بالاصطلاحات الضرورية كما أنه قد صار فى الإمكان السير بأى نوع من السيارات ما عدا بعض الأماكن المحدودة حيث يستحسن استعمال الأنواع الخاصة من الإطارات المطاطة (بالون) على أن قيادة السيارات بالصحراء لها من المزايا واللذة ما ينسى المرء التعب ومن المناظر الساحرة والهدوء ما لا يجده المسافر فى أثناء سيره بالمدن العادية .



خريطة طرق الساحل الشمالى
البحر الأبيض المتوسط
الإسكندرية
رأس الحكمة
فوكة
الضبعة
العلمين
الحمام
مطروح
آبار الكنايس
بير فؤاد
منخفض القطارة
قارة
عين المسكر
واحة سيوه
جغبوب
الواحة البحرية
بلاد
عيون وآبار
حدود
طرق رئيسية
سكك حديد

٢ ـ ها هى ذى الصحراء

****

معلومات عامة عن الصحراء الغربية

معلومات عامة عن الصحراء الغربية — اختلاف المناظر — حدود صحراء ليبيا — الصحراء الغربية — التقسيم الجغرافى للصحراء الغربية — المنطقة الجنوبية من الصحراء الغربية (الواحات) — تاريخ الواحات — ينابيع المياه بالواحات — غرود الرمال المتنقلة — السكان — الزراعة — الحيوانات — الدليل البدوى — الحالة العامة — محافظة الصحراء الغربية

اختلاف المناظر :

من المدهش حقا أن يرى المسافر ذلك التباين العجيب بين تلك المروج النضرة التى تحيط بوادى النيل وبين هذه الصحارى المقفرة التى تحده من الجانبين .

إن قارات العالم لتنتشر فيها الصحارى الشاسعة المجهولة والأراضى المقفرة كآسيا واستراليا وغرب أمريكا . ولـكنك لن تجد فى مختلف بقاع العالم ما يعادل صحراء ليبيا فى صمتها ووحشتها وفقرها العجيب من الحيوان والنبات وحالة الجدب الغريبة التى تطغى على فجاجها المترامية الأطراف . وليس من الضرورى أن ترتادها لمسافات طويلة لتدرك هذه الحقيقة فإن خطوات قليلة بين رمالها اللينة الذهبية لتنقل الإنسان من المروج النضرة والأرض الخضراء اليانعة الغنية بطمى النيل السعيد إلى هضاب متسعة مقفرة تـكتنفها الرمال والصخور على مدى البصر .

حدود صحراء ليبيا :

ومن المعلوم جغرافيا أن صحراء ليبيا تتكون من القسم الشرقى للصحراء المعروفة باسم « صحراء إفريقية الكبرى » أما حدودها شمالا فتصل إلى البحر الأبيض المتوسط وشرقا إلى وادى النيل وجنوبا إلى السودان على حين يحدها من الغرب إقليم طرابلس الغرب على امتداد واحات جالو والكفرةوالعوينات .

وتبلغ مساحة هذه الصحراء حوالى ٨٥٠,٠٠٠ ميل مربع أو سبعة أمثال الجزر البريطانية .

الصحراء الغربية :

أما القسم الشمالى (البحرى) من صحراء ليبيا فيسمى بالصحراء الغربية أو محافظة الصحراء الغربية ومركزها مرسى مطروح وتشمل هذه الصحراء كل الجهات الواقعة غربى النيل من الاسكندرية ومحافظات البحيرة وبنى سويف والمنيا وسوهاج شرقا إلى السلوم وحدود طرابلس غربا . ثم من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى خط عرض ٢٦,٣٠ درجة جنوبا وتتبعها واحات سيوة والبحرية والفرافرة .

على أن معظم هذا الإقليم صحراء قاحلة جرداء اللهم إلا المنطقة القريبة من ساحل البحر الأبيض والتى تزرع على الأمطار وبعض الآبار القليلة الممتدة على الساحل أو القريبة منه وكذلك الواحات التى سبق ذكرها .

التقسيم الجغرافى للصحراء الغربية :

ويمكن تقسيم هذه الصحراء جغرافيا إلى ثلاث مناطق :

١ — المنطقة الساحلية : وهى عبارة عن الشريط الأخضر الذى يطوق ساحل البحر الأبيض المتوسط ويشمل الأراضى المتاوجةالتى تتخللها الخضرة والقواقع وهو أكثر الأقسام عمرانا وازدحاما بالسكان .

٢ — المنطقة الوسطى : وتشمل هضبة ليبيا والجرف الكبير ومنخفض

القطارة، وأراضيه هضبات وأراضى منخفضة ذات تربة خشنة وعرة تتخللها أحيانا الجروف والأخاديد البارزة المدبية ذات الأحجار الجرانيتية والبلور .

٣ — المنطقة الجنوبية : وتشمل الواحات وهى مجموعة متناثرة قائمة على أراض عميقة وسيأتى الكلام على هذه المناطق تفصيليا فى فصول أخرى .

المنطقة الجنوبية من الصحراء (الواحات) :

ولقد من الله على الجزء الجنوبى الأجدب من هذه الصحراء وعوضه خيراً عن الأمطار بعدد من الواحات المنتشرة فيه ذات التربة الخصبة والمياه الغزيرة ويسكنها بصفة دائمة قوم من البشر وشعب آخر ليس من سلالة الأعراب يستسقون مياه ينابيعها المتفجرة من مجارى دائمة تحت سطح الأرض .

ويقال إن لفظة (واحة) كلة مصرية قديمة ترجمتها (مكان للراحة) أما تعريفها فهى بقعة من الأرض الخصبة فى وسط الصحراء . وكل واحة تعرف غالباً باسم العين أو البئر التى تمدها بالمياه وفى الصحراء الغربية تقع مجموعة واحات سيوة وتشمل سيوة والزيتون وقوريشت والأغورمى وخميسة وأبو الشروف واللبج والمراغى .

ثم مجموعة الواحات البحرية وتشمل البحرية والفرافرة وسيأتى الكلام عن هذه الواحات تفصيليا .

تاريخ الواحات :

أما عن تاريخ هذه الواحات فالمعلوم منه قليل غير مشبع . ولكن هناك آثار كثيرة ومعابد ومسلات تاريخية ومدائن قديمة متناثرة اكتشف بعضها ولا يزال بعضها الآخر فى انتظار علماء الآثار للكشف عنه وتحديد علاقته قديماً بوادى النيل .

ينابيع المياه بالواحات :

وقد استنبط الرومان طرقاً للرى فاستعملوا ينابيع المياه المتفجرة القريبة من

سطح الأرض لحجز مياه هذه العيون وتوزيعها على الأراضى البعيدة وبقيت هذه المنشآت قائمة ولا يزال بعضها فى حيز الوجود وان يكن قد لحقها الإهمال أخيراً عند ما بدأ الفتح الإسلامى وطمست معالمها كما رحل كثير من السكان للعمل بوادى النيل .

غرود (كثبان) الرمال الذهبية المتنقلة :

وفى الجزء الجنوبى الغربى من هذه الصحراء تمتد كثبان عظيمة من الرمال المتنقلة لمسافات طويلة واسعة وهذه الرمال تطغى على الأرض وتدفن تحت رمالها الناعمة الغزيرة مساحات عظيمة من الأراضى المنبسطة تقدر بمئات الأميال المربعة وتتجمع هذه الرمال فتحدث كثباناً (أو تلالا) من الرمال الناعمة تسير متوازنة بارتفاع كبير ممتدة من الشمال الغربى إلى الجنوب أو الجنوب الشرقى فى نفس اتجاه سير الرياح التى تهب على الصحراء .

وبهذا التكوين يصعب جداً اجتياز هذه المناطق فى اتجاهات عرضية من الغرب للشرق أو بالعكس إلا عند فتحات وممرات معينة مشهورة ومعروفة كما أن هذا التكوين أصبح كحاجز دفاعى منيع للحدود المصرية . ويقال إن طغيان هذه الرمال أخذ فى الاتجاه نحو الجنوب بدليل أنها طغت على طريق للقوافل كان ممتداً بين الواحات الداخلة وواحة الكفرة فاختفى هذا الطريق كما اختفى تحتها جيش قمبيز ملك الفرس سنة ٥٢٥ قبل الميلاد ومقداره ٥٠,٠٠٠ محارب من الفرسان عندما أراد غزو واحة سيوة ولم ينج منهم أحد وما زال مختفياً إلى الآن .

على أن الواحات نفسها لم تسلم من هبوب عواصف هذه الرمال حيث تطغى على المزروعات فتتلفها وتحدث بها أضراراً كثيرة .

السكان فى الصحراء والواحات :

ويسكن الساحل قبائل من البدو والرحل المتنقلين ، أما سكان هذه الواحات فيختلفون عن هؤلاء البدو اختلافاً تاماً فى اللغة والأصل والعادات والهيئة والمعيشة

وهم عادة خليط من الرومان أو الإغريق أو البربر والسودانيين أو من سلالة المصريين القدماء . وهم عادة قوم ميالون للعمل والاجتهاد بلا كسل ولا ملل وموالين للحكومة .

الزراعة :

تنحصر الزراعة عموماً على الساحل وفى الواحات ، ففى الحالة الأولى تكون نتيجة لسقوط الأمطار فى هذه المناطق أما فى الثانية فتعتمد على ينابيع المياه المتفجرة من الأرض . يزيد على ذلك وجود جملة بقاع من الأراضى الواطئة المنخفضة حيث تنبت المراعى الطبيعية كما هو الحال فى المنطقة الواقعة شرقى واحة الجارة وعلى امتداد درب المحصحص الموصل من سيوة إلى وادى النطرون . ولا شك أن هذه المراعى تتغذى أراضيها من مجارى المياه تحت الأرض بالنسبة لانخفاض سطحها كثيرا كما أنه توجد غابات من أشجار الأثل والسنط فى الأراضى المرتفعة شرقى واحة الجارة أيضا . أما فى الهضبة الكبرى ففيها بعض الأراضى المنخفضة المملوءة بالمراعى ويسميها العرب بالحطايا أو الجباب (الجيوب) وتقع غالباً فى أحضان مجارى السيول البسيطة ويعرفها البدو جيداً حيث يرعون مواشيهم فيها .

الحيوانات :

الحيوانات الضارية منها قليل جدا . ويوجد الغزال أحياناً بكثرة فى هضبة ليبيا بالقرب من حطايا الوديان ويكثر السمان على الشاطىء وفى موسم معين يبدأ من سبتمبر ، أما الثعالب والذئاب فموجودة ولكنها صغيرة الحجم . أما البجع والطيور المتنقلة فتشاهد أحياناً فوق شواطىء البحر وبالواحات فى أثناء رحلتها السنوية ذهاباً وإيابا .

وتكثر الأغنام جداً على الساحل حيث يكثر المرعى الجيد وهى سمينة صالحة للأكل وصوفها جميل وغزير .

وفى وسط الصحراء عثرت بعض البعثات الاستكشافية وبخاصة فى المناطق المنخفضة على عدد كبير من القواقع البحرية وعظام للتماسيح وكثير من الضفادع ،

كما عثرت في بعض الحفائر على أوان من الفخار من العصر الحجرى البائد ، مما يدل على أن هذه الجهات كانت عامرة بالسكان أو أن البحر كان قريباً منها وانحسر عنها .

الدليل البدوى وارتياد الصحارى :

والبدوى بطبيعته ولعدة أسباب أخرى يفضل السير فى الدروب المطروقة الظاهرة وذلك فى سبيل الوصول إلى مقصده ، ولا يفكر مطلقاً فى اختراق أرض مجهولة أو اختصار طريقه للوصول بسرعة ولكن إذا تصادف وأمطرت السماء وغمرت بعض الأراضى وأنبتت فيها مراعى فسرعان ما يسير إليها البدو من كل الجهات ليرعوا مواشيهم . ورعى الماشية يتطلب السير فى مختلف أراضى المنطقة التى بها المرعى ، وبهذه الوسيلة يتعرف البدوى على أراض وطرق جديدة . ولا تنس أن للبدوى خاصة سرعة تمعن الأشياء والمناظر الطبيعية والعلامات الأرضية وانطباعها فى ذهنه لأول وهلة ولكن هذه الخاصة ليست إلا لأفراد قليلين والأدلاء المعروفين . كما أن للدليل البدوى المعروف مهارة عجيبة تدهش المرء فى تعرف الطرق وفى سهولة ارتيادها وفى تمييز الجبال والتلال وعلى القدرة على السير ليلا فى الليالى الشديدة الحلكة . وإنى أنصح لمرتادى الصحارى فى الطرق غير المعروفة جيداً استصحاب دليل من المعروفين لرجال السلطة المدنية كما لا أحبذ كثيراً الاعتماد على البوصلات والآلات الهندسية إلا بقدر اللازم الضرورى أو الأسباب العلمية . وليعلم أن خطأ بسيطاً قد لا يتعدى درجة واحدة فى انحراف البوصلة يجر الإنسان ويبعده عن طريقه مئات من الأميال ولأن لاستعمال الخرائط والبوصلات دروساً وتعلما خاصا .

الحالة العامة :

أما الحالة العامة فى هذه الصحراء (ماعدا الشريط الأخضر الذى يطوق شاطىء البحر الأبيض المتوسط) فعبارة عن إقليم لا مطر فيه ولا حياة ، وهبوب العواصف الرملية عليه تكاد تكون من الأمور العادية لا تخلو منها سنة من السنين .

أما على الساحل فتتوقف حالة السكان دائماً على الزراعة ومقدار المحصول وهي عوامل أدت إلى الرخاء واليسر بين العربان فشعروا بنعمة الحياة وتذوقوا طعمها ولقد عاد أكثرية العربان إلى أوطانهم وبدءوا يزرعون أراضيهم ويقومون على تربية مواشيهم ويتفاءلون خيراً كثيراً بهذا العهد السعيد .

محافظة الصحراء الغربية :

أما محافظة الصحراء الغربية ومركزها مرسى مطروح فانها تشتمل على كل الجهات الواقعةغرب النيل من الإسكندرية ومديرية البحيرة والجيزة وبنى سويف والمنيا شرقا ولغاية السلوم وحدود طرابلس غربا ومن البحر الأبيض شمالا إلى حدود الصحراء الجنوبية جنوبا وتتبعها واحات سيوة والبحرية والفرافرة .

على أن معظم هذه الأقاليم صحراء قاحلة جرداء كما سبق أن ذكرنا اللهم إلا المنطقة القريبة من ساحل البحر الابيض المتوسط والتى تزرع على الأمطار .

٣ — المنطقة الساحلية

مقدمة تاريخية :

أما القسم الساحلى من الصحراء الغربية فليس له اسم معين ومعروف بأنه يمتد من الشمال الغربى للدلتا (من الاسكندرية شرقاً) إلى بلدة السلوم غرباً مسافة ٥٠٠ كيلو متر ولقد سماه القرطاجيون باسم ساحل ليبيا وورد ذكره فى كتاب هيرودوت وفى رحلات الفينيقيين ثم القرطاجيين .

وقد وصف هيرودوت حالة سكان هذا القسم بما لا يخرج عن حالة سكانه الآن وطرق معيشتهم بعد الفتح الإسلامى ويظهر أن المناخ والتربة لهما تأثير يتغلب على الأصل والنشأة .

ويوجد بعض الآبار القليلة المتباعدة على الساحل أو القريبة منه وكذلك فى الواحات المذكورة آنفاً .

وتبلغ مساحة هذه الصحراء ٢٤٠٠٠٠ كم مربع وتنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية :

١ — القسم الشرقى ومركزه العامرية ويشمل مراكز العامرية وبرج العرب والحمام والواحات البحرية والفرافرة .

٢ — قسم مطروح ومركزه مرسى مطروح ويشمل مركز مطروح ومركز الضبعة .

٣ — قسم برانى ومركزه برانى ويشمل مركز السلوم وبرانى .

٤ — قسم سيوة ومركزه بلدة سيوة ويشمل واحة سيوة والواحات القريبة منها وجاره أم الصغير وعدد سكان هذه الصحراء ٦٠٠٠٠ نسمة تقريباً .

وقد وصف هيرودوت عادات وأخلاق هؤلاء السكان قديماً بأنهم يلبسون ملابس الليبيين وتلبس النسوة خلاخيل فى أرجلهن ويتركن شعورهن لتنمو وتطول . ومن عاداتهم أن للزواج وقتاً معيناً وعيداً عظيما . وعند افتتاح هذا الموسم تحضر القبائل أجمل البنات الراغبات فى الزواج أمام مليكهم ليختار لنفسه منهن زوجة جديدة قبل أى مخلوق آخر وقد انقرض هذا الشعب واندمج فى القبائل العربية بعد الفتح الإسلامى وأصبح سكان هذا الإقليم من البدو ومن القبائل التى جاءت مع الفتح الإسلامى شمال أفريقيا والمغرب .

والقسم الساحلى عبارة عن شريط رفيع من الأرض المتعرجة القابلة للزراعة ويختلف عرضه من الساحل جنوبا من ٢٠ إلى ٥٠ كم ويتسع من جهة الشرق (العامرية) ثم يأخذ فى الضيق عند ما يتجه غربا وينتهى تقريباً عند بلدة السلوم حيث تقترب هضبة ليبيا الكبرى من الشاطىء وتدخل فى مياه البحر .

أما أسماء التلال والرءوس والخلجان الواقعة على هذا الساحل فلها تاريخ أثرى قديم ولا يزال الأعراب يعثرون دائماً على آثار ذات قيمة خصوصاً من العصر الرومانى ومن هذه الأسماء :

فوكه أو رأس الكنايس	وهى رأس حرموم وتسمى الآن رأس الحكمة
ومرسى مطروح	وهى برانتيوم
وميناء النجيلة	« جازيس
وميناء جرجوب	« أبيس
والسلوم	« برانوس
ورأس الملح (طرابلس)	« أردنيس
وميناء البردى	« بتراجنا

هطول الأمطار :

أما مسألة هطول الأمطار فى هذه الأقاليم فمن المسائل العجيبة حقاً والتى تحير العقول ففى حين يهطل المطر بشدة فى مكان تراه ينحبس عن مكان آخر قريب جداً من الأول كما أن الأمطار تهطل بصفة دائمة فى مناطق معلومة مبعثرة على الشاطىء ويعرفها العرب أنفسهم ومتوسط سقوط الأمطار على الساحل يختلف ما بين ٥و٨و١٠ بوصات ويستمر مدة ثلاثة إلى أربعة شهور فى السنة من أكتوبر أو نوفمبر إلى أبريل وأحياناً مرة واحدة فى شهر مايو ويسميها الأعراب مطر البطيخ .

ويبلغ عرض المنطقة التى تسقط عليها الأمطار حوالى ٤٠ ميلا ولا تتعداها داخلياً إلا نادراً وسقوط الأمطار فى الواحات أو واحة سيوة مثلا يعد من الأمور النادرة لأنها إذا استمرت قليلا تسبب سقوط وهدم منازل الواحة المصنوعة من الجالوص كما حدث فى سنة ١٩١٩ وكذلك فى شهر إبريل سنة ١٩٣٧ حيث هطلت أمطار شديدة وصلت إلى الواحة المذكورة أى مسافة ٣٠٠ ك . م من الساحل وتجاوزتها إلى مسافة ٣٥٠ ميلا من الشاطىء واستمرت يومين كاملين وقد خربت منازل الواحة وهدمتها وتركها السكان وسكنوا فى الخلاء .

وتهطل الأمطار فى غالب الأحيان بغتة بضجة عظيمة ففى يوم صحو هادىء تهب فجأة رياح شمالية أو شمالية غربية وتكثر الغيوم فى الجو ويلمع البرق ويقصف الرعد ويتوالى بلا انقطاع ثم تهطل الأمطار بشدة كأنها أفواه القرب حتى تخال السماء قد طبقت على الأرض وتسيل فى الأودية وتندفع السيول بشدة هائلة نحو البحر فتجرف كل ما تجده فى طريقها من الناس والحيوان والشجر والسدود وقد تعلو السيول جداً فى الأودية وتباغت الأهلين النازلين فى جوانبها وهم غير مستعدين لها فتجرفهم وأنعامهم وخيامهم فى البحر كما حدث فى منطقة السلوم من عهد قريب .

موارد المياه على الساحل :

وتنتشر فى المنطقة الساحلية خزانات المياه الرومانية المنقورة فى الصخر بنظام هندسى بديع حيث يمنع تسرب المياه منها وتبقى فيها سنين كما كان يستعملها الرومان ولا يزال يستعملها الأعراب للغرض نفسه . وبعض هذه الخزانات حجمه كبير يتسع أحياناً لآلاف من أطنان المياه وتكفى لسنين عديدة كالخزانات الموجودة بالعامرية والسلوم ومطروح وتهتم الحكومة بتنظيف وإصلاح هذه الخزانات وطلائها بالأسمنت وتصرف سنوياً مبالغ طائلة جداً على صيانتها وقد أدى هذا المجهود إلى تحسن الحال جداً فى الصحراء .

وتوجد المياه أيضاً فى بعض آبار (جمامات) على الشاطئ ويسميها العرب بالسوانى خصوصاً فى الأراضى الرملية حيث يحفر العرب إلى عمق قليل فتظهر بعده المياه وتنتشر الدواوير والزوايا بكثرة حول المناطق الغنية بالمياه وبخاصة القريبة من الشـــاطىء ، ويزرع السكان حولها الزيتون والتين والعنب وبعض الخضر .

سكة حديد مريوط

أما سكة حديد مريوط فهى إحدى منشآت الخديو السابق وكانت تمتد قديماً إلى بلدة فوكه على بعد ١٣٠ ميلا من الاسكندرية ، ثم نزعت قضبانها مدة الحرب العظمى سنة ١٩١٦ لأغراض حربية وكانت تنتهى عند بلدة الضبعة على بعد ١٠٢ ميلا من الاسكندرية .

أما الآن فقد تم مدها إلى مرسى مطروح أى مسافة ٣١٢ ك . م من الاسكندرية وأصبحت بفضل التحسينات المتوالية التى أدخلت عليها خطا حديديا من الدرجة الأولى ولهذه السكة الحديدية تاريخ غريب فقد كان الخديو السابق يزمع مدها إلى بلدة السلوم خلف الحدود بين مصر وطرابلس أى لمسافة ٥١٤ ك . م من الاسكندرية معتقداً أنها تقرب السفر إلى أوربا مدة يومين

كما كانت لديه فكرة أخرى لمد فرع آخر منها من مرسى مطروح إلى سيوه مسافة ٣٠٠ ك . م وذلك لنقل محصول البلح والفواكه واستغلال أملاكه الكثيرة التي يملكها بهذه الواحة ولكن من يمعن النظر قليلا في هذا المشروع يجد أنه بعيد جداً عن الأماني المرجوة منه وقتها ولكن إنما هو الطمع وامتصاص دماء الشعب بوادى النيل والصحراء . وفى خلال هذه الحرب الأخيرة تم مد هذه السكة الحديدية إلى السلوم وطبرق (من إقليم بنى غازى) .

هواء الصحراء :

وهواء الصحراء جاف نقى وصحى للغاية وهو بارد جدا فى الشتاء وحار فى الصيف ولكن حر الصيف لا يستمر أكثر من ساعتين أو ثلاثة وسط النهار ثم تهب ريح شمالية غربية فتلطف الهواء وهذا هو سبب جودة هوائها ولكن فى بعض الأحيان تثور رياح غربية فتعكر صفاءه .

وقد تشتد الرياح الشمالية أو الشمالية الغربية فى أوائل الصيف اشتداداً عظيما ولاسيما فى السهول البحرية حتى أنها تقتلع الخيام وتعبث بالزراعة . وهناك فرق كبير بين حرارة الليل وحرارة النهار فقد يهبط الترمومتر ليلا فى الشتاء إلى درجة الجليد وإذا به يرتفع نهاراً إلى ٢٠ سنتغراد فى الظل .

الزراعة :

أما الزراعة على الساحل فهى نتيجة لسقوط الأمطار ويزرع البدو الشعير والحنطة كما يزرعون بجوار الثوانى والجمامات بعض الحدائق من التين والزيتون والعنب وبعض الخضراوات والبطيخ والقثاء وبخاصة بالقرب من المدن حيث يسهل تصريفها بسهولة . وتقوم هيئة تعمير الصحارى حاليا بمشروعات عظيمة للزراعة بالطرق الحديثة وتربية المواشى هناك .

وينبت على الساحل أحسن أنواع البطيخ والشمام مما لا تضارعه أنواع منه فى وادى النيل . وتوزع الحكومة سنويا الآلاف من أشجار الزيتون

وقد أثمر أكثرها وأنشأت الحكومة معصرة للزيتون المزروع فى جهة برج العرب ويجرى العمل على إنشاء واحدة بمطروح ويعتبر الزيتون المزروع بها من أجود الأنواع فى العالم .

كما تنتشر المراعى على الهضبة وفى مجارى السيول والوديان وشقوق التلال ويسميها الأعراب بالجبيبات (أى الجيوب الصغيرة) .

الآلات الزراعيــة :

والبدو يفلحون الأرض بمحاريث مشابهة للمحاريث المصرية ولكنها أصغر وأقصر ويجرها الإبل والخيول أو الحمير .

وتستخدم هيئة تعمير الصحارى الآلات الحديثة الزراعية وتمد بها البدو والأهالى تمشيا مع سياسة حكومة الثورة .

ويحصدون الزرع ويجمعونه ويدرسونه بالنوارج وهذا قليل أو بالابل وهو الغالب وذلك بربط عدد من الابل بعضها برقاب بعض ويدورون على السنابل فتفعل فعل النوراج .

ويدرون الحبوب المدروسة بالمدراة (ذات الخمسة أصابع) كالمدراة المصرية ويخزنون حبوبهم فى مطامير وهى حفر فى الأرض ويجعلون أكداس التبن بجانب فم المطمورة للدلالة عليها ويغطونها بتراب المطمورة .

النباتات والأزهار الساحليــة :

أما المنطقة المجاورة للشاطىء وعلى مسافة ١٠ ك . م فإنها خصبة ومتى سقطت عليها مياه الأمطار نبتت الأعشاب ذات الأزهار الجميلة وذات الألوان البهيجة وأكثرها نباتات طبيعية أهمها :

(١) النعناع الجبلى .　　(٢) المشطة .
(٣) الأراك .　　(٤) السبان .

(٥) الحنظل .

(٦) الدمسيس .

(٧) البرنف .

(٨) جزيرة الريح .

(٩) الرعلة .

(١٠) الروبيا .

(١١) البل .

(١٢) السعتر .

(١٣) السكران .

(١٤) الشند جوزه وطعم النسر .

(١٥) الشيح .

(١٦) الشبرم .

(١٧) العكنة .

(١٨) العكش .

(١٩) الفلية .

(٢٠) القرطية .

(٢١) اللعبة .

(٢٢) لسان الكلب .

الصيد :

ويصطاد الأهالي الغزال والأرانب البرية ، وهي موجودة بكثرة ، ويستعملون الصقور والكلاب السلوقية ، وطريقة الصيد بالصقر هي : أن يذهب الصياد ومعه كلبه وصقره ، فإذا رأى الصيد أطلق عليه الصقر والكلب ، فيدركه الصقر أولا فيرف حول عينه ويحبسه عن الجرى حتى يدركه الكلب فيعضه ويراقبه فيأتي الصياد ويأخذه باليد .

صيد الطيور :

وقبل دخول فصل الشتاء حوالي شهر سبتمبر تبدأ هجرة الطيور من أوربا إلى ساحل الصحراء ، وأغلب هذه الطيور هي السمان (الفرى) ، والمراغاة وهو أكبر من السمان وأخف وأقل قيمة والرقطي وهو كالحمام ولكن ريشه أخضر وأصفر والبجع وكثير من الطيور الرحالة .

الصناعة :

أما الصناعة فإنهم يعرفون منها ما هو خاص بلوازمهم ، وقد قامت حكومة الثورة بإنشاء مراكز للتدريب المهني وإنشاء صناعات عدة هناك :

غزل الصوف :

وهو خاص بالنساء .

الحياكة :

وهى خاصة بالنساء أيضا فهن يحكن بيوتا من الشعر والأغطية والفرش ، والغرار والأفراد والاخراج وغير ذلك من لوازم الخيام والأثاث والملبس ويحكنها من شعر الماعز وصوف الضأن ووبر الإبل . ويستعملن أنوالا بسيطة .

الصباغة :

وهى من شغل النساء أيضاً يصبغن خيوط الصوف التى تدخل فى حياكة الاخراج أو الحول بألوان جميلة حمراء وخضراء وصفراء بمواد يستخرجنها من بعض الأعشاب البرية .

صناعة البارود :

وبعضهم يصنع البارود مركبا من الصفصاف وملح البارود والكبريت .

البناء والنجارة :

وبعضهم يعمل بالبناء والنجارة بقدر كفايتهم .

قص الأثر : (تتبع الأثر على الأرض)

وللبدو مهارة غريبة فى قص الأثر وهناك حوادث عجيبة من هذا النوع .

التجارة :

يتاجرون فى الابل والغنم ويعتنى البدو بتربية الإبل والغنم كما يتجرون بمواليدها وذكورها ويتجرون فى الشعير ويصدرون ما زاد عن حاجتهم ، وكذا لوازم الزراعة .

٤ ـ موارد المياه على الساحل

السوانى (الجمامات) (المعاطن) :

يحفر الأعراب آباراً قليلة الغور على الساحل الرملى القريب من ساحل البحر بحيث لا يتجاوز سطح المياه بها سطح البحر .

ومن المعلوم جيولوجيا أن الحجر القلسى الجيرى المجاور لساحل البحر الأبيض المتوسط به خاصة امتصاص وحفظ مياه الأمطار . فالحفر إلى مسافة قليلة فى المناطق المجاورة للساحل تتيح للصخور الرملية أن ترشح المياه بدرجة لا بأس بها من العذوبة . وهى مستساغة للشرب ولرى قليل من النخيل أو الأشجار البسيطة أو الخضراوات المجاورة لهذه الجمامات ويسميها الأعراب (بالسوانى) وقد سميت بالجمامات) لأنه عندما يتم نزح مياهها فإنها تمتلىء ثانية بعد مدة بسيطة بالمياه ، وتختلف درجة عذوبتها بين فصل الأمطار وفصل الجفاف بحسب كثرة المياه وقلتها .

وفى فصل الأمطار تكثر المياه على الساحل وفوق الهضبة فتمتصها الأرض وتسيل فى المسام الداخلية متجهة مع الانحدار نحو البحر فتقابلها هذه الصخور الرملية فتمتصها كالأسفنج وتبقى بها كالخزانات .

ولا يزيد عمق مياه هذه السوانى عن متر واحد بأى حال من الأحوال وإذا زاد الحفر عن ذلك تبدأ المياه فى الملوحة وتصبح غير صالحة للشرب .

ولذلك فللمحافظة على استمرار عذوبة مياه هذه السوانى يجب النظر دائما إلى اعتبارين أساسيين الأول ألا يزيد عمق المياه عن نصف متر تقريبا .

والثانى تحديد كمية المياه التى تسحب كل ساعة أو يوم من هذه السوانى تحديدا مناسبا بحيث يترك لها الوقت الكافى للنبع البطىء ثانية .

وتوجد هذه السوانى غالبا فى مجموعات تتردد بين ١٨ فأكثر وتظهر على الخرائط مشارا إليها بنقط زرقاء كسوانى السمالوس وسوانى بقوش ويسميها الأعراب أحيانا معاطن وذلك عندما (تترك) فتتعطن مياهها .

الآبار الرومانية :

اكتشفت هذه الآبار حديثا حوالى سنة ١٩٣٣ بالقرب من بلدة مرسى مطروح . وأما نظامها وتركيبها فمماثل تماما لفكرة مياه السوانى والجامات ولكنها تختلف عنه فقد استنبط المهندسون الرومانيون طريقة حفر سراديب مستطيلة ، داخل الصخور الرملية المجاورة للشاطىء حتى وصلوا إلى مستوى المياه العذبة وحصلوا على كميات كبيرة من المياه وقد ساروا بهذه السراديب مسافة طويلة بلغت أحيانا حوالى الكيلو متر وجعلوا بها فتحات على مسافات متقاربة تصل من سطح الأرض إليها لأخذ المياه من هذه الفتحات ولكى تظل المياه دائما نظيفة وغير ملوثة .

ويمكن السير داخل هذه السراديب وهى أشبه بسراديب مجارى المياه بمدينة باريس الفرنسية .

وعلى هذا المثال استنبط المهندسون المصريون العسكريون نفس الفكرة وأنشئوا آباراً مماثلة ذات مجار مغطاة بالأسمنت وأصبحت تخرج كميات عظيمة من المياه فى مرسى مطروح وغيرها من مدن الصحراء .

الخزانات الرومانية :

وقد استنبط الرومان أيضاً طريقة لتخزين مياه الأمطار فكانوا ينقرون الصخر على الهضبة بالقرب من التلال وتحت مجارى السيول فتمتلىء بمياه الأمطار وتحفظ بها مدة طويلة للشرب ولرى الزراعة القليلة المجاورة لها .

أما هذه الخزانات فمنتشرة بكثرة عظيمة فى أنحاء الشريط الساحلى من الصحراء وكان أكثرها مطمورا بالرمال ولكن الحكومة اهتمت أخيراً بتنظيف عدد كبيرمنها وطلاء جوانبها بالأسمنت وتهذيب فتحاتهافأصبحت خزانات عظيمة يستفيد منها البدو وبخاصة فى أوقات الجفاف . .

ويتكون الخزان غالبا من غرفة أوعدة غرف مستطيلة الشكل ومنقورة لمسافة بعيدة تحت سطح الأرض لحفظ المياه من التبخر وتبقى بها المياه لمدة طويلة ويمكن استخراجها إما بالدلو أو بطلمبات صغيرة تركب على فتحاتها . .

٥ — من الإسكندرية لمرسى مطروح

مقدمة تاريخيـــة :

القسم الأول من طريق ساحل أفريقيا الشمالى

ليس هذا الطريق حديث العهد كما يتبادر إلى ذهن الكثيرين ولكنه طريق أثرى سلكه المصريون قبلا ثم الرومان والقرطاجنيون والاغريق كما سار فيه العرب غزاة وفاتحين لبلاد المغرب والأندلس ، وعاد منه الفاطميون لفتح مصر ، وكتب عنه كثيرون من المؤرخين والرواد وورد ذكره فى جملة مؤلفات قديمة . فجاء ذكره فى كتاب (المسالك والممالك) لابن خرداذبه المتوفى سنة ٥٢٠ هـ (الموافق ٨٤٠ ميلادية) صحيفة ٨٤ ، كما ذكر فى كتاب (البلدان) « لليعقوبى » المتوفى سنة ٢٧٨ هـ الموافق لسنة ٨٩١ م (بصحيفة ٣٤٢) تحت عنوان للغرب وكتاب (الخراج) لقدامة المتوفى سنة ٣١٠ هـ الموافق لسنة ٩٢٢ م (صفحة ٢٢٠) تحت عنوان (الطريق إلى برقة وأفريقيا الغرب) وأيضاً فى كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم « للمقدسى » المتوفى سنة ٣٧٠ هـ الموافق لسنة ٩٨٥ م (صفحتى ٣١٤ ، ٣٤٥) ، (كتاب المسالك والممالك) لأبى عبيد البكرى المتوفى سنة ٤٨٧ هـ الموافق ١١٠٤ م (ومن صفحة ٢ إلى ٤) تحت عنوان (المشهور من المدن والقرى فى الطريق من مصر إلى برقة) . وتدل الآثار والنقوش التى اندثر معالم أكثرها على ما كانت عليه من الحضارة والبهاء وأحفلها بالتجارة والحاصلات .

ملاحظة :

للوصول إلى فوكة طريقان : الأول طريق صحراوى صالح لسير جميع السيارات ماعدا فصل الشتاء ويسير موازيا للسكة الحديد ويمر بجميع البلاد الصحراوية

الغربية ولهذا السبب صار وصفه بعيدا ، والآخر : طريق مرصوف بالمكدام ويسير فوق التلال الموازية للساحل والطريقان تقريبا متوازيان وقد عملت جملة وصلات بالمكدام . وهي عند برج العرب والحمام والعميد والعلمين وسيدى عبد الرحمن والضبعة ويفترق الطريقان من الاسكندرية عند بوابة العرب بعد الدخيلة مباشرة ويلتقيان قبل الوصول إلى محطة فوكة بنحو ٢٠ ك . م . ثم يسيران كطريق واحد .

الطريق من الإسكندرية إلى مرسى مطروح ٢٩٠ كيلو متر

المحـــل	كيلو متر		
	داخلى	مجموع	
الإسكندرية			اتخذ طريق المكس والملاحة
باب العرب	١٧	١٧	
مفرق طريق القاهرة	٤	٤	اتخذ الطريق الأيمن الساحلى
مفرق طريق برج العرب	٢٧	٤٨	طريق فرعى ٤ كم إلى برج العرب
أبو صوير	٤	٥٢	شرطة ووقود
الحمام (مفرق)	١١,٥	٦٣,٥	إلى الحمام طريق فرعى ٤ كم ـ شرطة ـ
العلمين	٤١	١٠٤	محطة سكة حديد
العلمين (مقابر عسكرية)	١٥	١١٩	مقابر عسكرية واستراحة
سيدى عبد الرحمن	٥	١٢٤	مسجد
الضبعة	٣٦	١٦٠	مفرق طريق للضبعة ـ بترول
فوكه	٥٤	٢١٤	ـ شرطة ـ
مفرق طريق رأس الحكمة	٨	٢٢٢	مفرق طريق لاستراحة الملك السابق ٢٠ كم بحرى الطريق
مفرق باقوش	١٨	٢٤٠	آبار عربان
سيدى حنيشى	٢	٢٤٢	محطة سكة حديد
محطة سملا	٣٥	٢٧٧	» » »
محطة سكة حديد مرسى مطروح	١١	٢٨٨	
محافظة مرسى مطروح	٢	٢٩٠	كل التسهيلات

١ — ومن الإسكندرية إلى العامرية ٢١ ك . وغالبية سكانه من أولاد على الأحمر والأبيض والهوارة والجوابيص .

ويمكن القول إجمالا أن الطريقين الساحليين من الإسكندرية إلى مرسى مطروح صالحان للسير وتقطعهما السيارات بسهولة ويسر وهما عامران بالبلاد وترتبط أجزاؤهما بالمواصلات التليفونية وتتوافر فيهما وسائل امداد السيارات بالبنزين والوقود ، كما يمكن الحصول على المياه على طول الطريق بكل سهولة ويبلغ طول المسافة من الإسكندرية إلى مفرق العامرية ٢١ ك . م . وكلها مرصوفة بالأسفلت ثم تمتد الطريق إلى مسافة ٢٠٠ ك . م . تقريباً حتى ناحية فوكة ومن هذه إلى مرسى مطروح والمسافة بينهما تبلغ ٥١ ك . م . كلها مرصوفة بالأسفلت ويبتدىء الطريق من الاسكندرية من ناحية المكس وهى معروفة هناك عند نهاية ترام المكس ثم بوابة خفر السواحل ومنها تجتاز جسرا خشبيا حتى لوكندة المكس المعروفة وعندها تعبر شريط السكة الحديدية ثم تمتد بحالة معبدة حتى بلدة الدخيلة . وبعد ذلك بنحو ٢ ¼ ك . م تتجه الطريق إلى اليسار فتصعد تلا ثم تأخذ فى الهبوط وبعد نحو ٢ ك م آخرين تسير يمينا ثم يسارا(١) وتمر ببوابة من الحجر وذلك للاطلاع على رخص المرور . أما بحيرة مريوط فتنبسط إلى مدى ما يصل إليه البصر وليس بها إلا بعض زوارق الصيد الصغيرة تروح وتغدو فى مياهها المترامية الأطراف وتتجه الطريق بعد ذلك بعد قطع الجسر إلى تلال تحيط البحيرة من جهة الجنوب إلى أن تتفرع بعد كيلو ونصف إلى طريقين الأول وهو الطريق الرئيسى ويتجه غربا والآخر يتجه جنوبا فيقطع سكة مريوط الحديدية وبعد كيلو مترين تقريباً من المفرق إلى أن تصل إلى مركز العامرية على بعد ٢ ك . م من

(١) وتسمى هذه البوابة (بوابة العرب) حيث تبدأ عندها الصحراء وعندها مفرق طريقين : الأيمن طريق لمرسى مطروح الساحلى (الرئيسى) والأيسر طريق اسكندرية — القاهرة الصحراوى .

محطة السكة الحديد ومن العامرية تتجه الطريق جنوبا إلى وادى النطرون فالقاهرة عن طريق الصحراء .

مدينة العامرية

العامرية :

ويبلغ طول الطريق من الإسكندرية إلى العامرية ٢١ ك . م . أما العامرية فهى بلدة صغيرة ومركزها القسم الشرقى وبها حدائق واسعة للعنب والزيتون وتقوم صناعات عربية حديثة لعمل السجاجيد وتنبت بها زهور النرجس الأبيض الطبيعى بكثرة وعلى بعد ٤ ك .م . منها يوجد بئر القادرية التى يبلغ عمقها ١١ مترا ومياهها عذبة . وعلى مسيرة ستة كيلو مترات من هذا البئر فى اتجاه الشمال الشرقى يوجد تل مرتفع يستطيع الواقف عليه أن يشرف على منظر بديع جداً فيشاهد بحيرة مريوط ومن ورائها الإسكندرية .

العامرية :

٢١ ك . م . بين العامرية وبهيج (٤٢ ك . م . من الإسكندرية) وغالبية سكانها من أولاد على الأبيض والمرابطين معهم :

تبتدئ الطريق القبلية الموصلة إلى الغرب من مفرق (العامرية — بهيج) الذى يقع بحرى محطة السكة الحديد بنحو ٢ ك . م . ومنها إلى الجنوب الغربى موازيا لشاطئ بحيرة مريوط وتفصل بينهما سلسلة صغيرة من التلال . وبعد ١٢ ك . م . من المفرق تمر الطريق ببعض آبار تسمى (ثوانى الشيخ قربان) ومياهها عذبة وعمقها ١٤ متراً ثم تستمر الطريق فى نفس الاتجاه حتى تصل بعد ١٠ ك . م . أخرى من هذه الآبار إلى مفرق بهيج ، وهى ليست على الطريق العام ولكن للوصول إليها يمكن اتخاذ الطريق الفرعى الأيسر المتجه إلى الجنوب وبعد ٢ ك . م . من هذا المفرق نصل إلى السكة الحديدية حيث محطة بهيج .

بهيج — أبو ميناء (سانت ميناس) وتبعد ١١ كيلو متراً جنوباً من بهيج :

أما بهيج فهى مركز لقسم من هجانة الحدود وبها مغازل (للأكلة) اليدوية وأبو مينا وهى معروفة لدى المشتغلين بالآثار وتقع على بعد ١١ ك . م . تقريباً منها بلدة « أبومينا » (سانت ميناس) وقد وصفها « أبو عبيد البكرى » المتوفى سنة ٤٨٧ هـ فى كتاب (المسالك والممالك) صفحة ٢ إلى ٤ بما يأتى (بها مبنى كنيسة عظيمة فيها عجائب من الصور والنقوش توقد قناديلها ليلا ونهاراً لا تطفأ وفيها قبو عظيم ، وفى آخر مبانيها صور جميلة من رخام عليها صورة إنسان قائم رجلاه على جملين وإحدى يديه مبسوطة والأخرى مقبوضة ويقال إنها صورة أبى مينا وكل ذلك مبنى من رخام وفى هذه الكنيسة صور الأنبياء كلهم عليهم السلام . صورة زكريا ويحيى وعيسى فى عمود رخام عظيم وعلى يمين الداخل باب يغلق عليه وصورة مريم قد أسدل عليها ستار وصور سائر الأنبياء ومن خارج الكنيسة صور جميع الحيوانات وأهل الصناعات ومن جملتها صورة تاجر الرقيق ورقيقه معه ومعه خريطة بيده مفتوحة لأسفل — يعنى أن تاجر الرقيق لاربح له — وفى وسط الكنيسة قبة فيها ثمانى صور يزعمون أنها صور الملائكة وفى جهة من الكنيسة مسجد محرابه إلى القبلة ويصلى فيه المسلمون ، وحول الكنيسة ثمار كثيرة فيها اللوز الأملس والخروب المعسل الرطب يعقد منه الأشربة وكروم كثيرة تحمل أعنابها وشرابها إلى مصر . ويقولون إن سبب بناء هذه الكنيسة أن قبراً كان فى موضعها وكان بالقرب منه قرية وإن رجلا من أهلها كان مقعداً فتفر منه حماره فزحف فى طلبه ليركبه حتى وصل إلى القبر فجلس عليه فانطلق ماشياً . فمشى إلى حماره وأمسكه ثم ركبه وانصرف إلى بلده صحيحاً فتسامع الناس بذلك فلم يبق عليل إلا قصد ذلك القبر فيجلس عليه فيبرأ فبنيت عليه هذه الكنيسة وقصدها المرضى ليستشفوا بها وظل ذلك بعد إعادة بنائها ويدفع لها من القسطنطينية كل عام ١٠٠٠ دينار (الدينار ٦٠ قرشاً) .

ويرجع تاريخ هذه البلدة إلى القرن الرابع الميلادى وقد توفى فيها القديس (سانت ميناس) سنة ٢٦٦ م وتحتوى بلدته على كنيسة مبنية على الطراز الرومانى وكنيستين صغيرتين وبعض مبان أثرية أخرى . وللقديس سانت ميناس قصة غريبة إذ يقال إن بعض الجنود الرومانيين اعتنقوا المسيحية فى زمن الامبراطور « دقلديانوس » الذى أمر بذبح جميع المسيحيين إن لم يرتدوا عن دينهم . أما ميناس فقد أوقعوا به صنوف العذاب ثم قطعت رأسه عام ٢٦٦ م ولكنه كان قد أوصى قبل وفاته أن يدفن فى مصر فلما نقلت الفرقة التى كان يعمل بها فى ليبيا أحضرت معها رفاته تنفيذاً لوصيته . وسارت الفرقة فى طريقها حتى إذا وصلت إلى الساحل الأفريقى نقلت الجثة على جمل فمشى بها فى الصحراء حتى إذا بلغ هذه النقطة برك ورفض القيام . وكان ذلك بجوار بئر مياه فاعتبر معجزة وتقرر دفنه فى المكان نفسه وسمى باسمه وبعد ذلك شيدت الكنيسة فوق المكان وعلى مقربة من العين .

برج العرب (٤٨ كم من الإسكندرية) :

أما المسافة من بهيج إلى برج العرب فهى ٦ كم — وبعد مفرق طريق بهيج يتجه الطريق غرباً ماراً بأرض مسطحة إلى مسافة ٥ ك . م . تصل بعدها إلى مفرق عدة طرق يتجه الطريق الأيسر منها إلى بلدة برج العرب وهى على بعد كيلو متر من هذا المفرق وكيلو متر آخر من محطة السكة الحديدية وليس فى هذه البلدة ما يستحق الذكر غير بعض المبانى الفخمة التى أقامها المحافظ الانجليزى السابق وكان يريد أن يجعل منها عاصمة للصحراء .

أبوصير الأثرية : (وتقع على طريق الأسفلت الساحلى) .

هى مدينة كبيرة تقوم على الوضع الذى كانت تقوم عليه مدينة (تبازيوليس ماجنا) القديمة . . وهى إحدى المدن الثلاث الشهيرة الواقعة بين الإسكندرية والمغرب — وهناك على ربوة صغيرة فى أحد أطراف البحيرة عند اتصالها بالبحر يقوم بناء فخم قديم على الطراز المصرى طوله ٢٩٥ قدما وربما كان أحد معابد

الآله إيزوريس ولم يبق من هذا البناء إلا مدخله وبعض الأحجار المنقوشة . وتوجد على مقربة من المعبد آثار بعض الغرف والمدافن المحفورة فى الصخر .

منارة (فاروس) الرومانية :

وعلى بعد بضع مئات من الأمتار من هذا المعبد كانت تقع المنارة الرومانية القديمة الشهيرة بفاروس والتى لم يبق منها سوى قاعدتها وبعض آثارها ، أما المنطقة التى حول بهيج و (برج العرب) فتكتسى فى فصل الشتاء حوالى شهر فبراير بحلة جميلة من الزهور الزكية التى تنمو نمواً طبيعياً فى الصحراء كما أن أراضيها صالحة للزراعة وأهم حاصلاتها الشعير وتسكنها قبائل أولاد على ومنهم عدد كبير من الفرسان ويمتد من برج العرب جنوباً طريق تصل إلى الواحات البحرية ويمكن قطعها فى نحو ١٠ ساعات بالسيارة .

بلدة الحمام

١٦ ك . م . من برج العرب إلى الحمام (٦٤ ك . م . من الإسكندرية)
وغالبية سكانه من أولاد على الأحمر والمرابطين معهم :

وتتجه الطريق بعد برج العرب إلى الجهة الغربية فى أرض منبسطة تحاذيها من اليمين تلال غير عالية . وعلى بعد ٩ ك . م تقريبا تمر بمصانع الجبس (الجباسات) وعلى بعد ٧ ك . م أخرى تجد مفرق بلدة الحمام والتى تعد مركزا تجاريا عظيما للأغنام ، والمياه فيها متوافرة . وهى مشهورة بطواحين الهواء المنتشرة فى جميع أرجائها ، ولهذه البلدة تاريخ قديم وكانت تعرف فيما مضى باسم « ماتوكاميوس » وعلى هذا تكون المسافة بين الإسكندرية وهذه البلدة ٦٥ ك . م وبها مسجد يقال إن الذى شيده (زياد الله بن الأغلب) عندما مر بها لفتح غرب أفريقيا .

٢٠ ك . م من الحمام إلى العميد (٨٥ ك . م من الإسكندرية) :

وتتصل الطريق بعد ٢ ك . م . من الحمام بالطريق العام ثم تتجه غربا إلى

بلدة العميد بعد مسافة نحو ٢٠ ك . م . وهى تقع على السكة الحديد جنوبى الطريق وليس بها ما يستحق الذكر غير منارة صغيرة على شاطىء البحر وعند هذه المنطقة تنتهى منطقة مريوط والوادى الجاف . ويقول بعض المؤرخين إن النيل كانت تصل مياهه إلى هذه الجهة وإن هذا الوادى كان فرع الدلتا الأيسر وبتاريخ ٢٢ من سبتمبر سنة ١٩٣١ . نشرت جريدتا الغازيت والريفورم بحثاجاء فيه أن هذا الوادى كان جزءاً من بحيرة مريوط عندما كانت تستمد مياهها من البحر الأبيض وكانت تصب فيها بعض قنوات المياه العذبة وهناك مشروع خاص بذلك لإعادة ملء الوادى بالمياه مما يسبب العمران لتلك المنطقة وتتحسن آبارها وتعود إلى سابق عهدها من ازدهارها بالحدائق والبساتين فى أيام الرومان .

٢٤ كم من العميد إلى العلمين (١٠٩ كم من الإسكندرية) :

ويمتد الطريق من العميد غربا ثم يبدأ فى الاقتراب من السكة الحديدية حتى يلتقى بها بعد مسافة ١٣ كيلو مترا ثم يسير معها تماما نحو الشمال الغربى حتى يقترب من الشاطىء ولا يفصلها عنه إلا تلال رملية تكسوها الحشائش وبعد مسافة ١١ ك . م أخرى تصل الطريق إلى مفرق طريق العلمين وهى بلدة صغيرة تقع بين الطريق والسكة الحديدية . ومن العلمين جنوبا طريق صحراوى طوله ٦٥ كيلومتر توصل إلى واحة المغره وهى نقطة متوسطة فى درب المحصحص ولها أهمية حربية والمياه فيها متوافرة (وفى العلمين حدثت الوقائع الحربية الشهيرة بين البريطانيين والألمان سنة ١٩٤٢) .

وبها استراحة وفندق وقد أصبحت قبلة الزوار الأجانب يحضرون إليها من أنحاء العالم لزيارة مقابر موتاهم الذين فقدوا فى الحرب العالمية الثانية .

سيدى عبد الرحمن

٢٥ كم من العلمين إلى سيدى عبدالرحمن (١٣٤ كم بينها وبين الاسكندرية) :

وتمتد الطريق من العلمين متجهة نحو الشمال الغربي وموازية للسكة الحديدية حتى تتقاطع بعد ذلك بنحو ٨ ك . م مع طريق آخر متجهاً نحو الجنوب ويتجه هذا الطريق إلى (نقب أبو دويس) الذى يقع على الطرف الشرقى (لمنخفض القطارة) ويبلغ طول هذا الطريق نحو ٥٣ ك . م وهى صالحة لسير السيارات وبمتابعة السير غربا مع السكة الحديدية تتقاطع الطريق بعد ٢ ك . م مع طريق آخر موصل إلى البحر وبعد مسافة ١٤ ك . م حيث توجد بعض التلال المرتفعة فتتجه الطريق من يسارها مع استمرارها محاذية للسكة الحديدية إلى أن تصل بعد ٢١ ك . م إلى سيدى عبد الرحمن (مسجد سيدى عبد الرحمن[1]) .

وبها أيضاً محطة للسكة الحديدية وقد سميت باسم الجامع الموجود بها . ويقال إنها كانت قديما من زوايا السنوسية الشهيرة يحج إليها أعراب المنطقة . والجامع مبنى على ربوة عظيمة تشرف على مناظر عظيمة للمنطقة المحيطة بها .

أما المنطقة الواقعة بين سيدى عبد الرحمن وشاطىء البحر فتكتنفها تلال رملية تنبت فيها الحشائش ولكن لا يخلو الأمر من وجود بعض الأراضى الزراعية والحدائق الصغيرة . وتشتهر هذه المنطقة بزراعة الطماطم ، كما أن هناك آباراً شهيرة وبها أرض خصبة . وأما الزهور الطبيعية فتشاهد هناك بكثرة

---

(١) سيدى عبد الرحمن أحد المشايخ (الأولياء) فى عرف البدو يذكرون قصته أنه كان من أغنياء التجار الذين يسيرون من المغرب إلى الاسكندرية وقد تآمر على قتله بعض الأعراب من قبيلة الهداهيد وبعد أن قتلوه وفصلوا رأسه دفنوه فى هذا المكان وبعدها بعدة سنوات رأى القتلة أثناء عودتهم فاكهة على شكل شمامة صفراء جميلة مستديرة عجيبة الشكل فاقتلعوها من الأرض وحافظوا عليها وحملوها معهم لتقديمها هدية إلى أمير المغرب ولما فتحها الأمير وجد بها رأس سيدى عبد الرحمن المقتول فقبض عليهم وأمر بقتلهم جميعا وأصبح من هذا الوقت أحد الأولياء الصالحين عند بدو الصحراء .

وأصنافها عدة ورائحتها ذكية ومنها النعناع ونبات الخلنج والقدعين والبنفسج البرى . وتجرى مصلحة السياحة وهيئة تعمير الصحارى إنشاء مصيف جميل على البحر هناك .

الضبعـــــة

٢٨ كم من سيدى عبد الرحمن إلى « الضبعة » و (١٦٢ ك . م من الإسكندرية) وغالبية سكانها من قبائل أولاد على والجمعيات والسمالوس والعوامة :

وتتجه الطريق من سيدى عبد الرحمن غربا فى محاذاة السكة الحديد تماما وتمر فى أرض مملوءة بالحشائش وبها مراعٍ خصبة يدعوها البدو باسم (عقوب الصغرى) وعلى بعد ١٢ كم منها تقع محطة غزال ومنها تستمر فى السير غربا إلى بلدة الضبعة حيث تبلغها بعد ١٧ كم من غزال . والضبعة مركز تجارى عظيم وكانت تدعى قديماً (زيفريوم) ويوجد بها مركز للشرطة ومبان حكومية ومسجد وتشاهد خيام العرب المسماة « بالخيوش » هناك بكثرة وبعضها قائم بحالة منظمة .

ومن المناظر الطريفة مشاهد الأعراب وهم يحرثون الأرض بمحراث يجره جمل بجوار حمار ، أو جمل وحصان . والمحاريث المستعملة هناك من الأنواع الخفيفة التى يحملها رجل واحد على كتفه .

٥٥ كم من الضبعة إلى فوكة (٢١١ ك م من الإسكندرية) :

وتستمر الطريق بعد الضبعة فى سيرها غرباً محاذية للسكة الحديدية لمسافة ٨ ك م . تبدأ بعدها فى الاتجاه نحو الشمال الغربى حيث تبتعد عن السكة الحديد وتقترب من الشاطىء وبعد ٢٢ ك . م تبدأ الطريق فى الاستدارة وبعد ٤ ك . م تصل إلى مفرق طريق محطة فوكة ولا تختلف الطريق عن سابقتها فى نوع الأراضى المحيطة بها . وتبلغ المسافة بين الإسكندرية وفوكة ٢١٩ ك . م .

٧٥ ك . م من فوكة إلى مرسى مطروح (٢٩٤ ك . م من الإسكندرية)

وغالبية سكانه من قبائل الجميعات وأولاد على الأبيض والأحمر :

وبعد أن تسير نحو (٥ ك . م) من فوكة فى أرض منبسطة تأخذ فى الصعود وتجتاز هضبة طولها نحو ١٠ ك . م وتبعد ٨ كم من فوكة تصل إلى مفرق طريق موصل إلى رأس الحكمة (رأس الكنايس) ويتجه الطريق الفرعى للجهة البحرية حيث تصل إليها بعد ٢٠ كم وبها محطة تجارب زراعية واستراحة ومناظر جميلة . ثم تمر بعد ٨ ك . م أخرى بزاوية هارون وتعترضها بعد ٢٠ ك . م أخرى آبار القصابة (وتصل بعد نحو كيلو متر إلى الجراولة وإلى اليسار من هذه البئر يوجد مفرق طريق إلى منخفض القطارة وهى طريق للسيارات وطولها نحو ١٢٥ ك . م وتستمر الطريق فى اجتياز جملة وديان كبيرة حتى تقترب من تلال مطروح وتسير فى منبسط من الأرض ويسمى (غوط رباح) وتمر بعد استراحة الحكومة على مرتفع من التلال وبرج الطابية القديمة وعند ما يصل المسافر إلى أعلى تل الاستراحة تظهر له فجأة بلدة مطروح ويشاهد البحر والميناء ومنظراً من أبهى المناظر ينسيه متاعب الصحراء وعلى ذلك تكون المسافة بين الإسكندرية ومطروح ٢٩٠ كم .

٦ — مرسى مطروح

برانتنيوم أو امونيه مصيف قدماء المصريين والرومان

١ — مرسى مطروح :

ومرسى مطروح عبارة عن ميناء صغير يحمى مدخله من أمواج البحر الأبيض سلسلة من الصخور الطبيعية وفى وسط هذه الصخور مدخل صغير يسمح بمرور البواخر ذات الحجم العادى ومن الصعب على البواخر دخول الميناء وقت العواصف والأنواء وحول هذا الميناء نفسه عدد من البحيرات يفصلها بعضها عن بعض حاجز رملى بسيط لا يلبث أن يطغى عليه البحر أحيانا فيملأ هذه البحيرات بمياهه البراقة الزرقاء فتصبح كأنها بحيرة واحدة .

وتحد هذه البحيرات من الجهة البحرية بتلال من الرمال المتحجرة تمتد شرقا وغربا لمسافات طويلة فتحجب هذه البحيرات عن ساحل البحر وتجعلها كملجأ أمين للسفن وقوارب الصيد على اختلاف أنواعها .

وهناك على رابية مرتفعة من هذه الروابى شرقى الميناء بقايا طابية (حصن) أثرى يرجع عهده غالبا إلى أيام الرومان وقد اندثرت أكثر معالمه الآن .

٢ — تاريخ البلدة :

ومرسى مطروح بلدة قديمة ارتفع شأن التجار فيها قديما وازدهرت فى عهد البطالسة والرومان واشتهرت بتصدير الشعير والاسفنج والبلح والأغنام .

وقد شيدت بها الملكة كليوبترا قصرا فخما وأقامت فيه مع قيصر (مارك انطوان)

وهناك كانت تدير حركة جيوشها فى مصلحة الأخير ضد أغسطين كما أقام بها أغسطين نفسه بعد موقعة اكتيوم الشهيرة .

وقد اشتهرت مطروح أيضا فى عهد اليونان وفى زمن حكم الاسكندر المقدونى وكانت تسمى فى هذا الوقت « براتنيوم » وكانوا يدعونها أيضا امونيه .

ويغلب على الظن أنهم أطلقوا عليها هذا الاسم بالنسبة لأنها تقع فى أول الطريق الموصل إلى سيوة حيث يوجد معبد الإله آمون والمسمى (جوبيتر آمون) .

٣ — الدفاع عن مصر قديما :

وفى عهد الامبراطور جستنيان تم تحصين مرسى مطروح وجعلها نقطة أمامية فى خطوط الدفاع عن مصر إذا هوجمت من الغرب وغالبا فإن الحصن القام بها والسابق ذكره يرجع إلى عهد الامبراطور المذكور ويظهر أن التاريخ يعيد نفسه . كما حصل فى الحرب الأخيرة .

٤ — الآثار :

فى الواقع أنه ليس هناك من الآثار القيمة ما يبين لنا قيمة وتاريخ هذه البلدة قديما وما كان لها من الأهمية فى العصور السابقة وذلك راجع إلى أنه لم تبدأ للآن الحفريات للبحث عن هذا الموضوع ولو أن مكان البلدة القديمة معروف الآن جيداً من الآثار التى عثر عليها مصادفة أثناء الحفر لأعمال حديثة . على أنه يظهر جليا أن البحيرة الموجودة غرب الميناء — وهى بحيرة عميقة محصنة بسلسلة من التلال الصخرية تحجبها عن البحر وعن النظر من جهة البحر — إن هذه البحيرة كانت مستعملة قديما كمرسى للأسطول المصرى القديم ولا يزال يوجد بهذه البحيرة آثار رصيف حجرى كان مستعملا كمرساة عند طرفها الشرقى وهو المدخل الذى طمسته رمال البحر والصحراء .

أما التلال الواقعه شمال (بحرى) هذه البحيرة فعامرة بالآثار القديمة ولو أنه ممنوع عمل حفريات بها وقد اكتشفت حديثا بها آثار كنيسة قديمة والظاهر أنها من أوائل عهد المسيحية .

أما الشاطىء البحرى الواقع على سطح هذه التلال ففيه بعض مغارات أثرية بها نقوش غريبة ومجار للمياه منقورة فى الصخر تمتد لمسافة أميال فى باطن الأرض على هيئة سراديب ذات فتحات متباعدة لجلب المياه العذبة ومما لاشك فيه أن هذه كانت الطريقة القديمة لتوزيع المياه العذبة فى أنحاء المدينة القديمة بدلا من طريقة المواسير المستعملة حديثا فى المدن .

٥ — حمام كليوباترا :

وعلى سفح هذه التلال الواقعة بحرى البحيرة الغربية من جهة البحر يقع حمام كليوباترا الشهيرة وهو عبارة عن صخرة ناتئة فى البحر وعلى بعد ٥٠ مترا من الشاطىء ويحيط بها البحر من جميع الجهات ولها ثلاثة منافذ (ممرات) منقورة فى الصخر القبلى وهو مدخل الحمام والشرقى والغربى وهما معدان على شكل سرداب منقور فى الصخر تدخل فيه مياه البحر ويتصلان من الداخل بحوض كبير مربع أملس الجوانب لتخزين مياه البحر فيه .

ولما كانت أرضية الحوض مرتفعة قليلا عن سطح البحر فعلى الغالب أن الحمام كان يملأ صناعيا أو بطريقة المد والجزر والرأى الأخير هو الأغلب على الظن لأن سراديب (ممرات) المياه بها مجار محفورة فى جوانبها أفقيا مما يدل على أنها كانت مجهزة ببوابات حديدية أو خشبية لسد المياه وحجزها عن التسرب للخارج وهى تشابه الطريقة المستعملة فى بوابات قناطر الرى الآن .

ويوجد بالجهة الغربية من هذا الحمام جملة صخور مماثلة وأحواض قديمة مكسوة بالكلس ويظهر أن تأثير المياه والرياح والرمال أدى إلى تآكلها واندثارها . أما ألوان المياه المحيطة بهذه الصخور فى هذا المكان فلها من الهدوء والجمال والألوان الزاهية الجذابة مايقف أمامها الإنسان حائراً مذهولا ويفسر لنا سر اختيار هذا المكان كمصيف لملوك مصر القدماء .

أما البحيرات الواقعة شرقى الميناء ففيها بعض مدرجات صخرية توصل من الشاطىء إلى شرفة من الصخور المطلة على البحيرة ولا يعلم تاريخها بالضبط وفى أعلاها

أثر الحصن القديم السابق ذكره وبعض مبان مهجورة كانت مستعملة كاستراحة للزائرين والسياح قبل الحرب وفي الطرف الشرقي البعيد لهذه البحيرة أنشأت إحدى الشركات مصنعا للملح ولكن أوقف العمل فيه الآن لافلاس الشركة .

٦ — البلدة الحديثة :

أما البلدة الحديثة فواقعة على البحيرة الوسطى التي بها الميناء بحيث تكشف البحيرة والبحر نفسه بسهولة وهي مبنية على نظام هندسي بديع على سهل مسطح يحده البحر من الأمام ويحدها من الخلف سلسلة من المرتفعات بها عدد من الكهوف القديمة كانت مستعملة كمقابر رومانية ويستعملها العربان كمخازن للشعير والتبن وتقف هذه التلال كحاجز يمنع طغيان رمال الصحراء على البلدة ولكنها تسبب أحيانا دوامات ترابية مزعجة .

ومطروح عاصمة محافظة الصحراء الغربية وبها مركز المحافظة ومركز حكومي عظيم ممثلة فيه كل الوزارات تقريبا من تلغرافات وتليفونات وسكة حديد وطرق وكباري لوزارة الزراعة والصحة والدفاع الوطني أما شوارعها فمتسعة عظيمة على النظام الحديث وقد رصف أكثرها بالمكدام وأضيق شارع عرضه لا يقل عن ١٥ مترا ويقع كل منزل على شارعين .

والمواصلات إليها بطريق البر بوساطة طريق عمومي يصل إلى الاسكندرية ويتجه إلى السلوم ثم إلى طرابلس وهو جزء من طريق ساحل افريقيا الشمالي وتصل إليها السكة الحديدية وطريق البحر بطوافات الحكومة الساحلية كما تصل إليها كثير من المراكب الشراعية من الاسكندرية لحمل البضائع والمحصولات ومراكب الاسفنج ويمكن الوصول إليها أيضاً بطريق الجو وبها مطار من الدرجة الأولى على أنها فضلا عن ذلك متصلة ببلاد القطر والعالم بالتليفونات والتلغرافات السلكية واللاسلكية وبها فنادق من الدرجة الأولى مجهزة بالكهرباء والغرف ذات الحمامات الباردة والساخنة وبها فنادق أخرى من الدرجة الثانية رخيصة وصحية .

أما البلدة فتقع على شاطئ البحر مباشرة ولها شاطئ هادئ ذو رمال فضية

آية فى النظافة والجمال وتعتبر من أحسن شواطىء العالم جمالا وهدوءا ويضارع شاطىء الريفييرا بل يمتاز عنه بخلو الجو من الرطوبة وبألوان البحر الزاهية الجذابة من فيروزى إلى أخضر فاتح وأزرق صاف مما تتحير فيه العقول ويثير دهشة الزائر الغريب . وتعتبر مطروح أهدأ مكان فى مصر لقضاء صيف جميل . وبها الآن عدد كبير من معسكرات الصيف لكثير من النوادى والهيئات وبيوت الشباب وغيرها .

٧ — السكان :

ويسكن مطروح من العرب أولاد على ومن المهاجرين من طرابلس وبعض المغاربة وبها من الجاليات الأجنبية . كما يقيم بها السادة السنوسيون أشراف المملكة الليبية ولهم هناك مركز دينى واحترام عظيم وتعتبر مطروح أكبر مركز تجارى بالصحراء الغربية لسهولة مواصلاتها كما أنها ترتبط بواحة سيوة بطريق للسيارات تقطعه تقريباً فى خمس ساعات كما تتصل بطرق أخرى لأنحاء الصحراء .

ويقوم بالتجارة هناك مجموعة من التجار المصريين (سكان وادى النيل) والعرب والطرابلسيين والمغاربة واليونانيين ، وأهمها الشعير والصوف والأغنام والشاى والسكر .

٨ — صيد الاسفنج :

أما صيد الاسفنج فى مرسى مطروح فصناعة قديمة يرجع تاريخها إلى قرون بعيدة ويعتبر اسفنج هذه المنطقة من أحسن الأنواع فى العالم ويبدأ فى فصل الصيف سنوياً من شهر مايو إلى أكتوبر حيث تزدحم الميناء وساحل البحر القريب بأسطول عظيم من مراكب الصيد الصغيرة ومخازنها من المراكب الكبيرة الشراعية وأصحابها يونانيون من سكان جزائر الأرخبيل وعلى الأخص جزائر الدودكانيز وهم قوم ورعون لهم كنيسة — هى الوحيدة بالبلدة — وقساوسة من اليونان .

أما طريقة الصيد فغريبة وخطرة إذ يلبس الصياد بدلة من الكاوتش الخفيف ملتصقة بخرطوم متصل بمروحة كهربائية من كابينة بالمركب ويتدلى بثقل من الأحجار ويبقى تحت الماء مدة تتراوح بين ست وعشر دقائق حسب العمق الموجود فيه الاسفنج . فإذا زادت المدة واشتد الضغط لأى سبب يموت أكثرهم من انفجار الشرايين فضلا عن تعرضهم لمهاجمة الأسماك الكبيرة وقد بدأ الآن تدريب العرب على هذه الصناعة الفنية وستصبح قريباً من مصادر الثروة لهذه المنطقة .

٩ — المياه العذبة : (الآبار الرومانية) :

كان الرومان يحفرون خزانات صخرية فى سهول التلال تحت مجارى السيول ، فتمتلئ هذه الخزانات بآلاف من أطنان المياه العذبة فى فصل الأمطار ثم استنبطوا طريقة حفر سراديب المياه إلى مستوى المياه الحلوة ، فتسير بها تحت الأرض لمسافات طويلة وجعلوا لها فتحات لجذب المياه الحلوة طول العام بطريقة الرشح بدل التخزين .

وقد استنبط المهندسون العسكريون نفس الفكرة وصنعوا آباراً مماثلة تجلب يومياً كمية عظيمة من المياه بلا تعب أو عناء وبخاصة فى مراقد السيول ويحفر الأهالى حفرة بسيطة بالقرب من الشاطئ حتى يصلوا إلى مستوى المياه العذبة فينشلوها من الرمال ولو أنها غير عذبة تماما ، ولكنهم يشربونها بالمساعدة مع مياه خزانات الأمطار المنتشرة هناك بكثرة .

وتقوم هيئة تعمير الصحارى بعمل مشروعات عظيمة للمياه فى أنحاء الصحراء العامة تكلل أكثرها بالنجاح .

١٠ — الزراعة فى ضواحى مطروح :

وفى ضواحى مطروح غوط رباح وجناين أبو زهويق والشيخ عرابى وعلم الروم وذيل الخروبة وقصر أبى محجوب وكلها أراض زراعية نجحت فيها زراعة

الزيتون والتين ولما ازداد عدد السكان أصبحت تزرع بأنواع الخضروات والبقول والبطيخ والخيار والثوم . . . الخ ويعتبر البطيخ بها من أحسن أنواع البطيخ فى العالم حلاوة ومذاقاً . وتقوم وزارة الزراعة بتجارب عظيمة وقد نجحت فى زراعة الزيتون وأنشأت هناك معصرة لعصر الزيتون .

١١ — حاصلات واحة سيوة :

وبالنسبة لازدياد حركة النقل بالسيارات بين سيوة ومطروح ، فإن محصولات واحة سيوة غزت أسواق مطروح ، وأصبحت مركزاً تجارياً للتصدير منها بالسكة الحديدية أو البحر إلى داخل القطر المصرى .

١٢ — سوق البدو :

ويقع خارج البلد ، إذ يقام فى يوم الأربعاء من كل أسبوع سوق يقوم أكثر عمله على تجارة المواشى من جمال وأغنام وماعز وخيول وحيوانات ، ويستعمل كثير من الأعراب طريقة البيع بالمقايضة فيبيعون للتاجر صوفاً وأغناماً ويقايضونه عليها بالشاى والسكر والحبوب الخ .

١٣ — ملابس البدو :

ويلبس الأعراب هناك أحزمة بيضاء من الصوف تسمى (الجرد) وتختلف قيمتها باختلاف صوفها وصناعتها ، وكانت تصنع سابقاً فى الغرب ، والآن بدءوا يصنعونها بالصحراء ، وهناك أحرمة خفيفة للصيف وأخرى ثقيلة للشتاء ويوضع الحرام على الرأس ويلف به باقى الجسم وأحياناً يلبسون الطربوش المغربى ، والرجال طوال القامة مسحوبو الوجه طيبو السيرة . أما نساؤهم فعلى قسط وافر من الجمال ، ويرجع ذلك إلى عيشة البداوة التى يعشنها . وخيامهم منخفضة ومتسعة ومصنوعة من الشعر ، ويفرشها أغنياؤهم بالأكلة والسجاجيد وجميعهم مغرمون بشرب الشاى ولهم طريقة خاصة فى صنعه وتناوله وهم يفترشون الأرض .

٧٨ - من مرسى مطروح إلى السلوم

****

المحل	كيلو متر داخلى	مجموع	ملاحظات
مرسى مطروح	—	—	اتخذ طريق السلوم غرب البلدة
مفرق طريق سيوه	٥	١٥	اتخذ الطريق الأيمن .
بير حلازين	٣٠	٤٥	
مفرق النجيلة	٢٠	٦٥	بلدة النجيلة ١٠ كم بحرى الطريق
زاوية شماس	٢٨	٩٣	موقعة حربية قديمة (الحرب العالمية الأولى)
المقتلة	١٦	١٠٩	موقعة حربية قديمة (الحرب العالمية الأولى)
سيدى برانى	٢٧	١٣٦	مركز شرطة ـ بترول ـ تليفون
بج بج	٤٥	١٨١	نقطة ـ مراقبة للحدود
السلوم	٢٧	٢١٨	مركز شرطة ـ تليفون ـ جمرك
كابتزو (قلعة)	١٠	٢٢٨	الحدود بين مصر وليبيا

ملاحظات :

سيارات اتوبيس من السلوم ومرسى مطروح يوميا .

سيارات اتوبيس من السلوم وبنى غازى ٦٢٤ كم مرتين فى الأسبوع .

الطريق من مرسى مطروح إلى السلوم — ٢١٤ كيلو مترا .

جزء من طريق السيارات على ساحل افريقيا الشمالى .

القسم الثانى من مرسى مطروح إلى سيدى برانى والسلوم ٢١٤ كم .

الخرائط مطروح نصف مليون أو مطروح وبرانى والسلوم ١ / ١٠٠,٠٠٠

مقدمة :

١ — من الاسكندرية إلى مطروح ٢٩٠ كيلو مترا ٧ ساعات .

٢ — من مطروح إلى سيدى برانى ١٣٧ « « ساعتان

٣ — من سيدى برانى إلى السلوم ٧٧ « « ساعة ونصف

٤ — من السلوم إلى آخر حدود ليبيا غربا ١٨٢٢ كيلو مترا .

٥ — من حدود ليبيا غربا إلى تونس ٤٧٩ كيلو مترا .

القسم الأول من هذا الطريق سبق وصفه وهذا وصف القسم الثانى من مطروح إلى سيدى برانى ١٣٧ كم معبد بالكدام .

يخرج من مطروح إلى سيدى برانى طريقان أحدهما الطريق الساحلى (ويسمى بدرب السواحل القديم) ويسير على الشاطئ ولكنه غير معبد والثانى الطريق الجديد المعبد ويسير فوق الهضبة ، وقبل الكلام على الطريق الثانى (المعبد) سنذكر نبذة صغيرة عن الطريق الساحلى القديم .

الطريق الرومانى (الساحلى القديم) :

يسير الطريق موازيا تماما لساحل البحر الأبيض المتوسط وقد كان هو طريق القوافل والغزاة من الرومان والعرب الفاتحين وقد سلكه العرب عند غزوهم الأندلس ثم طرقه الفاطميون عند فتحهم لمصر ولو أن هذا الطريق غير معبد ولكن يمكن للسيارات الخفيفة أن تسير فيه بصعوبة وتقطع هذا الطريق وديان

عظيمة تجتاحه دائماً عند تدفق مياهها نحو البحر الأبيض المتوسط ولكن لهذا الطريق ميزة مهمة وهى مروره على الآبار الساحلية والأراضى المزروعة بالقرب من الساحل والآهلة بالسكان ويستعمله دائماً العربان لكثرة المرور فيه وسهولة وجود المياه والمطايا كما يقع عليه كثير من الزوايا الدينية التابعة للطريقة السنوسية كزوايا أم الرخم والعبيدية والنجيلة وشماس الخ . . وقد فقدت قيمتها الدينية بعد أن تركها السادة السنوسيون ! .

ملاحظة :

هذا الطريق كان قبلا عبارة عن درب جمال وقد انتهزت فرصة إغارة الجراد وتوطنه فى المناطق القريبة من الساحل فقمت بتحويله إلى طريق صحراوى صالح لسير السيارات الخفيفة ، وذلك فى شهر مايو سنة ١٩٣٧ (وكنت مأموراً لقسم مطروح والضبعة) وهو يحتاج للصيانة سنويا ، لأن مياه الوديان تهدمه فى طريقها إلى البحر ، ويخرج هذا الطريق من مطروح ماراً بفندق الليدو ثم يجتاز الساحل الجنوبى للبحيرات الغربية ويمر بناحية قصر الحاجيب وهى منطقة عظيمة غنية بالزراعة والسواقى والآبار وبعدها يخترق وادى الاشطان وناحية أم الرخم (إحدى زوايا السنوسية القديمة ، وقد حصلت بها معركة بين السنوسيين والجيش البريطانى) ثم يضيق الشريط الساحلى فتتصل الهضبة بالبحر ، وكان من الصعب على السيارات ارتقاؤه ولكنا تمكنا من عمل نقب من السهل اجتيازه بالسيارات من الشاطئ إلى الهضبة بالقرب من رأس أبى لهو . بعدها يسير الطريق ويمر بجهة العبيدية وبها كثير من الآبار ثم مرسى العاصى فأراضى الشتور فزاوية اللاح وزاوية النجيلة (وهى من الزوايا السنوسية القديمة) وهذه المنطقة آهلة بالسكان وهى مركز تجارى عظيم وبها ميناء صغير لرسو السفن الساحلية وسفن الاسفنج ويتصل أخيراً هذا الطريق بالطريق الآخر المعبد بطريق طوله ١٠ كم ، ثم يمر الطريق بناحية مرسى جرجوب وهى آخر حدود قسم مطروح . ثم يمر بزاوية شماس وهى متصلة بالطريق المرصوف العمومى وبطريق فرعى طوله نحو ٨ كم وبعد

ذلك يمر بمناطق البصرى ثم بناحية المقتلة (وفى هذه الجهة حدثت الموقعة الفاصلة بين قوات السنوسى وقوات الجيش البريطانى فى سنة ١٩١٦ وأسر فيها جعفر باشا) وبعدها يمر الطريق بزاوية الطرفة ومنها لآبار الدرين وبعدها إلى سيدى برانى أو (البمبة) وهو اسمها القديم .

وقد اجتاز الجيش البريطانى هذا الطريق نفسه فى سنة ١٩١٦ فى العمليات الحربية ضد السنوسى فى الحرب العالمية الأولى .

الطريق المعبد بالمكدام من مطروح إلى سيدى برانى (جزء من الطريق الساحلى الدولى من اسكندرية إلى طنجه) :

أما الطريق المعبد بالمكدام فهو طريق جيد جداً للسير بالسيارات عرضه ٦ أمتار وتسير السيارات فيه بسرعة من ٦٠ إلى ٧٠ كيلومتر وهو قليل المنحنيات ويسير فوق الهضبة على خط مستقيم تقريبا .

ويبدأ هذا الطريق من الجهة الغربية لبلدة مطروح وبعد ٧٠٠ متر تقريباً من البلدة يفترق إلى مفرقين فالأيمن يتجه إلى فندق « الليدو » (وهو طريق الساحل القديم السابق ذكره) أما الطريق الأيسر فيسير صاعداً هضبة بسيطة ينكشف بعدها منبسط عظيم من الأرض وبعد ٤ كيلو متر يمر بميدان الطيران ويسير متجهاً للجنوب الغربى وبعد ٩ كم ينحدر الطريق هابطاً إلى وادى الرمل .

وادى الرمل «٩» كيلو متر :

وهو من أكبر الوديان غربى مطروح (عبارة عن ملتقى عدة وديان صغيرة تصب فيه ويسير متجهاً للجهة البحرية ليصب فى البحر عند جهة قصر الحاجيب) ويخترق الطريق .. الوادى ، ثم يأخذ فى الصعود تدريجاً متسلقا الهضبة ويمر عند الكيلو ١١ بجبل صغير مستدير يسمى « المدور » (ويقطن هذه المنطقة ومنطقة وادى الرمل قبائل العشيات من أولاد على الأحمر) وبعد ٦ كم يتم الطريق — الصعود إلى أعلى الهضبة — فيصل إلى مفرق طريق برانى وسيوه .

مفرق طريق برانى وسيوة (كيلو ١٥) :

وعند هذا المكان ينقسم إلى فرعين : الايسر ويتجه جنوبا وهو طريق سيوة أما الطريق الأيمن فهو طريقنا الأصلى ويتجه للغرب ويسير فوق أرض سهلة مسطحة تكتنفها المراعى والزهور الجميلة من كل الجهات ثم بعد نحو ٧ كم يمر بجهة اليسار بآبار تنمو بجوارها أشجار التين وتسمى (آبار الشولحى) وقد نشبت فيها معركة أخرى بين السنوسيين والجيش البريطانى فى الحرب العالمية الأولى ويستمر الطريق على هذا المنوال ماراً بعدة دواوير وخزانات رومانية كأبيار (الدافعة) وبعدها بنحو ٥ كم ونصف يصل الطريق إلى واد كبير وعليه كوبرى ويسمى هذا الوادى بوادى حلازين .

وادى حلازين (كيلو ٤٥) :

وبالقرب من الناحية البحرية ناحية حلازين وهى مركز لقبائل الشتور والجميات وفى الجهة القبلية من هذا الوادى وعلى بعد ١٠ كم تقريبا توجد آبار أبى تونس الشهيرة (التى وقعت فيها معركة حلازين الشهيرة بين السنوسيين والجيش البريطانى فى ٢٣ من يناير سنة ١٩١٦) ويجتاز الطريق كوبرى وادى حلازين وعند نهايته يوجد طريق فرعى بجهة البحرى يصل إلى ناحية العبيدية والطريق يستمر غربا وبعد ٧ كم أخرى يتفرع من الجهة اليمنى (البحرية) طريق فرعى يصل إلى جهة النجيلة بعد ٢٠ كم . ويستمر هذا الطريق الأصلى لجهة الغرب وبعد ١٣ كم أخرى يصل إلى مبنى يسمى (دوار أبى شهبة) وهناك مفرق النجيلة .

مفرق النجيلة « نقطة بوليس النجيلة » (كيلو ٦٥) .

وعند هذه النقطة يفترق طريق فرعى صحراوى يتجه إلى جهة البحر ليصل إلى نقطة النجيلة على بعد ١٠ كم من هذه النقطة والطريق متوسط لا بأس به صالح لسير السيارات عموما .

النجيلة :

وهى قرية صغيرة يبلغ عدد سكانها حوالى ٥٠٠ شخص واقعة على البحر ومبانيها بالحجر مطلية بشكل حسن ، وهى إحدى زوايا السنوسية القديمة وبها كثير من أملاكهم وبها بعض حدائق العنب والتين وبعض الخضراوات والبطيخ وتزرع على طريقة الشواديف حيث المياه قريبة ولكنها غير عذبة تماما ، وأغلبية سكانها من الطرابلسيين المهاجرين وهم يتولون شئون التجارة هناك .

وهى بحكم مركزها فى وسط الطريق بين برانى ومطروح أصبحت مركزاً تجاريا للأعراب المجاورين للمنطقة ولها ميناء صغير ترسو فيه المراكب الشراعية وقت الصيف لنقل الشعير للاسكندرية وإحضار البضائع منها .

وهناك بقايا آثار مدينة رومانية قديمة تقع على الطريق الساحلى وبها كتاب صغير لتعليم الأولاد القرآن الكريم .

من مفرق النجيلة (طريق الأسفلت العمومى) :

من هذا المفرق يسير الطريق المعبد بالمكدام ويتجه غربا وبعد ١٣ كم ينعطف قليلا لجهة اليسار عند نقطة تسمى الضوايا وهي الحد الغربى لقسم مطروح وبعد الضوايا بنحو ٥ كم أخرى يجب الاحتراس فى القيادة حيث ينحدر الطريق ويدور فى بطن وادى (أبى مرزوق) وبعد الوادى يستقيم الطريق متجها إلى الشمال الغربى تدريجا ، وبعد ٧ كم ونصف من الوادى يصل الطريق إلى مفرق زاوية شماس .

مفرق زاوية شماس (كيلو ٩٣) :

عند هذه النقطة يوجد طريق فرعى آخر يتجه نحو البحر ويصل بعد ٦ كم إلى ناحية زاوية شماس وهي مجموعة دواوير وآبار قليلة وقد ورد ذكرها

فى كتب مؤرخى الرحالة العرب فى طريقهم إلى المغرب مثل (كتاب فتوح المسالك والممالك . لابن خرداذبة) و (كتاب البلدان .. لليعقوبى) وبعد مفرق شماس يستمر الطريق فى السير ويقترب من الشاطىء حتى يصل إلى كم (القتلة) .

(كيلو ١٠٩) القتلة :

وهى ناحية بها مناطق على الشاطىء وليس لها شهرة غير موقعة شهيرة حدثت سنة ١٩١٦ بين قوات جعفر باشا وقوات الجيش الانجليزى وتعتبر تقريبا الموقعة النهائية فى هذا الميدان .

بعد ذلك يستمر الطريق قريبا من البحر وهو طريق سهل للسير يمر بدواوير وجناين منتشرة شرقا وغربا وبعد نحو ٢٠ كم تظهر عن بعد مبان بيضاء وإذا كان الليل يظهر نور فنار برانى ويستمر السير سهلا إلى أن يصل إلى سيدى برانى :

سيدى برانى (كيلو ١٣٧) ٤٢٩ كم من الاسكندرية :

وسيدى برانى مركز تجارى عظيم للأعراب وكان فيما مضى من المراكز التجارية لليبيا وطرابلس . وهى سوق للقوافل القادمة من السودان وجغبوب والكفرة ودرنة وبنى غازى وهى شهيرة بتجارة الأغنام والابل ثم بتجارة الرقيق قبل أن تلغى رسميا ، كما أنها مركز دينى عظيم للطريقة السنوسية والمدنية (طريق السيد الظافر) وترجع شهرتها إلى وفرة مياهها وعذوبتها كما أنه تحيط بهذه المنطقة أراض زراعية ومراع عظيمة . ولها شهرة رومانية أثرية قديمة وكانت تسمى (بومبا) وللبلدة ميناء صغير ترسو فيه السفن ولكنه بعيد عن الشاطىء لأنه صخرى ومكشوف للريح وتتعرض فيه السفن للأخطار وقت اشتداد الرياح ويوجد بها مستشفى ومركز للشرطة ومفتش قسم برانى والسلوم ومكتب للبريد والتلغراف والتليفون للمكالمات الخارجية . أما زاوية سيدى برانى القديمة فتبعد عن سيدى برانى جنوبا مسافة ٦ كم ونصف وقد قلت أهميتها الآن وقد ورد ذكرها كثيرا فى معركة الصحراء الغربية .

من سيدى برانى إلى السلوم ٧٧ كم :

ومن سيدى برانى يتجه الطريق غربا مخترقا شوارع البلدة ، وهو مرصوف بالمكدام وصالح للسير فى كثير من أجزائه ، سهل لكل أنواع السيارات وخصوصا الطريق السفلى (طريق اللاحة الصيفى) وتجتاز السيارة المسافة بين سيدى برانى إلى السلوم فى مدة تختلف بين ساعة وربع أو ساعة نصف ويسير الطريق بالقرب من خط التليفون والتلغراف وقد تم رصفه أخيرا فى أثناء العمليات الحربية بالصحراء الغربية سنة ١٩٤٢ :

طريق (درب السواحل القديم) :

ومن سيدى برانى يخرج أيضا طريق قديم يسير بالقرب من الساحل وهو امتداد طريق مطروح برانى القديم الساحلى وكان لا يصلح إلا لسير القوافل والدواب ويمر فى وسط المزروعات والمياه ويستعمله العرب أسوة بطرق السواحل الأخرى .

طريق السيارات من سيدى برانى إلى السلوم :

يخرج الطريق من غرب سيدى برانى متجها إلى الغرب ومنحرفا قليلا للجنوب ويخترق مرتفعات ومنخفضات ولكنها سهلة السير وبعد ١٢ كم يمر بشون ودواوير عربان العشيبات وبعدها ب ٥ كيلو متر ونصف يمر ببئر المعابدة وبعدها ب ٥ كم يمر على آبار العزيزية ومن هناك لو نظرت نحو الشاطىء البحرى لرأيت تلالا بيضاء من رمال الشاطىء لها منظر جميل يشبه تلال سويسرا المغطاة بالثلوج ، ويستمر الطريق فى السير والاقتراب منها تدريجيا وبعد نحو ٤٣ كم من برانى يصل إلى مفرق طريق أيسر يتجه جنوبا وهو طريق صعب السير ويصل إلى بئر (السبيل) ومنه لسيوة والطريق الأصلى هو الطريق البحرى وبعد المفرق بنحو ٢ كم يمر بمبان قديمة على تل مرتفع هى بقايا نقطة السواحل القديمة المعروفة بناحية (بج بج) .

بج بج ٤٥ كم من برانى أو ٣٢ كم من السلوم :

وليس لناحية بج بج أية أهمية سوى أنها كانت مركزاً قديماً لخفر السواحل وبقربها بعض آبار ومعاطن للسقى ، كما أنها ملتقى طرق قديمة للقوافل وبالقرب منها يتفرع الطريق إلى فرعين : (الأيمن) البحرى وهو طريق الصيف ويسير فوق الملاحة و (الأعلى) القبلى .. ويسمى بطريق الشتاء ، وتستعمله السيارات مدة الشتاء لأنه يسير فوق المرتفعات بعيداً عن مجارى المياه ، ولأن طريق الصيف بالنسبة لسيره فوق الملاحة فإن السيارات تغوص فيه فى موسم الأمطار لأن أرضه لزجة . وبعد سير سهل تنكشف أمامك فى الأفق جبال متجهة نحو الشاطئ ولاتزال تقترب منه تدريجياً إلى ماقبل الوصول إلى السلوم بنحو ٤ كم يلتقى الطريقان الصيفى والشتوى فتلاحظ عن يسارك طريقاً يتجه نحو الجبل وهذا هو طريق (نقب الحلفاية) وهو المنفذ الوحيد لارتقاء هضبة (ليبيا الكبرى) وفى هذا المكان نشبت موقعة بين السنوسى والجيش البريطانى بالسيارات المسلحة بقيادة (دوق وستينتر) حيث تعقب بقايا الجيش المهزوم واستمر فى السير فقطع نحو ٢٠٠ ميل فى ٢٤ ساعة وتمكن من إنقاذ بحارة الباخرة « تارا » الانجليزية وكانوا فى الأسر عند السنوسيين وذلك فى ١٤ من مارس سنة ١٩١٦م ، وقد كان إنقاذ هؤلاء الأسرى حادثاً عجيباً ساعد فيه الحظ أكثر من القدرة وتم إنقاذهم بعد أن يئسوا واستسلموا للموت فى شمس محرقة وسط رمال الصحراء على بعد ١٠٠ ميل تقريباً فى الداخل ، ولم يفكروا يوماً فى العودة إلى الحياة العمرانية ولما أعيدوا إلى السلوم أرسلوا بباخرة خاصة للاسكندرية ومنها لانجلترا فاستقبلوا استقبالا حماسياً أنساهم ما لاقوه من متاعب الأسر كما كان هذا المكان أيضاً اسفيناً للجيوش الألمانية لعرقلة تقدم الجيوش البريطانية نحو الغرب فى الحرب العالمية الأخيرة .

الســــلوم

السلوم ٧٧ كم من برانى أو ٢١٥ كم من مطروح و ٥٠٦ كم من الإسكندرية :

بعد مسافة بسيطة تظهر بلدة السلوم بمبانيها البيضاء المنتظمة وهى على الخليج المسمى باسمها وهو خليج عظيم على شكل حدوة الفرس ، والبلدة محاطة بهضبة عظيمة من الجبال من جميع الجهات ما عدا الجهة الغربية حيث تشرف على البحر وبها شارع رئيسى طويل وبعض المحال التجارية بها الكثير مما يحتاج إليه المسافر ومكتب للبريد وآخر للبرق ومستشفى وميناء له رصيف طويل لرسو السفن ، وبها آلات بخارية (كندسة) لتقطير المياه ليستقى منها موظفو الحكومة ، أما الأهالى فيشربون من آبار مياهها قليلة العذوبة وهم خليط من العرب والمغاربة والسودانيين ، فبينما تشاهد وجوهاً عربية جميلة إذ تمر بك وجوه كالحة سوداء ، كل هؤلاء وصلوا مع القوافل القادمة من أواسط أفريقيا والسودان . وينتهى بك السير إلى نهاية البلدة حيث يلتصق الجبل بالبحر ويأخذ الطريق فى الصعود بميل حاد ليرتقى إلى أعلى الجبل البالغ ارتفاعه ٦٠٠ قدم عن سطح البحر وفى أعلاه تشاهد هضبة منبسطة ويبدو لك منظر من أبهى المناظر ، وفى أعلى الهضبة أقيمت قشلاقات للجيش المصرى مشيدة على الطراز الحديث بلغت تكاليفها نحو ٩٠ ألفاً من الجنيهات ، وأقيم مرصد للطبيعيات وتوجد بها طابية تركية قديمة تسلمها الخديو السابق من الأتراك فى سنة ١٩١٢ أثناء حرب طرابلس وهى ذات موقع مرتفع جميل كما توجد سكة حديد هوائية تصل أسفل الجبل « الميناء » بأعلاه لسهولة إيصال البضائع وخلافها للمعسكرات .

وعند هذه النقطة وبعدها بنحو ١٠ كم تبدأ الحدود الليبية والطريق الجديد الذى يخترق شمال طرابلس . وتبعد طبرق عن السلوم بنحو ١٥٩ ميلا ومنها لدرنة ١٨٤ كم ومن بنى غازى ٣١٧ ميلا .

تاريخ السلوم :

وهذه البلدة ذات تاريخ قديم ، وكانت تسمى قديماً « بأنارمس » فى عهد

الرومان ، وكانت مدينة عظيمة تحكم هذا الإقليم ولا تزال توجد بها بعض خرائب منتشرة فى الطريق وفى أعلى الجبل ، وإن كان الأثريون لم يوجهوا إليها اهتماماً للآن .

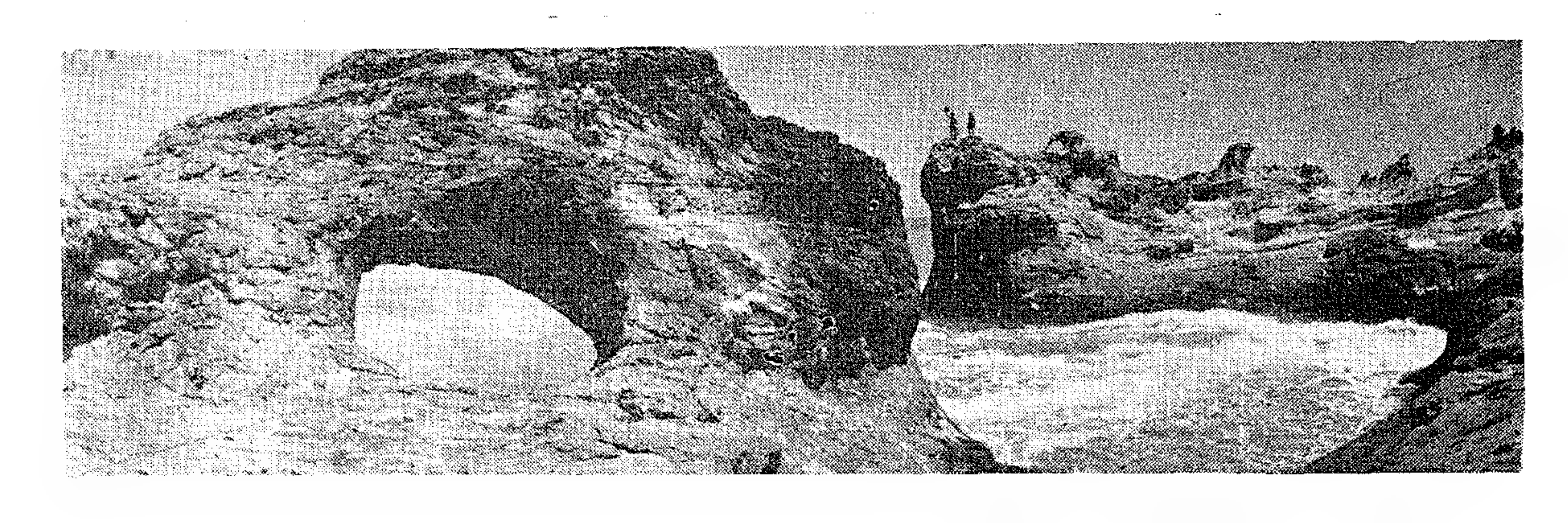
وتبعد جزيرة « كريت » عنها بنحو ٢٣٠ كم وهى أقرب نقطة فى الأراضى المصرية لأوروبا ، وتهطل الأمطار فى هذا الإقليم بغزارة متناهية وتتحول أحياناً إلى سيول عظيمة تجتاح فى طريقها الأحجار الكبيرة والأهالى والمواشى وتحدث أضراراً عظيمة ، ويحفر الأهالى فى منازلهم خزانات صخرية لمياه الأمطار للشرب منها طول العام ، ويظهر أن هذه الطريقة مستعملة من أيام الرومان فقد وجدت الخزانات العظيمة منقورة فى الصخور لتخزين المياه وتسع آلاف الأطنان ولها قنوات موصلة إليها من منحدرات الجبال .

ويتمتع المسافر هناك بصيد السمك من الأنواع الجيدة وينتشر الغزال بكثرة فوق الهضبة .

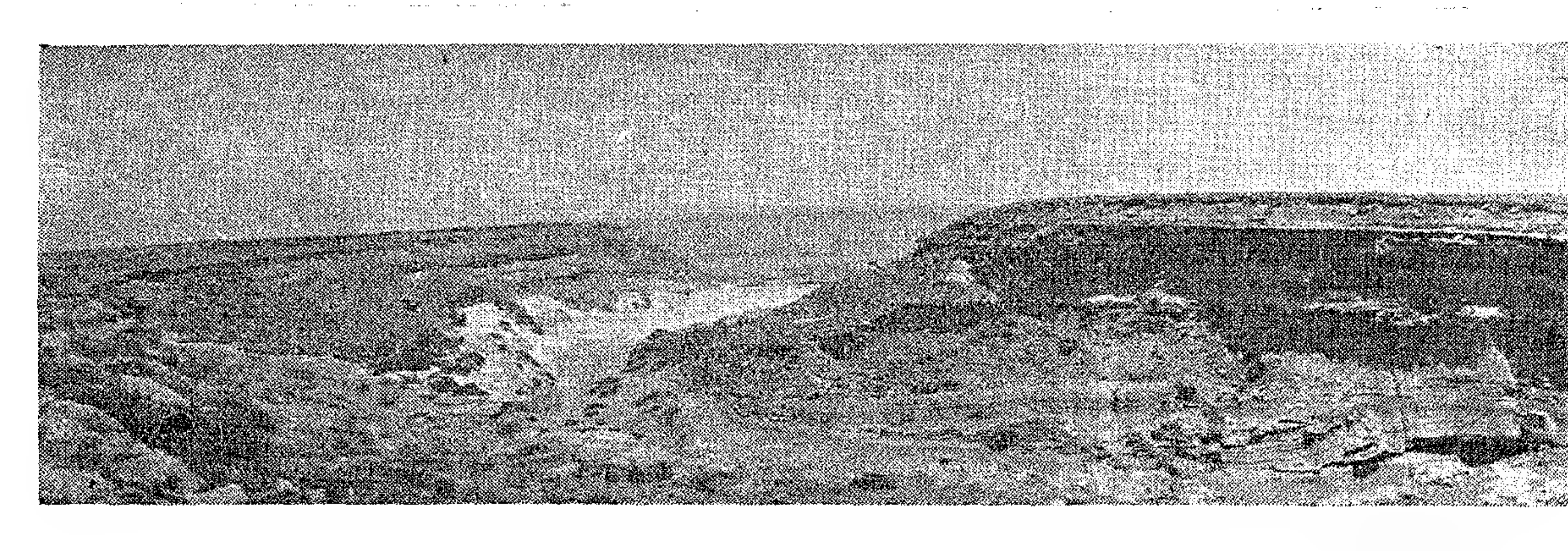
من السلوم إلى حدود برقة ١٠ كم :

بعد أن يتم المسافر إجراءاته الجمركية وجوازات السفر بالسلوم يتجه إلى أعلى الهضبة متسلقاً طريقاً جميلاً معبداً بالأسفلت طوله نحو ٤ كيلو مترات حيث يشاهد منظراً جميلاً لخليج السلوم والبلدة .

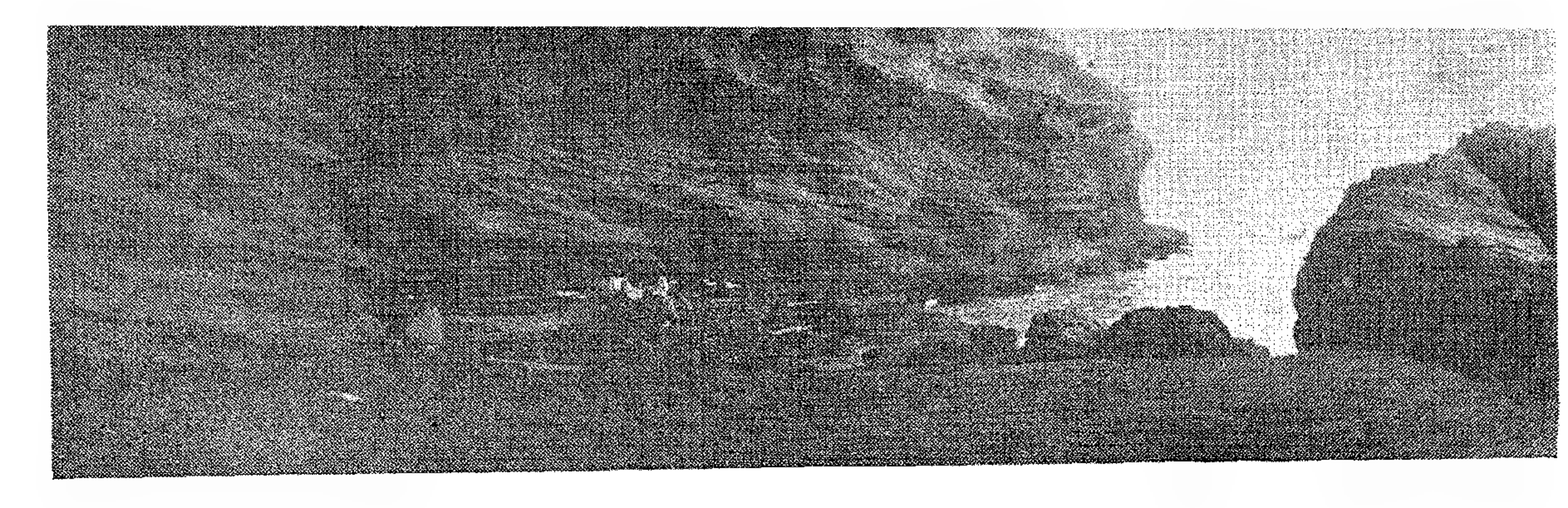
وبعد ما يصل إلى أعلى الهضبة يسير فوق طريق صحراوى مسافة ٦ كيلومترات يصل بعدها إلى الحدود حيث توجد بوابة ورجال الحامية المصرية والليبيون والجمارك للتفتيش .



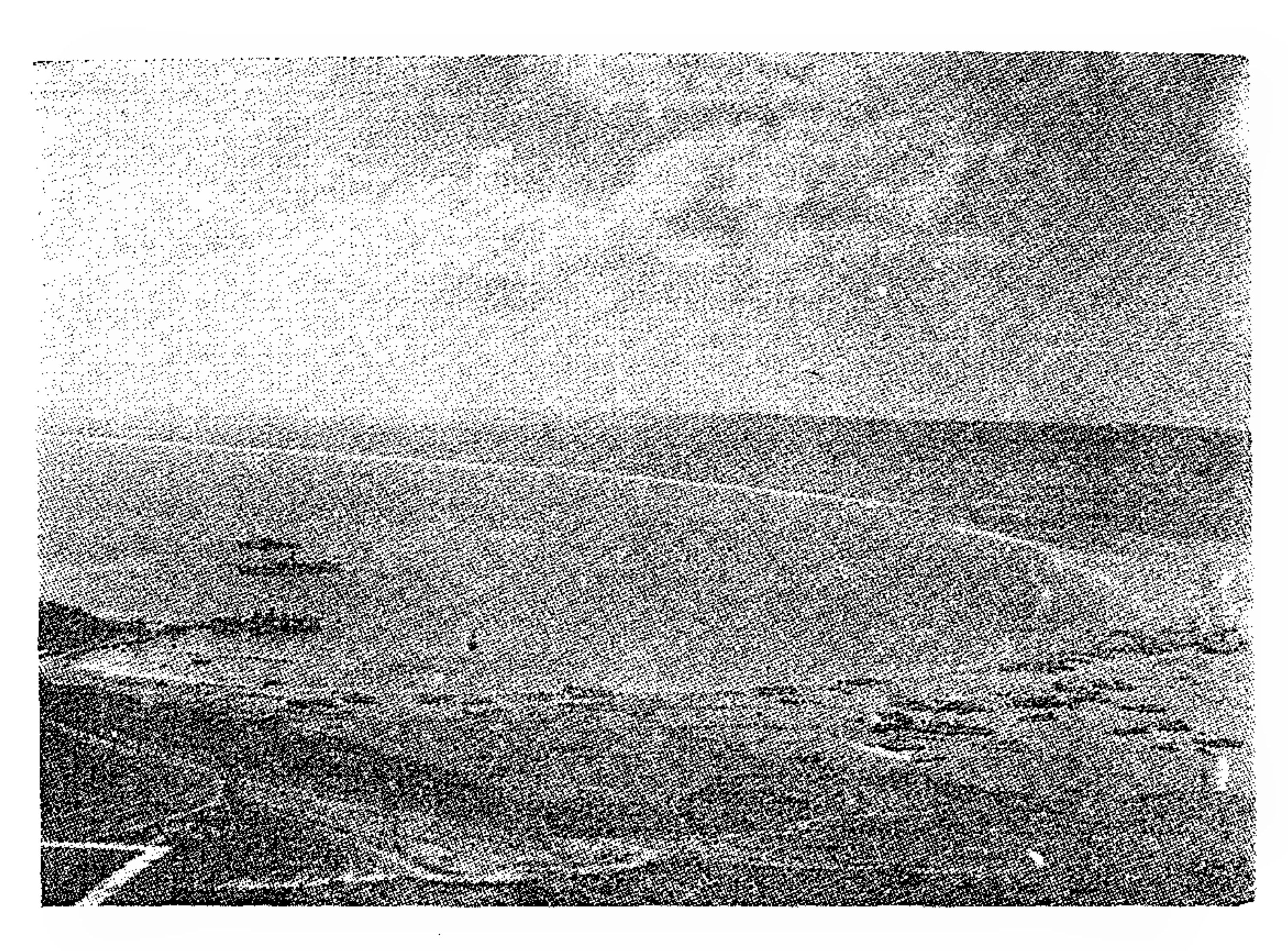
الشاطىء بغرب مطروح منطقة عجيبة — بجوار مرسى مطروح



وادي الرملة بالسلوم

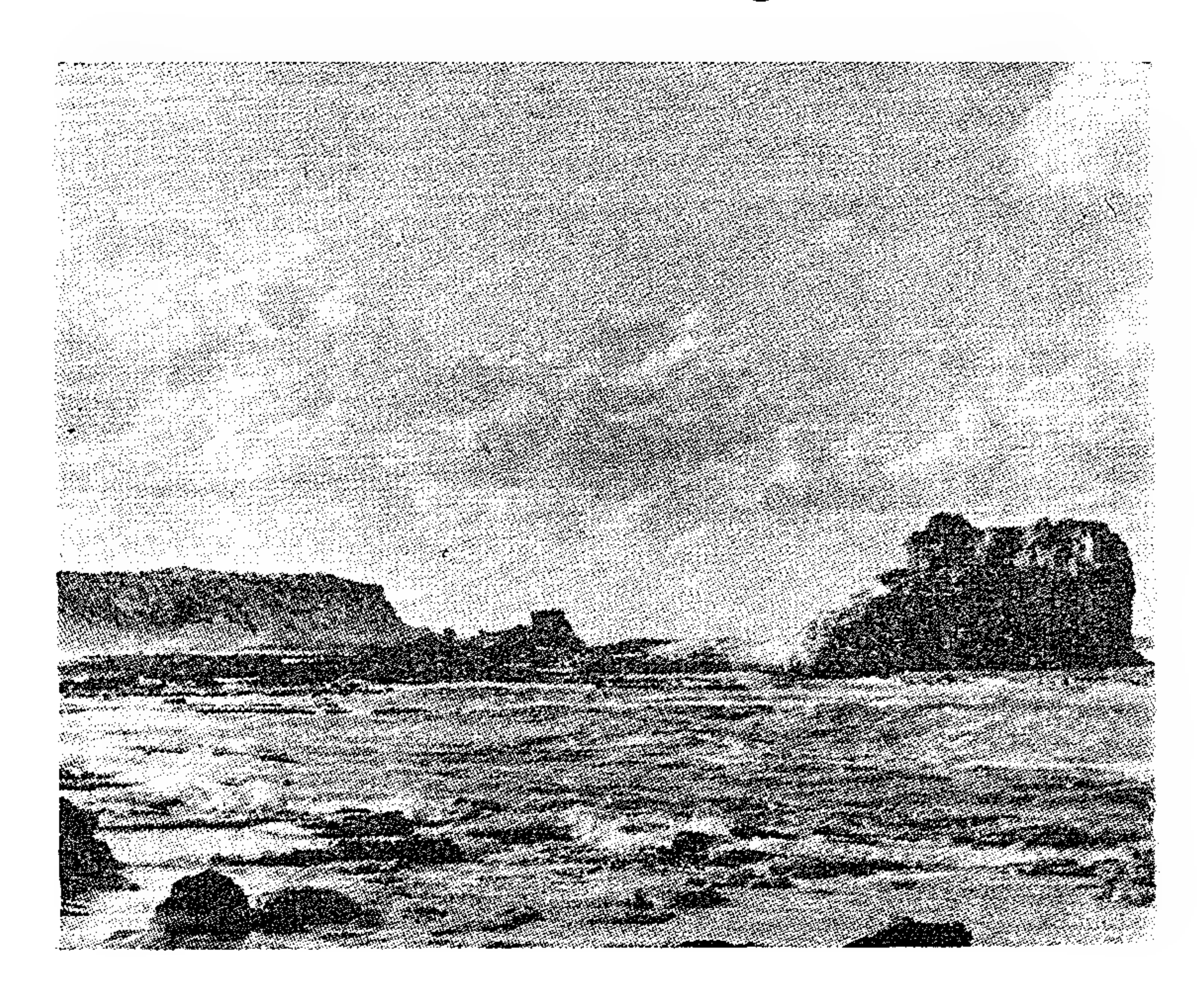


خليج المحاجيب بجوار مرسى مطروح



خليج السلوم

حمام كيلوبترا بجوار مرسى مطروح



البابُ الثانى

:******************

البدو والبداوة

فى الصحراء الغربية

وحياتهم الاجتماعية

****

البدو :

ينقسم البدو إلى قسمين (الأول) العشائر البدوية التى تعيش طيلة فصول السنة فى البادية وتنشر بيوتها فى الربيع وتتجمع فى الصيف حول الآبار .

(والثانى) العشائر البدوية التى تعيش قرب الأراضى الزراعية فى بعض فصول السنة وترحل إلى البادية فى أوائل الخريف أوتستمر فى معيشتهابالريف . ولكل منها ميزات خاصة .

وللبدو قواعد وحقوق معينة تتناول طرق معيشتهم ومواردهم وعلاقتهم بعضهم مع بعض ويبدو ذلك فى النظم الاجتماعية التى يجب النظر إليها قبل تقرير تحسين أحوالهم .

ويخضع البدو فى منازعاتهم لقواعد خاصة مستمدة من العرف والتقاليد والحقوق البدوية أهمها :

(١) حق الدم .

(٢) وحق الدخيل .

(٣) وحق الجار .

(٤) وحق الضيف الخ والتعويضات عن الدية وغيرها وقد ورد ذلك تفصيليا فى هذا الكتاب .

ومن خصائلهم الكرم والشجاعة والنجدة والصدق والصراحة والوفاء وحفظ الأمانة والصبر على الشدائد والمحافظة على شرف المرأة ولكل قبيلة عادات خاصة تختلف عن القبائل الأخرى

اختلاف حياتهم عن حياة الريف والمدن :

وتختلف حياتهم عن حياة الريف والمدن والتبادل التجارى وتطور مظاهر الحياة الاجتماعية والجندية وغيرها .

استقرار القبائل فى مناطقها :

تختلف الوسائل التى تكفل استقرار القبائل فى مناطق توطينها باختلاف تلك المناطق والعشائر وكل وسيلة يجب أن تلائم طبيعة أفراد العشيرة وتتمشى مع ما جبلوا عليه من عادات وتقاليد حتى يمكن القضاء على النظم القبلية التى أصبحت نظاماً اجتماعياً متأخراً لا يساير ركب المدنية وتخليص طبقة من أبناء الشعب من حياة التشرد والفاقة والحاجة واعدادهم إعداداً صحيحاً يتلاءم مع مقتضيات الحياة ويساعد على تكوين وحدة الأمة ويحقق العدالة الاجتماعية فإن ما يقدم من خدمات وجهود من الدولة أو الأفراد لهو خير خدمة وطنية .

توطين القبائل :

وإن الغاية من توطين هذه القبائل هى تخليصها من حالتها الراهنة والعمل على انتقالها إلى حياة أسعد وتقريبها إلى حياة المدينة ومعاونتها على الاندماج فى هذه الحياة وحتى يمكننا أن نوفر الاستقرار للفرد والعشيرة وبذا نضمن تعاونهم على تحقيق الأهداف التى نرمى إليها — وتوطين هذه القبائل له مناهج خاصة أهمها :

١ — انتقالهم من الحياة البدائية إلى ممارسة الزراعة .

٢ — انتقالهم من الحياة البدائية إلى ممارسة الأعمال الصناعية .

ولكل منهج ترتيباته الخاصة مثل :

(١) منحهم الأرض .

(٢) وإنشاء الجمعيات التعاونية الزراعية .

(٣) إنشاء دور للسكن .

(٤) والمراكز الاجتماعية .

(٥) وتعويدهم على السكن فيها بدلا من الخيام .

(٦) إنشاء مراكز اجتماعية وثقافية .

(٧) وحدات ومستشفيات صحية .

(٨) مدارس لمكافحة الأمية .

(٩) تأمين الأمن .

(١٠) اعتراف القضاء بعاداتهم وتقاليدهم .

(١١) اشراكهم فى التنظيم الإدارى فى مناطقهم . . الخ .

خاتمـــة :

ولما كان البحث فى هذا الموضوع لا يخلو من مصاعب ومتاعب كما أنه لا يخلو من مقدمة وطرافة فإذا ما أردنا بحثه تحتم علينا أن ندرس عادات وتقاليد هذه القبائل وأن نتعرف نظم وقوانين تلك القبائل والعشائر وارتباطها بعضها ببعض وكذلك بلادهم ومناطق إقامتهم ورحيلهم وما بها من خيرات وكنوز ومعادن وزراعة وآثار وأرزاق وصناعة وتجارة وسياحة وغيرها حتى يمكننا تحديد الدستور والقواعد التى تحدد علاقتها الاجتماعية ودراسة هذه الأهداف والوقوف على العوامل التى تتعرض لها حياة هؤلاء البدو أو يتأثرون بها .

ولما كان الهدف من وضع هذا البحث هو المساهمة فى رسالة الإيمان للأمة العربية والقومية العربية وإشاعة النور أمام أعينهم والمشاركة فى نهضة الأمة المباركة فى هذا العهد الحديث وتوجيه الباحثين لأسهل السبل فى معالجة وتوجيه البدو توجيهاً صحيحاً علمياً وعملياً . فقد تحدثنا عن كل ما يحقق ذلك .

والله نسأله أن يوفق رئيسنا فيما يبذله من جهد يبعث الماضى وينير السبيل أمامنا نحو المستقبل ويسدد خطاه فيما يضطلع به من عبء ورعاية وجهود وتوجيه هذه الأمة نحو غايتها المشتركة بإذن الله والله ولى التوفيق .

٨ — قبائل البدو بالصحراء الغربية

****

قبائل الصحراء الغربية — السعادى — قبائل السعادى المرابطون — قبائل المرابطين — أولاد على — عقار أولاد عقار — على وحرب المرابطين — زواج على — ذرية أولاد على — ذرية حرب (الحرابى) — الخصومة بين أولاد على والحرابى — حبيب بن عبد المولى الحرباوى — مساعدة الأتراك للحرابى — انتصار الحرابى على أولاد على — الاتفاق بين أولاد على والجميعات — قتال أولاد على والجميعات ضد الهنادى — أولاد على يحتلون أراضى البحيرة — هجوم قبائل الغرب على البحيرة — المرابطون — سلالة على — شجرة الأنساب — عمد ومشايخ الصحراء الغربية — قبائل السعادى بمصر وليبيا — قبائل المرابطين بمصر وليبيا .

مقدمة :

كثر الحديث أخيراً عن قبائل الصحراء الغربية بعامة وأولاد على بخاصة وقد طلب إلى كثير من إخوانى الضباط بحكم عملى أن أكتب ما أعلمه عن هؤلاء الإخوان لأن تاريخهم وأحوالهم تكاد تكون متفرقة متناثرة لا تجمعها كلة أو يفسرها كتاب .

ولما كان هذا الموضوع كبيراً ومتشعب النواحى حيث يشمل تاريخهم وعاداتهم وأخلاقهم . . . الخ . وكانت أهم المراجع التى أعرفها يستند أكثرها على روايات نقلية عن شيوخهم ورؤساء قبائلهم وعشائرهم وبعض هذه الروايات خيالية بعيدة عن العقل ولو أن أكثرهم يؤيدها فقد جمعت ما أمكننى منها وسأذكر منها ما اتفق عليه الجميع وقرب إلى الذهن .

يسكن صحراء ليبيا من النيل إلى جالو والكفرة فريقان من البدو «السعادى» « المرابطون » .

السعادى :

هم أولاد سعدى وسيأتى الكلام عنهم فيما بعد وقد اتفق المؤرخون على أنهم انحدروا جميعاً من أبو ديب وهو ينتسب إلى قريش وأن والدتهم سعدى بنت جازية الهلالية (من نسل قبيلة بنى هلال المنتسب إليها أبو زيد الهلالى) ويظهر أن هذه القبائل سمت نفسها بالسعادى لتتميز عن القبائل الأخرى من سلالة أبو ديب من زوجاته الأخريات (وقد ذكر ابن خلدون فى الجزء الأول من تاريخه أن هناك بمدينة مسراطة زعيماً عربياً كبيراً يسمى « أبو ديب » وأن له نفوذاً عظيما فى إقليم برقة وطرابلس) .

أهم قبائل السعادى :

وقد أنجبت « سعدى » ثلاثة أولاد هم جبريل ، وبرغوث ، وعقار :

من ذرية جبريل : العواقير العربيات المغاربة ، الجوازى وفروعهم .

من ذرية برغوث : عبيد والعرفة والفوائد وفروعهم .

من ذرية عقار : على وخديجة وبنى عونة والهنادى والحرابى وفروعهم .

المرابطون :

اختلف الرواة فى أصل المرابطين فبعضهم يروى أنهم أقدم من السعادى ولكنهم متفرقون وهذا سبب ضعفهم وأن كل قبيلة منهم فى حمى قبيلة من السعادى وبعض الرواة يقولون : إن السعادى كانوا أقوياء وجاءوا البلاد فاتحين فدخلت بعض القبائل الأخرى الضعيفة فى حمايتهم فسموا بالصدقان أو الأصدقاء ولما كانت قبائل السعادى تقوم للغزو فقد كانت تكلف قبائل الصدقان بالمحافظة على الحدود فى نقط معينة ترابط فيها ولذلك فقد سموا بالمرابطين وكانوا موزعين على الآبار والزوايا فتفرغوا للمعيشة الزراعية والدينية وفقدوا الروح البدوية العسكرية فى

حين أن السعادى احتفظوا بعاداتهم من رعى المواشى والمعيشة فى الجبال والاحتفاظ بالروح العسكرية والقتال وكل قبيلة أو عائلة من المرابطين تعيش فى حمى قبيلة السعادى وتدفع لها جعلا سنوياً يسمى (بالصدقة) وفى مقابل ذلك تقوم قبيلة السعادى بحمايتهم من الغارات والسرقة والإهانة التى تحدث من السعادى الآخرين على أن المرابط ملزم فى الوقت نفسه بمساعدة السعادى فى حالات الغزو والحرب والتعدى فيحارب بجواره ويسرع لمساعدته .

أهم قبائل المرابطين :

المنفة والموالك والشواعر والقطعان والجرارة والحوتة والجبايل والتراكى والشهيبات والفواخر وترهونة والعوامـة والقدادفة والسمالوس والصريحات والقريضات وحبون والشريصات والسعادى .

والمرابطون فريقان : فريق يسكن الصحراء الغربية من حدود النيل غرباً إلى بنى غازى وفريق يسكن من بنى غازى إلى واحة جالو والـكفرة . وسيأتى بعد ذكر أهم قبائلهم بالصحراء الغربيـــة . وهم الجميعات والجوابيص والسمالوس والشهيبات .

أولاد على

عقـار :

أما قبائل أولاد على فهى من سلالة عقار بن سعدى وكان يدعى بعقار الشريف وقد استوطن الجبل الأخضر قريباً من درنة باقليم برقة وذلك حوالى القرن الخامس عشر الميلادى .

أولاد عقار :

وقد أنجب عقار ولدين هما على وحرب وبنتا أسماها خديجة ومن خديجة انحدرت قبيلة الجميعات .

على وحرب :

بعد وفاة عقار قامت المشاحنات والخصام بين أولاد عقار وهما على وحرب وكل يطلب الزعامة لنفسه ولكن يظهر أن علياً كان أقوى جانباً وأشد بأساً ، فكان النصر دائماً حليفه وقد أرغم أخاه حربا على الاعتراف به كزعيم للقبيلة وأن يؤدى إليه الجزية بضع سنوات .

المرابطون :

وفى هذه الأثناء ذاعت شجاعة على بين الأعراب فبهرتهم وأغرت كثيرين إلى الانضمام إليه فقدمت من الغرب عدة قبائل انضمت إلى قبيلته وتحت لوائه ووضعوا أنفسهم تحت حمايته فازدادت قوته وعظم شأنه وقد عرفت هذه القبائل فيما بعد بالصدقان أو الأصدقاء أو المرابطين ومنهم : (قبائل المنفة والقطعان والحبون والسمالوس والشواعر والموالك الخ) .

زواج على :

تزوج على بزوجتين إحداها تدعى سعدى الحمراء والأخرى عائشة البيضاء وأنجب ثلاثة أولاد أكبرهم أبو سنينة (زعيم قبائل السنة) ولما توفى على كان عمر « أبوسنينة » عشر سنوات ، أما ولداه الآخران فقد ولدا بعد وفاة والدهما ، الأول بعد ستة شهور والثانى بعد خمسة شهور ولما كان كل منهم من زوجة سمت ابنها « عليا » على اسم أبيه ولعدم الارتباك أو التشابه فى الأسماء ، فقد سمى العرب ابن سعدى « عليا الأحمر » وابن عائشة « عليا الأبيض » .

ذرية أولاد على :

١ ــ أبو سنينة « السنة » ومن ذريته : قبائل العراوة والقطيفة والحافيظ والعجنة .

٢ ــ على الأحمر ومن ذريته : القنيشات والمشيات والكيلات .

٣ — على الأبيض ومن ذريتـــه : أولاد خروف والعزايم والصناقرة والأفراد .

ذرية حرب الحرابى :

مضت حوالى أربعة قرون بعد موت على ولـكن الخصومة التى كانت بينه وبين أخيه حرب ما زالت قائمة بين الأحفاد وكان النصر لا يزال قائماً فى جانب أولاد على .

حبيب بن عبد المولى الحرباوى :

واستمر الحال على ذلك إلى أن ظهر فى قبيلة الحرابى رجل من الأذكياء يدعى حبيب بن عبد المولى وقد قتل والده عبد المولى الحرباوى فى إحدى المعارك بينه وبين أولاد على فرأى حبيب أن ينتقم لوالده فسافر إلى مدينة طرابلس والتمس المساعدة من الحاكم التركى ويدعى محمود وكان والياً عليها فى هذا الوقت.

مساعدة الأتراك للحرابى :

ولما وصل حبيب الحرباوى إلى مدينة طرابلس والتمس مقابلة حاكمها التركى قدم إليه هدية ثمينة عبارة عن جلد رقبة نعامة مملوءاً بالذهب وقد أغرت هذه الهدية الحاكم وسأل حبيبا عن المساعدة التى يطلبها فذكرها له فرضى بها ثم سأله عن عدد الرجال الذين يطلبهم لمساعدته على قهر أولاد على فأجاب حبيب أنه سيضع قنطرة خشبية من شجر الزيتون على أحد أبواب سراى الحاكم ويمر عليها الجنود ويدوسونها بأقدامهم حتى تـكسر وعندها يكتفى بالعدد الذى مر عليها ووافق على ذلك وأمر جنوده بالمرور على الكتلة فمر عليها ستة آلاف جندى حتى تـكسرت وكان من بين هذا العدد ٩٠٠ عسكرى من الخيالة .

انتصار الحرابى على أولاد على :

وبهذه القوة العظيمة فاجأ حبيب أولاد على بهجوم عنيف فى جهة الجبل

الأخضر وانتصر عليهم وطاردهم فاتجهت فلولهم شرقا واستمرت المطاردة حوالى سبعة أيام أعقبها الصلح بينهما .

هجرة أولاد على للصحراء الغربية بمصر :

واتفقا على أن يكون الحد الغربى جبل أبوحجاج « السلوم » هو الفاصل بين أملاك القبيلتين وقيل فى رواية أخرى إنه عند رأس الملح وبذلك خرج أولاد على من إقليم برقة واستوطنوا الصحراء الغربية .

الاتفاق بين أولاد على والجميعات :

وعند حلول أولاد على بالصحراء الغربية وجدوا أن وطنهم الجديد هذا يسكنه أعراب قبيلة الجميعات (وهم ذرية خديجة أخت على وبنت عقار السالف ذكرها) وتربطهم بهم صلة القرابة فعاشت القبيلتان سويا على وئام تام .

وفى هذا الوقت كانت تسكن إقليم البحيرة قبيلة الهنادى وهى إحدى القبائل القوية وكانت قبيلة الجميعات ضعيفة بالنسبة لها ومجاورة لها من الغرب فكانت تحت حماية الهنادى (مرابطين معها) وكان الهنادى يعاملونها بالظلم فلما استوطن أولاد على الصحراء الغربية واختلطوا بالجميعات وكانت تربطهم بهم صلة الرحم فقد رأت الجميعات الفرصة سانحة للانضمام الى أولاد على للتخلص من سيطرة الهنادى عليهم فأوفدت الجميعات زعيمهم الدعو « بقوش » للاتفاق مع أولاد على للاستيلاء على أراضى البحيرة الخصبة التى يملكها الهنادى ولما كانت الجميعات على علم تام بحركات هذه القبائل وبأسرار قواتها وأماكن تجمعها بحكم نزولها على حدود الهنادى فكانت خير معين لإرشاد (أولاد على) على هذه الأماكن وعلى هذا فقد تم الاتفاق سرا بين القبيلتين على أن يقوما بالغزو والقتال فى السنة التالية ليتمكن أولاد على فى هذه الفترة من جمع جموعهم وأسلحتهم وخيولهم استعداداً لهذا القتال .

ويظهر أن الإشاعات والأخبار قد تطايرت إلى قبيلة الهنادى فحصل لها ريبة وسوء ظن من جهة الجميعات فطالبتها بالحلف توكيدا لإخلاصها لحلف الجميعات

غشاً وزوراً مؤكدين ولاءهم للهنادى على أن هؤلاء لم يقنعوا ويأمنوا ورأوا زيادة فى الاحتراس أن يقيموا حدودا معلومة بينهم وبين الجميعات وأولاد على (وهذه الحدود هى مكان ترعة النوبارية الحالى) وأنذروا هؤلاء أن أى شخص أو حيوان سيجتاز هذه الحدود سيكون جزاؤه القتل فورا بلا انذار .

ولما مضى الحول وحل موعد الاتفاق السرى المعقود بين الجميعات وأولاد على كان هؤلاء الأخيرون قد أنفقوا نصف ثروتهم فى الاستعداد لهذا القتال وتجهيز أنفسهم بالخيل والسلاح والذخيرة وأصبحوا على استعداد تام لمقاتلة الهنادى وشجع أولاد على لمحاربة الهنادى أن الآخرين لم يؤدوا الجزية للوالى محمد على باشا الذى ساعدهم على قهر الهنادى .

قتال أولاد على والجميعات ضد الهنادى :

ولما أراد أولاد على وحلفاؤهم أن يتسببوا فى إيقاع الخصومة بينهم وبين الهنادى فقد أطلقوا جملا جعلوه يجتاز الحدود المعلومة ، وأرسلوا وراءه بعض رجالهم للبحث عنه فما كان من الهنادى إلا أن قتلوا الجمل والذين تبعوه وعلى ذلك قام أولاد على يناصرهم الجميعات ضد الهنادى وقاتلوهم قتالا شديداً حتى قيل إن الموقعة الأولى بين الفريقين استمرت ثلاثة أيام بلياليها وكثر عدد القتلى من الفريقين حتى طلبا الهدنة لدفن الموتى . وقد اتفقا أخيراً على أن كل يوم قتال يعقبه يوم هدنة لدفن القتلى ، وقد استمرت الحال هكذا طول مدة الحرب .

وكان يتولى قيادة أولاد على فى هذا الوقت المدعو « حسين أبو داغة » من قبيلة أولاد خروف (من أولاد على الأبيض) ، ثم تولى القيادة بعده مطرود المطراحى (من أولاد خروف أيضاً) ثم أخيراً عبد الرحمن أبو علوه .

وقد استمرت الحرب ثلاثة شهور انتهت أخيراً بهزيمة الهنادى وانسحابهم إلى وادى النيل شرقا حيث سكنوا مديرية الشرقية . وقد منح الوالى محمد على باشا أولاد على فرمانا بعفائهم من الخدمة العسكرية مكافأة لهم .

على أن المناوشات والغارات بينهما لم تنته تماماً بل استمرت الحال ثلاث

سنوات أخرى كان الهنادى خلالها ينتهزون الفرص لشن غارات موضعية على أولاد على وانتهى الأمر بتقهقر الهنادى إلى الشرق كما ذكرنا وكانوا ينتهزون فرصة مرور أولاد على فى موسم الحج فيقاتلون قوافلهم الذاهبة إلى الحجاز .

أولاد على يحتلون أراضى البحيرة :

ولما تم لأولاد على تطهير الصحراء الغربية من الهنادى واستولوا على أراضيهم بالبحيرة قسموا هذه الأراضى فخص أولاد على الثلثين والجميعات الثلث الباقى ومنح أولاد على الجميعات حقوق المحاربين (كالسعادى) تماما بعد أن كانوا معتبرين من قبائل المرابطين وعاشوا فى وئام حوالى مائة سنة أخرى .

هجوم قبائل الغرب على أراضى البحيرة :

وبعد هذا التاريخ وفدت بعض القبائل من الغرب من سلالة جبريل وبرغوث إخوة عقار جد أولاد على كما أسلفنا ، وهاجموا أولاد على من طريق واحة سيوة البحرية ومن ناحية الوجه القبلى ولكن هذه القبائل فشلت فى غارتها ، وبعد قتال غير منتظم بين الطرفين دام عدة سنوات وانتهى بتغلب أولاد على وانسحاب تلك القبائل نهائياً عائدة إلى المغرب من حيث أتت .

المرابطون :

ولما استقر الحال بأولاد على اتفقوا فيما بينهم على توزيع قبائل المرابطين الذين ساعدوهم فى القتال فظلوا تحت حمايتهم والذين انضموا تحت لوائهم فى الجبل الأخضر « كما ورد ذلك سابقاً » فعقدوا اجتماعاً كبيراً من مختلف قبائل أولاد على وحضره ثلاث من العائلات المهمة من المرابطين وذلك فى سنة ١٠٦٤ هجرية ، وكان هذا الاجتماع فى مكان قريب من طبرق يقال له « الحجفة » أما عائلات المرابطين الذين حضروا هذا الاجتماع فهم عائلة صالح السريحات وعائلة صالح السمالوس وعائلة صالح المريات ، وقد كان حضورهم بالنسبة للخدمات الجليلة

والمساعدات الحقيقية التى قام بها أفراد هذه العائلات خلال الحرب الأخيرة ولذلك فقد منحهم أولاد على الامتيازات الآتية :

حق النزالة : (حماية القبائل) .

حق الفصالة : (حق الضيف) .

حق الدم بالدم : و (أن يكون الدفع فى الدية المثل بالمثل أى أنهم مماثلين للسعادى فى الدفع دية المرابط نصف السعادى) .

ولما كانت قبائل أولاد على متشعبة فتسهيلا للقراء أوردت هنا أهم فروعها المعلومة وهى :

سلالة على[1]

(١) ومن ذرية على : على الأبيض وعلى الأحمر والسنة .

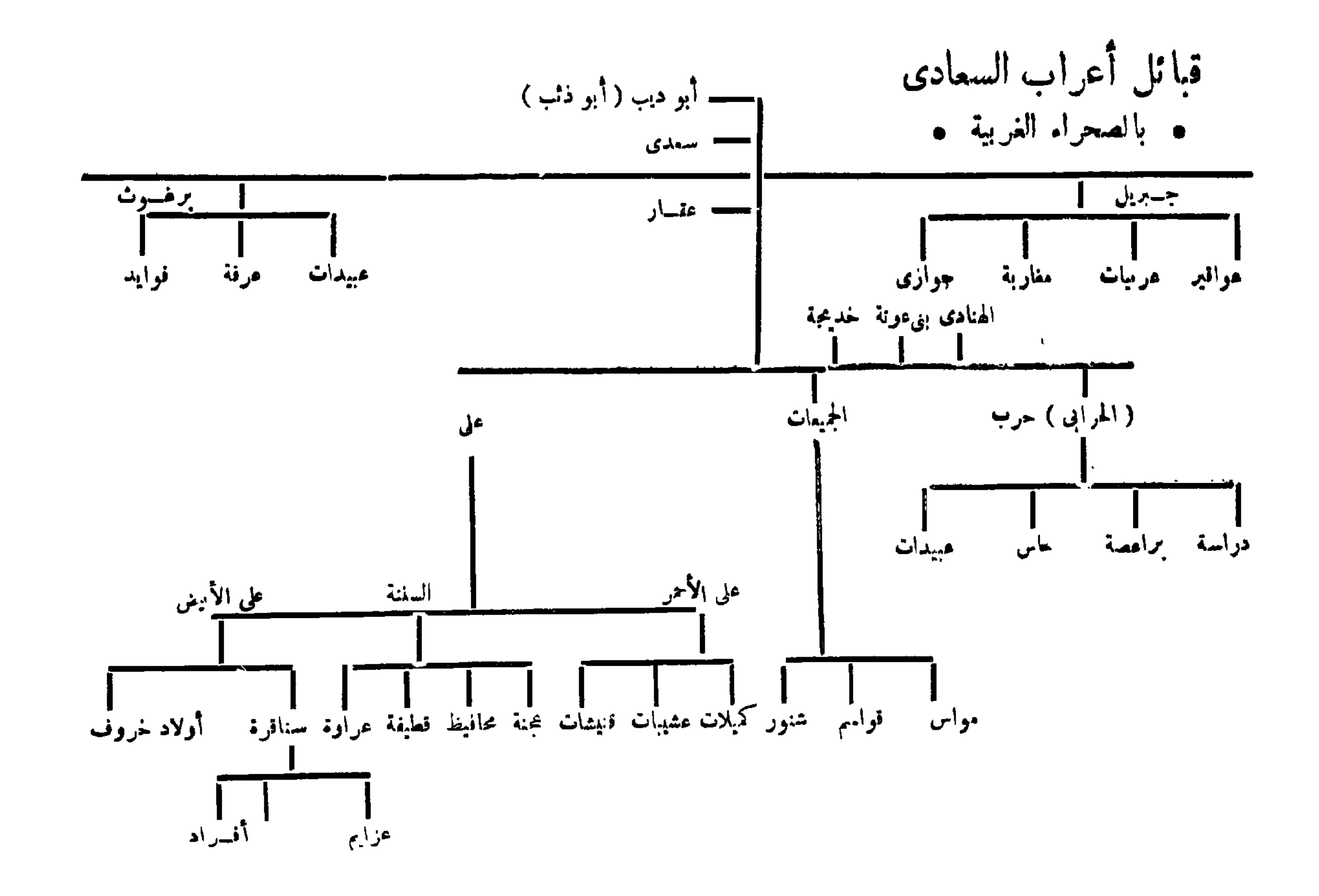
(٢) ومن ذرية على الأبيض : أولاد خروف ، والسناجرة ، والعزايم ، والأفراد .

(٣) ومن ذرية على الأحمر : القنيشات ، والعشيبات ، والكيلات .

(٤) ومن ذرية « أبو سنينى » السنة : العراوة ، والقطيفة ، والمحافيظ ، والعجنة وسيأتى الكلام عن كل قبيلة من أولاد على .

---

(١) راجع سلسلة الأنساب بعده .


قبائل أعراب السعادى
• بالصحراء الغربية •
أبو ديب (أبو ذئب)
سعدى
عقار
برغوث
عبيدات
عرفة
فوايد
جبريل
هواليه
عربيات
مغاربة
جوازى
الهنادى
بنى عونة
خديجة
(المرابى) حرب
دراسة
براعصة
حاس
عبيدات
الجميعات
مواس
قوايم
شنور
على
على الأحمر
السمنة
على الأبيض
كيلات
عشيبات
فنيشات
مجنة
محافيظ
قطيفة
عراوة
سناقرة
أولاد خروف
عزايم
أفراد

أهم قبائل المرابطين بالصحراء الغربية

الجوابيص :

قبيلة الجوابيص يقيم أغلبها بجهة وادى النطرون ويشتغلون بنقل النطرون وممار الحصير من البحيرات القريبة مثل المغرة وغيرها وكذا يعملون في نقل البلح من واحة سيوة إلى وادى النيل بطريق درب المحصحص وكرداسة ويستغرق السفر ١٢ يوماً .

والجوابيص مشهورون بدماثة الخلق وطيبة النفس وبعدهم عن الخصام وإن كانوا يحملون السلاح فليس إلا للدفاع الشخصى وحماية حيواناتهم فى المرعى ولو أنهم من المرابطين إلا أنهم مثل قبيلة الجميعات لايؤدون أية ضريبة للسعادى .

ويشاركون أولاد على فى نقل محصول بلح الواحات البحرية فينزل الجوابيص هناك بجهة منديشا وينزل أولاد على بناحية الباويطى بالواحات البحرية .

ومقدار دية الدم عندهم ٤٠٠ جنيه بدلا من ٣٠٠ جنيه وهى القيمة المعروفة بين عربان الصحراء الغربية .

وهم من سلالة القدادفة إحدى قبائل الغرب ويروون أن نسبهم ينحدر إلى الشيخ عبد الجواد الكسار وأنهم نزحوا للقطر المصرى قادمين من جهة الساقية الحمراء بمراكش الغرب من حوالى خمسمائة سنة . وقد قاموا بعدة خدمات جليلة لوالى مصر محمد على باشا بجهـــة وادى النطرون وكافأهم عليها بامتيازات العربان المعروفة .

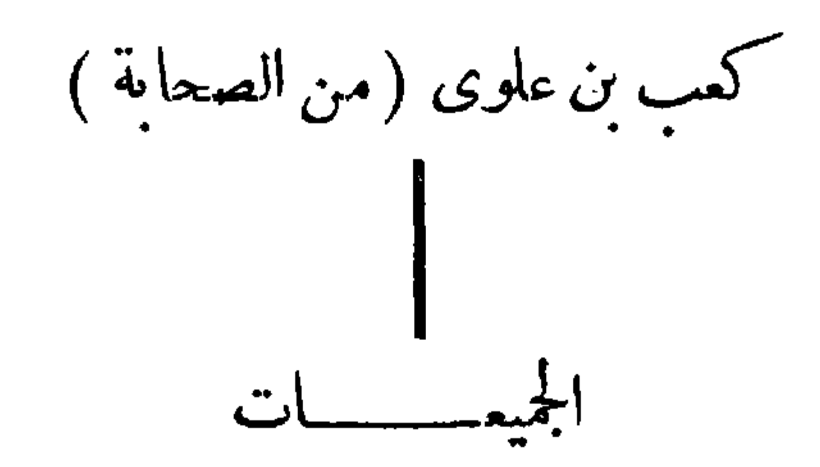
ويقيم بعضهم مع أولاد على بالصحراء الغربية وبعضهم يفلحون الأراضى بمديريات الجيزة والبحيرة والغربية والمنوفية .

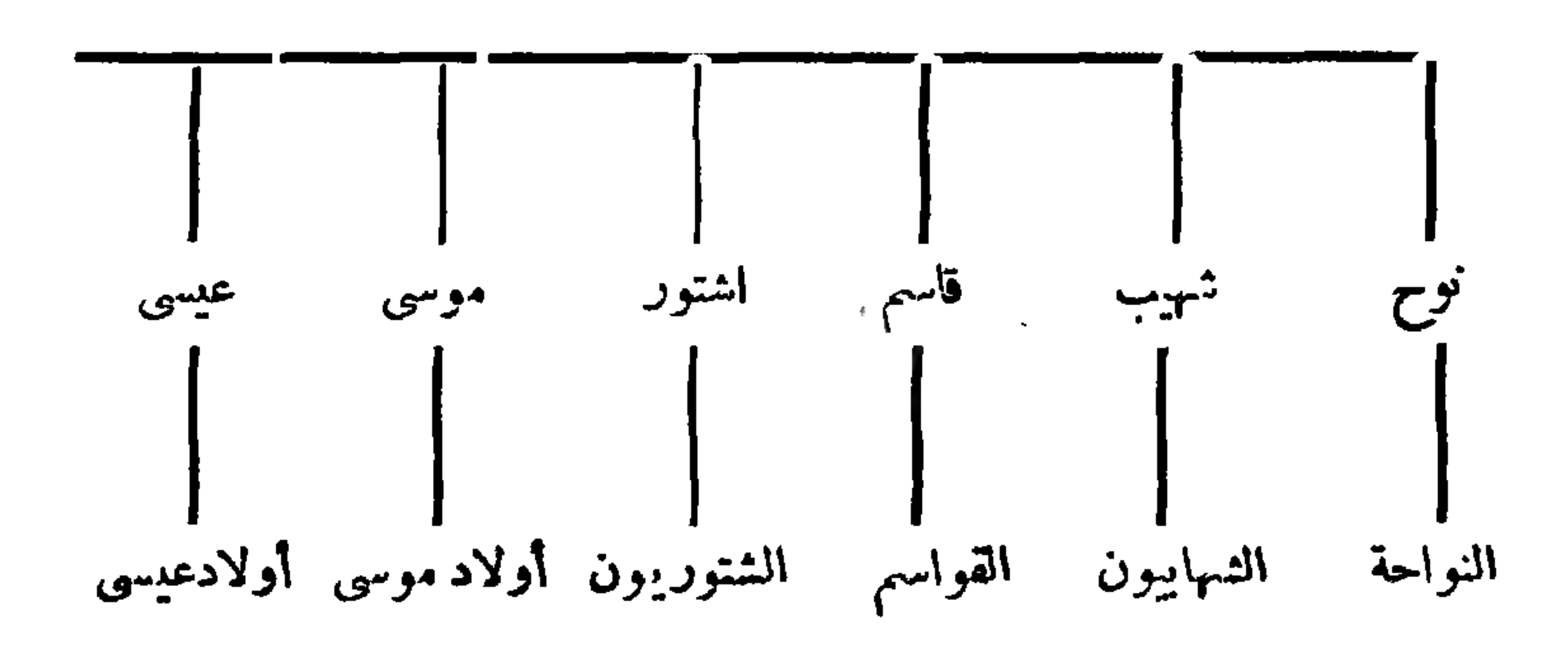
الجميعات :

قد تكون هذه القبيلة من ســـلالة الليبيين الأصليين سكان مربوط قبل الفتح الإســـلامى ولكن ابن خلدون ذكر أنهـــا من ســـلالة

السعادى وأنهم من سلالة خديجة أخت على وبنت عقار . والجميعات يقولون إنهم من سلالة أولاد سليمان والقطعان ومن سلالة كعب وكعب هو جد أبو ديب أو أبو ذئب زوج سعدى الهلالية ومنها ينحدر السعادى فإذا كان حقاً فتكون الجميعات أقدم عهداً من قبائل السعادى الذين منهم أولاد على ولكن أولاد على لا يقرون هذا الكلام ويعتبرون أن الجميعات من المرابطين ولو أنهم لا يؤدون أية ضريبة للسعادى . وعلى أية حال يتضح من هذا أن الجميعات من أقدم القبائل التى سكنت الصحراء الغربية ويقرر شيخهم سعد المصرى أنهم يسكنون مصر من سبعمائة سنة .

أما الشيخ علوانى سليمان المقيم بناحية سيدى عبد الرحمن بالصحراء الغربية فيذكر لنا أن نسبة الجميعات كالآتى :





الجميعات بمريوط :

والجميعات النازلون بجهة مريوط هم تقريبا من الشتور أما الفروع الخمسة الأخرى فأغلبهم يقيم بمديريات البحيرة والغربية وبرمل الاسكندرية وأكثرهم بجهة مركز أبو حمص .

وبعض المؤرخين يذكرون أنه من المستحيل أن تكون الجميعات إحدى بطون قبيلة بنى سليم الذين عادوا لمصر من الجبل الأخضر عقب غزو ليبيا مباشرة ولقلة عددهم فى مصر لذا اضطروا للمرابطة مع قبائل أخرى وأصبحوا مرابطين .

وقبل حضور أولاد على للصحراء الغربية كان رجال الجميعات مرابطين مع قبيلة بنى عونة التى اصطدمت مع قبيلة الهنادى فتغلبت هذه عليها وتشتتت بنو عونة ولكن الجميعات استمرت فى المشاحنة مع الهنادى واستعانوا عليها بإغراء أولاد على وانضمامهم معها فى قتال الهنادى فتغلبوا على الهنادى كما سبق ذكره وتم لهم النصر هم وأولاد على وطردوا الهنادى لمديرية الشرقية .

السمالوس :

وهم منتشرون بكثرة مع أولاد على وعلى ساحل الصحراء الغربية وفى كثير من مديريات القطر المصرى وبخاصة فى الفيوم والبحيرة والمنوفية والغربية والشرقية .

أما شيخهم أبو صالح فكان يقيم بجهة المنيا .

وأهم آبارهم المشهورة المعروفة باسم (ثوانى السمالوسى) على بعد ٥٠ كم شرق السلوم والأخرى على بعد ٢٠ كم جنوب مركز الضبعة بالصحراء الغربية .

ويقررون أنهم وفدوا على مصر من نحو ٢٠٠ سنة وكان عددهم نحو ٤٠٠ فارس قادمين من وادى سمالوسى بالجبل الأخضر وأن جدهم الأكبر أحمد نصر

الحسانى من قبيلة بنى سليم المشهورة وقد حدث بينهم وبين قبيلة الفرجان المعروفة غزو بين سمالوسى الفيوم وفرجان البحيرة .

الشهيبات :

مجموعة من البدو يعملون كرعاة من المرابطين بجهة وادى النطرون ومنتشرة بين عائلات السعادى ويلاحظ عدم الخلط بينهم وبين الشهيبات من أولادعلى . وتحدث أحيانا مشاحنات بينهم وبين قبيلة الجوابيص بوادى النطرون .

وقد كان اجتماع رؤساء القبائل المذكورة وعقلاء بيوتهم بجهة معروفة باسم الحجفة وتقع جنوبى مدينة درنة المعروفة فى إقليم بنى غازى حيث تم وضع هذا القانون الذى استمر سائراً بينهم إلى أن أنشئت مصلحة الحدود فى سنة ١٩١٧ فأقرتهم عليه لما لاحظته أنه مناسب لأحوالهم .

ومن المشاهد فى هذا القانون أنه يشمل كثيراً من عاداتهم البدوية وبعض مواده ترجع إلى الشرع الشريف مثل دية القتل الخطأ والجروح وغيرها كما يجىء بعد ذلك مفصلا .

وقد لاحظت أنه فى كثير من الأحوال كان رجال الادارة والشرطة فى وادى النيل يلجئون إلى تطبيق هذا القانون بوساطة عمد ومشايخ عربان القبائل المقيمة فى وادى النيل فى البلاد والأراضى التابعة لوزارة الداخلية وذلك لما يمتاز به من سرعة التقاضى وكبح النفس الثائرة عاجلا وحيث يحتاج التحقيق فى وادى النيل إلى شهور طويلة لاتمامه فى الوقت نفسه لا يتطلب تطبيق هذا القانون إلا أياما قلائل حيث يتم بعدها الفصل فى منازعات البدو بحسب التقاليد والعادات .

وهكذا أصبح هذا التشريع قانونا سماويا عند البدو ويلجئون إليه فى التقاضى وفض الخصومات لا يخضعون لغير سلطانه . وهذا القانون القائم على

العادات والعرف المتداول بينهم والذى ورثوه عن آبائهم وأجدادهم من قرون مضت ، وقد اتبعوه وما زالوا متمسكين به ويفضلونه على أى نظام قضائى حديث يدخل إليهم .

وقد دلت التجارب على عدم صلاحية القوانين الحديثة للقضاء عند البدو مما اضطر الحكومة فى أحوال كثيرة إلى إيقاف أحكامها والرجوع لقوانين العرف والعادة فى فض المنازعات والخصومات حتى الجنائية منها .

كما اتضح فى كثير من الأحوال أن تطبيق قوانين وأحكام المحاكم النظامية يسبب كثيرا من الاضطرابات الدائمة والأحقاد بين القبائل المتنازعة .

ولا شك أن كل من خدم بالصحراء وبالسلك الادارى ليشعر بحقيقة هذا الحال ومن يعرف جيدا تقاليد الأعراب أو له خبرة بأحوالهم يؤيد وجهة نظرى هذه .

ولما كنت قد أسعدنى الحظ فى تولى القضاء بين البدو فى الصحراء الغربية ورأست بعض هذه المحاكم البدوية فقد رأيت أن أكتب عن هذا القانون الذى يكاد يكون كالقانون السماوى عند الأعراب ومع ذلك فإنه يكاد يكون مجهولا عند كثيرين من اخوانى أبناء وادى النيل وهم أولى بدراسته لطبيعة عملهم فى الصحراء وبين رجالها وقبائلها بقدر ما تسمح به الأحوال .

١ – القتل والضرب والجروح

****

القتل فى عادات الأعراب من أولاد على ينقسم إلى قسمين :

١ — قتل العمد .

٢ — قتل الخطأ .

١ — قتل العمد : هو تعدى أى شخص على آخر بضرب يحدث به الموت للمجنى عليه سواء أكان هذا الضرب بالحجارة أم بالعصا أم بالسلاح أم بأية آلة أخرى أم بخنق المجنى عليه وسواء حصل ذلك من شخص بمفرده على آخر بمفرده أو كان المقتول ضمن جماعة فى معركة بين قبيلتين أو عائلتين .

فإذا كان القتيل وقع بين قبيلتين متعاركتين فتكون القبيلة المواجهة للقبيلة التى منها القتيل مسئولة تماما عن الأشخاص الذين قتلوا من القبيلة الأخرى حتى ولو لم يعرف الضارب الحقيقى من القبيلة القاتلة .

٢ — قتل الخطأ : هو حصول الموت لشخص من يد شخص آخر بدون أن يكون الشخص الفاعل قاصداً موت المجنى عليه ولهذا الموت عند الأعراب اعتبار آخر خاص وأحوال خاصة ولنضرب مثلا لعاداتهم فى قتل الخطأ .

١ — إذا وقعت بندقية أحد الأعراب منه على الأرض وخرج منها الطلق الموجود فيها وأصاب شخصاً آخر على مقربة منه وقتله .

٢ — أو يكون أحد الأعراب يقصد ضرب شىء معين ويصيب آخر لأسباب خارجة عن قدرته .

٣ — أو يكون أحد الأعراب قد أدلى شخصاً آخر داخل بئر أو ساقية سواء كان للحفر أو للنزح أو لأى سبب آخر ومات فى البئر .

٤ — أو يكون الفاعل يقصد ضرب شخص آخر بحجر أو عصا ويقوم شخص آخر ويحجز بينهما فأصيب الأخير بالضربة ومات منها .

ومن يمت فى مثل الأحوال السابقة أو أية أحوال مشابهة لها يعتبر الفاعل قاتلا خطأ .

وكل من تسبب فى إجهاض امرأة حامل يعتبر (قتلا عمدا) إذا كان متعمدا ، وإذا كان خطأ (فالقتل الخطأ) ويلزم لإثبات ذلك وجود شهود رؤية تكفى لإثبات المولود إذا كان ذكراً أو أنثى .

وفى عادات أولاد على أنواع أخرى للقتل وهى :

١ — قتل الشخص وهو فى اجتماع مختلط من الأعراب ولم يعرف القاتل فيعتبر « قتل خطأ » .

٢ — القتل على فراش الغير .

وبخصوص الفقرة الأولى أنه إذا حصل اجتماع الأعراب فى هيئة فرح أو عيد عمومى أو عزاء أو أية جمعية مختلطة من أعراب مختلفين أو من قبيلة واحدة وحصل أن وقع أحدهم قتيلا بفعل تفريغ سلاح أو ضربة حجر أو عصا ولم يعرف الفاعل لذلك من المجتمعين تماما . فى هذه الحالة يلزم كل واحد من الحاضرين بحلف اليمين بأنه لم يفعل ماحصل فإذا حلف الجميع يلزمون جميعاً بدفع دية المقتول لأهله مشتركين فيها وإذا تخلف أى واحد من الذين كانوا حاضرين أو أكثر من واحد عن حلف اليمين يلزمون بدفع دية القتيل لأهله بمفردهم أو مع عائلاتهم حسب العادات .

وبخصوص الفقرة الثانية أنه إذا كان شخص نازلا فى بيت شخص آخر بصفة ضيف أو كان ماراً بالبيت المذكور فى طريق سفره ونزل فيه وحصل أنه قتل

فى البيت بيد شخص خلاف صاحب البيت فيلزم القاتل بعد الإثبات بدفع مائة جنيه مصرى بصفة غرامة لصاحب البيت الذى حصل فيه القتل خلاف الدية التى يدفعها إلى أهل القتيل .

الضرب والجروح

أما الضرب فى عادات أولاد على فهو تعدى أحد الأعراب على آخر سواء كان بمفرده أو ضمن متعاركين وحصلت إصابات فى الطرفين أو فى أحدهما .

١ — ضرب سليم .

٢ — ضرب عديم .

الضرب السليم : هو الذى يبرأ منه صاحبه ولم يحدث منه عاهة دائمة فى أى جزء من الجسم .

الضرب العديم : هو الذى يتسبب منه عاهة مستديمة فى المجنى عليه بعد الشفاء أو يحصل منه مرض مستديم أو عجز عن تأدية الأعمال يستمر طول حياته .

ولا يوجد ضرب يسمى خطأ مطلقاً إلا الذى يحدث منه الموت للمجنى عليه على حسب أحوال الضرب وإثباتها .

أنواع وحالات الضرب بحسب العادات تسمى كالآتى :

١ — الضربة الموضحة .

٢ — الضربة الهاشمة .

٣ — الضربة الميمومة .

٤ — الضربة الجائفة .

الحالات السابقة هى أسماء الجروح وترتيبها على حسب حالات الضرب وتفسيرها كالآتى :

الضربة الموضحة :

هى الضربة البسيطة التى تجلط الجلد أو تجرح اللحم جرحاً بسيطاً .

الضربة الهاشمة : وهى نوعان :

هاشمة سلامة .

هاشمة عدم .

فالضربة الهاشمة سلامة : هى التى تقطع اللحم وتلحق العظم بدون إحداث كسر فيه .

والضربة الهاشمة عدم هى : التى تقطع اللحم وتكسر العظم ويتخلف عنها فى الضرب حالة مستديمة بعد شفائه مثل دوخة فى الرأس مستديمة أو صمم خفيف فى الأذن أو ثقل فى لسان المجنى عليه .

الضربة الميمومة :

هى الضربة الهاشمة عدم نفسها تماماً فى أحوالها .

الضربة الجائفة :

هى الضربة التى تحدث قطع اللحم وكسر العظم ويتعفن منها الجرح وتسبب عجزاً مستديماً فى أى عضو فى المجنى عليه يستمر طول حياته وربما يموت منها .

٢ – دية القتل والضرب والجروح

****

الدية فى القتل تنقسم إلى قسمين :

(١) دية الرجل الحر . (٢) دية العبد .

دية الرجل الحر :

المقتول عمدا تكون ديته ٤٠٠ « أربعمائة » جنيه شرك أو ٣٠٠ « ثلثمائة » جنيه مصرى نقداً – والدفع الشرك يكون ٢٠٠ جنيه مصرى نقداً و ١٠٠ جنيه يدفع الجنيه منها بحساب اثنين أى يكون ٥٠ جنيهاً مصريا ومائة جنيه مصرى والرابعة تدفع مواشى وبهائم تكون بثمن أعلى مما تستحق على المدفوع له الدية تسهيلا للطرفين .

ودية الرجل الحر المقتول خطأ هى ٣٠٠ جنيه مصرى يدفع نصفها . نقداً والنصف الآخر يدفع شركا حسب الترتيب المعروف وبنسبته .

دية العبد :

ينقسم العبيد ثلاثة أقسام :

(١) عبد . (٢) عبد معتوق . (٣) عبد مدبر .

دية العبد المقتول عمداً هى القيمة التى دفعهاسيده بيده عندما اشتراه إمابشهود أو بحلف سيده على القيمة وحقيقتها التى دفعها فيه .

العبد المعتوق : بورق مثبوت أو بشهود عدول أو بيمين أهله وقتل عمداً تكون ديته ٢٠٠ جنيه مصرى نقداً .

العبد المدبر : هو الذى يكون غير معتوق وإنما يكون متزوجاً وله أولاد فإذا قتل عمداً تـكون ديته ١٠٠ جنيه مصرى نقداً .

دية الجنين : الذى أجهضت أمه سواء أكان عمداً أم خطأً تـكون بعد التعرف عليه نصف دية الرجل إذا كان ذكراً ونصف دية المرأة إذا كانت أنثى . أما إذا لم يتعرف على السقط بأنه ذكر أو أنثى فيلزم الفاعل أو المتسبب بدفع ١٠٠ ريال مصرى أى عشرين جنيهاً مصرياً لأهل السقط .

دية المرأة المقتولة : هى نصف دية الرجل الحر سواء فى القتل العمد أو فى القتل الخطأ .

الرجل الذى يدافع عن نفسه أو عن ماله أو عن عرضه ويقتل المعتدى عليه يلزم بدفع دية كاملة لأهله مع ملاحظة أن هذا القتل لا يتسبب منه عداوات مطلقاً بين قبيلة الفاعل وقبيلة المجنى عليه فقط تدفع الدية .

دية الرجل الحر المقتول سواء كان خطأً أو عمداً تدفع لأهله على سنتين كل سنة نصفها والعمد يتبع العمد فى الشرك والصاع ، والخطأ يتبع الخطأ فى الشرك والصاع .

الشخص الذى أخذ دية المقتول واصطلح مع عائلة القاتلين حسب العادات ولـكنه أصر فى نفسه أن يقتل من عائلة القاتلين وقتل فعلا فيلزم الفاعل برد ما أخذه من الدية كاملا مع دفع ١٠٠ جنيه مصرى أخرى بصفة معتب لأهل المقتول الأخير خلافا عن الدية .

دية الضرب والجروح

عند حصول معركة بين قبائل الأعراب أو أفراد منها بعضهم ضد بعض وصار إثبات هذا الضرب فقبل الفصل فى موضوع العراك وديته يعمل الآتى :

١ ـــ يصير نضارة كافة جروح الطرفين المتضاربين الذين اشتركوا فى المعركة

بمعرفة طبيب العرب المسمى (النضار) الذى يجب أن يوافق عليه الطرفان تمام الموافقة قبل إرسالها إليه وما يقرره الطبيب هو الذى يجب الأخذ به ومعاملة الطرفين حسب قراره .

٢ — تدفع دية الضرب حسب عادات أولاد على وقيمة دية الضرب وأقسامه هى كالآتى :

(الدينار هو أساس الدفع فى الضرب ويكون الدينار حسب العادات) .

الضربة الموضحة : وقيمة دينارها قرشان ونصف صاع وتسمى ضربة موضحة كل ضربة قيمتها من دينار واحد إلى خمسة وسبعين ديناراً فقط .

الضربة الهاشمة سلامة : ديتها من خمسة وسبعين دينارا إلى ١٥٠ ديناراً فقط وقيمة الدينار الواحد خمسون مليما .

الضربة الهاشمة عدم : يحتسب لها نضارة جروح بقيمة العدم الذى فيها أو يتأتى من أسبابها .

وحكم الضربة الهاشمة عـدم يسرى تماما على الضربة الميمومة والضربة الجائفة حرفياً .

العين المفقودة من الضرب وكذا الأذن الفاقدة للسمع واليد والذراع العادم وكذا الرجل العادمة يقدر لـكل منها نصف دية كاملة ١٥٠ جنيهاً مصرياً ، صاع الخطأ تبع الخطأ والعمد تبع العمد .

إذا كان أى ضرب مما ذكر غير عادم تماما كليا فيحسب له دية حسب مقدار العدم نفسه الموجود فعلا فالسن أو الضرس الساقطة من الضرب ديتها ١٠ عشرة جنيهات مصرية سواء كان خطأ أو عمداً .

يلزم لإثبات العدم المذكور بالفقرة الخاصة بالعين المفقودة أو الأذن الفاقدة

بالسمع . . . الخ أن يكون الضارب الذى أحدث العدم قريباً من محل العدم أو على مقربة توجد الشبهة فى إحداث العدم المدعى به .

وأى عدم يحدث تكون ديته بحسب مقداره ويمين أهله حسب العادات .

النزالة

النزالة عند أولاد على هى :

إذا قتل أحد الأعراب شخصاً آخر خوفاً من انتقام أهل المقتول فوراً من عائلة القاتل تنتقل كافة الأعراب الذين يكون منهم القاتل ببيوتهم وحيواناتهم وعائلاتهم من محلهم الموجودين فيه وينزلون على أعراب آخرين محايدين ليكونوا فى كنفهم وتحت حمايتهم مـــدة وجود حالة القتال بين الطرفين وشروط النزالة هى :

١ — عواقل النجع المنزول عليهم يتوجهون فى الحـال إلى عائلة المقتول ويطلبون منهم الإذن بإنزال القاتلين فى حمايتهم ويعمل بذلك اتفاق كتابى بين الطرفين .

٢ — يكون نقل النزيل إلى مسافة أقرب جار لأرضه ويستحسن الجار الذى يكون أبعد الجيران لأرض النزيل وذلك لمناسبة أن الأعراب فى الوقت الحاضر يقيمون فى أملاكهم وأراضيهم الثابتة وآبارهم التى لا تكفى غيرهم فإذا ابتعد النزيل بعداً شاسعاً كما ذكر فإنه يلحق به الضرر سواء بأهله أو بحيواناتهم .

٣ — النزالة تكون حولا كاملا من تاريخ انتقال النزيل .

٤ — يكون النزيل فى حرمة وحماية المنزول عليه ولا يجوز مطلقاً لأهل القتيل أن يتعدوا بأية حال من الأحوال لا على النزيل ولا على المنزول عليه وذلك لغاية انتهاء مدة النزالة بكاملها وإجراء الصلح والدية .

٥ — لا يجوز للنزيل أن يسافر أو يقصد أية جهة لمنافعه المعيشية والضرورية إلا إذا كان مرافقاً لأحد المنزول عليهم ليكون فى حمايته مدة السفر والانتقال .

٦ — بعد كل ما ذكر إذا تعدى أى واحد من أهل القتيل على أى واحد من القاتلين أو المنزول عليهم فإنه يكون ملزوما بدفع مائة جنيه مصرى كبارة نقداً للمنزول عليهم علاوة على الدية التى يدفعونها لأهل المقتول الجديد .

الصنيعة

الصنيعة هى عدم قبول أهل القتيل دية قتيلهم من القاتلين وقرار أهل القتيل قراراً نهائياً بأنهم صنعوا أهل القاتل وتنازلوا عن كافة حقوقهم ضده ولهذا يسمى أهل القاتل مصنوعين لأهل القتيل ولهذا يكون الصنيع ملزماً ومقيداً بما يأتى :

يكون القاتل طوع أمر أهل القتيل (الصانع) فى كل شىء ولا يخالفهم مطلقاً فإذا أمر الصانع المصنوع أن يسافر لأية مصلحة له أو أمره بأن يحرث له الأرض أو يحصد له زراعته أو يساعده فى كل شىء حتى فى المعارك فإن المصنوع يكون ملزماً بذلك تماما .

ملاحظة :

هذا هو الحاصل فى العادات القديمة أما فى السنين الأخيرة فإنه لم تحصل صنيعة لأن الأعراب تعودوا على دفع الدية فوراً لأن الحكومة تعمل على منع المشاكل ومنع القتل ومنع كل ما من شأنه أن يخل بالأمن العام بالصحراء .

النصرة

النصرة حسب عادات أولاد على هى أنه إذا اتحد اثنان أو ثلاثة أو أكثر على ضرب رجل واحد فى معركة فيعتبر هذا (نصرة) أى مناصرة المذكورين عند الضرب كما ذكر .

والمقرر للنصرة فى عادات أولاد على أن كل رجل من المعتدين على الشخص المجنى عليه يكون ملزماً بأن يدفع كبارة مالية تكون حسب قيمة الضرب الموجود فى المجنى عليه وحسب تقدير المحكمين .

ملاحظة :

باب النصرة غير معمول به بين الأعراب بعضهم وبعض فى الوقت الحاضر والسبب فى ذلك أن الأعراب اتفقوا على تنضير جروحهم بمعرفة نضار العرب وإجبار المعتدين على دفع قيمة النضارة فوراً للمجنى عليهم أو عليه .

السرقة والنهب

١ — السرقة عند الأعراب من أولاد على هى عبارة عن قيام أى شخص من الأعراب بأخذ أغنام آخر أو مواشيه أو متاعه أو نقوده أو أى شئ آخر يمتلكه بقصد السرقة سواء أكان ذلك بالإكراه أم بالاحتيال وسواء حصلت السرقة ليلاً أو نهارا .

٢ — تثبت السرقة حسب العادات بالشهود الطيبين فإذا وجد شاهد واحد للاثبات فقط وكان هذا الشاهد عدلاً معروفاً بالصدق تكون السرقة ثابتة فى حالة عدم اعتراف السارق بالشئ الذى سرقه للرجل صاحب الشئ المسروق .

٣ — إذا كان شهود الإثبات اثنين أو ثلاثة ويكونون عدولاً معروفين بالصدق تثبت السرقة على الفاعل بدون حلف يمين أو خلافه .

٤ — إذا لم يوجد شهود على السارق وإنما وجدت قرائن شديدة بأن الفاعل هو السارق نفسه فيلزم الفاعل بحلف اليمين وبتزكية أهله وأعيان عائلته لتبرئة نفسه من تهمة السرقة .

٥ — السارق الذى يسرق شيئاً ويهرب به من محل السرقة إلى جهات أخرى بعيدة عليه إذا طلب منه أن يثبت أين أمسى وأين أصبح كل يوم من أيام سفره بالسرقة التى معه فإذا أدلى بأقوال منافية للحقيقة أو لم يمكنه إثبات وجوده فى محلات العرب أو خلافها فتكون شبهة السرقة قريبة منه جداً وعلى ذلك يحلف المدعى وهو المسروق منه الشئ اليمين بتزكية أهله ويلزم المدعى عليه برد

ما سرق ويكون للمدعى الخيار في هذه الحالة إذا أراد أن يعطى اليمين للسارق أو يحلف هو نفسه .

٦ — الشخص الذى يأخذ شيئاً من حيوانات الآخر أو مواشيه أو ممتلكاته أو أى شيء آخر بقصد الرهينة والناقصة لإجباره على تصفية دين عليه أو لإحضاره أمام ميعاد فهذا العمل باطلاً ويعتبر فاعله سارقا .

تخريب أملاك الغير وإتلاف المزروعات والحدائق

١ — تخريب الأملاك عند الأعراب عبارة عن تعدى بعض أفراد قبيلة أو عائلة على آبار وسواقى قبيلة أخرى وتكسير فوهتها وردمها بالحجارة والتراب وكذا هدم وتخريب الكفارى (أى الغرف) الخاصة بالغير وأيضاً تخريب البعالى والحدائق التى تزرع بطيخاً أو مقاتاً أو كاف (أى كهف) مقفول بباب .

وأسباب هذه الأعمال هى العداء الشخصى بين القبائل غالبا .

٢ — كل من يثبت عليه كسر فوهة بئر أو ساقية أو ردمه أو ألقى أحجاراً داخله يلزم الفاعل بأن يدفع عشرين جنيهاً مصرياً كبارة لصاحب الملك عن كل بئر أو ساقية وكذا الكفرة والكاف المقفول بباب .

أما تقدير تخريب البعالى والحدائق والزراعة والأشجار فيكون بمعرفة المحكمين حسب العادات وبمقدار الضرر الذى حصل فعلا من الفاعل .

إذا تعمد أى شخص وحرق خيش شخص آخر أو حرق جرن زراعته أو حرق سور حديقته المصنوع من الحطب وثبت عليه هذا العمل فيلزم بدفع عشرين جنيهاً كبارة لصاحب الشىء المحروق كما أنه يدفع قيمة جميع ما أتلفه الحريق علاوة على ذلك .

إذا كان هذا الحريق حصل خطأ من الفاعل فيلزم بأن يدفع قيمة الخسارة كلها دون أن يدفع كبارة .

كل شخص تعدى بإزالة أو نقل علامات مجعولة حداً بين أملاك مختلفة وكذلك من أحرق علامات حدود الأملاك المصنوعة من الحطب أو الشجر فإذا ثبت ذلك على الفاعل يلزم بدفع ١٠ جنيهات مصرية كبارة لصاحب الملك الذى لحقه الضرر من الفعل .

قتل الحيوانات وتعديها على الناس

١ — كل شخص تعمد قتل أى حيوان من حيوانات الركوب أو الجر أو الحمل أو أى نوع من أنواع الماشية أو أضر به ضرراً كبيراً يلزم بدفع ثمن الحيوان الذى قتله أو أضر به مضاعفاً لصاحبه فوراً وكذلك الحيوانات المستأنسة.

٢ — كل من يقتل الكلب المانع وهو الذى يدافع ويحرس البيت والغنم وكان ذلك عمداً فإنه يكون ملزماً بدفع جنيهين مصريين لصاحب الكلب بصفة غرامة أما إذا كان القتل خطأ فليس على الفاعل أى شئ .

٣ — الكلب أحياناً يكون عقوراً أى متعوداً على مهاجمة الأعراب وعضهم فإن مثل هذا الكلب إذا هاجم أو عض أى شخص من الأعراب يكون صاحبه مسئولا عن فعل كلبه المذكور أى ما يتسبب عن عضة هذا الكلب من جرح أو حصول عدم فى المجنى عليه ويلزم بدفع قيمته حسب العادات حتى ولو مات المجنى عليه من العضة يكون صاحب الكلب ملزماً بدفع دية كاملة لأهل المتوفى .

٤ — الجمل الذى يسمى عند العرب (الصول) والجمل الكبير المتعود مهاجمة الأعراب بالعض فكل ضرر يحدثه هذا الجمل لأى إنسان وتكون نضارته أقل من ثمن الجمل المذكور فصاحبه يدفع قيمة النضارة للمجنى عليه أما إذا زادت النضارة عن ثمن الجمل المذكور فمهما بلغت حتى ولو مات منها المجنى عليه فيعطى الجمل نفسه لأهل المجنى عليه على شرط مؤكد هو ثبوت حصول مهاجمة هذا الجمل لأول مرة فى حياته ولم يسبق حصولها منه من قبل . أما إذا كان هذا الجمل قد تكرر منه مهاجمة الأعراب بالعض وصار (معوداً) فنضارة المجنى عليه مهما

بلغت قيمتها يدفعها صاحب الجمل تماماً حتى ولو مات المجنى عليه بسبب هذا الجمل فيكون صاحبه ملزماً بدفع دية كاملة لأهل المتوفى .

حطاط المال والقتال

الحطاط في عرف العرب هو الشخص الذى يرشد السارق على مكان المال ليسرقه ويرشد القاتل على مكان القتيل ليقتله أى أنه يكون جاسوسا .

١ — إذا نتج عن إرشاد هذا المرشد سرقة المال أو الجمال أو المواشى أو النقود فيكون الحطاط (المرشد) مسئولا تماما عن كافة الأشياء التى سرقت كلها وذلك بعد الإثبات عليه حسب العادات .

٢ — إذا نتج عن إرشاد المرشد قتل الشخص الذى أرشد عنه القاتل فيكون الحطاط مسئولا عن دفع ١٠٠ (مائة) جنيه مصرى كبارة لأهل المقتول بعد الإثبات عليه حسب العادات .

٣ — وعلى أية حال فان الحطاط يكون مسئولا تماما عن أى صغيرة أو كبيرة يكون قد أرشد عنها وسرقت .

البراوات

البراوة في عرف الاعراب هى انفصال قسم من عائلة ما أوقبيلة ليكون مستقلا عن الجزء الآخر وقائما بنفسه فى كافة أحواله العمومية سواء فى الدفع أو فى الأخذ .

الشهود ـ شهادة الزور والكذب

١ — الشاهد الذى يحضر لتأدية شهادة سواء أكانت فى حادثة جنائية أم مسألة مدنية أم بخصوص أى موضوع يلزم أن يعدل بأعيان قبيلته أو أهله .

وكيفية تعديل الشاهد أن يحلف اثنان من عقلاء قبيلته أو عائلته اليمين الآتي على المصحف الشريف « وحق هذا الكتاب لا نعرف فلان ابن فلان لا سرق ولا له سوابق في الكذب ولا هو من رفاق المسالك » .

٢ — بعد أن يعدل الشاهد بهذه الكيفية فإن جميع أقواله التي يقولها تعتبر نهائية وثابتة تماما اللهم إلا اذا ظهر أي شيء آخر أقوى من شهادته يلغيها أو ينقضهـــا .

٣ — الشاهد الذي لا تكون له عائلة أو أقارب في الجهة التي يؤدي فيها شهادته فيجب أن يزكيه شيخه أو عمدته في الجهة نفسها ويعدله كما ذكر سابقا فإذا رفض فيترك لحال سبيله .

٤ — إذا ظهر من مجرى التحقيق أن الشاهد الذي صار تعديله حسب العادات قد كذب في إثبات وقائع أو حقائق في شهادته مما يضر بصالح القضية الذي أدلى بشهادته فيها فإنه يعاقب حسب قانون العقوبات الأهلي فيما يختص بهذا الموضوع .

هتك الأعراض وإغراء النســـــاء

١ — هتك عرض البنت البكر سواء كانت قاصراً أو بالغاً على نوعين :ـ

(ا) إما أن تكون مجهورة ومهتوكا عرضها بالقوة .

(ب) إما أن تكون مهتوكا عرضها برضاها .

فإذا غصبت البنت البكر سواء كانت في الخلاء أو في محل آخر وحضر أي شخص فورا بعد العمل ورأى علامات الاغتصاب ظاهرة عليها مثل دم بكارتها على أطراف ثوبها أو رأى جروحا في وجه أو عنق أو يدي المجني عليها أو تمزيق ثيابها وتكون المجني عليها صرحت حالا للشخص المذكور باسم غاصبها فإن شهادة هذا الشخص تكون إثباتا قطعياً على الفاعل نفسه ويلزم الجاني

بدفع ما يتقرر عليه حسب العادات بان يدفع ١٠٠ (مائة) ريال مصرى أى ٢٠ عشرين جنيها مصريا لأهلها بصفة معتب .

البنت البكر المغصوبة بالقوة المذكورة إذا لم يقابلها أحد وتوجهت فوراً بعد الفعل إلى أهلها وأبلغتهم ما حصل يلزم أن يحلف أهلها بما حصل ويكون هذا اليمين هو الإثبات ضد الفاعل الذى يلزم أن يدفع المعتب الموضح فى الفقرة السابقة لأهلها تماما بعد أن يحلفوا .

٢ — إذا تعدى أى شخص وهتك عرض البنت البكر برضاها تماما فليس على الفاعل شيء مطلقا .

أما إذا حملت المذكورة من الفاعل فيها واعترفت بدعوى حملها واتهمت شخصا معينا بأن الحمل الذى بها هو هذا الإنسان وانكر المتهم حصول ذلك منه فيكون اليمين لأهل البنت الحامل فإذا حلفوا ألزم الفاعل بدفع جمل واحد سن جذع أو عشرة جنيهات مصرية لأهلها بصفة (معتب) أما إذا لم يحلف أهل البنت اليمين المطلوبة منهم فيلزم المتهم بأن يحلف اليمين بأنه لم يفعل ما اتهم به وذلك لتبرئة نفسه وإذا امتنع المتهم عن الحلف هو أيضاً فيعتبر هذا بصفة اعتراف منه بالفعل ويلزم بدفع المعتب المذكور فى هذه المادة لأهل البنت المغصوبة .

٣ — إذا توافق الفاعل مع أخ البنت المغصوبة سواء بالقوة أو برضاها على التزوج بالمجنى عليها فيدفع المهر الذى يتفق عليه الطرفان خلافا عن المعتب الذى يجب أن يدفعه الفاعل حسب ما توضح سابقا لأهلها .

٤ — المرأة الثيب التى ليس لها زوج وغصبت بالقوة يلزم الجانى بعد الإثبات بأن يدفع جملا سن جذع أو مبلغ عشرة جنيهات مصرية لأهلها بصفة معتب .

٥ — إذا تعدى شخص واغتصب امرأة متزوجة بالقوة فيلزم الفاعل بعد

الإثبات بأن يدفع ١٠٠ ريال مصرى أو عشرين جنيها مصريا بصفة معتب لزوجها وتبق هذه الحرمة مع زوجها كما كانت ولا تطلق منه .

٦ — إذا زنت المرأة المتزوجة مع أى شخص أجنبى عنها وثبت ذلك فيلزم الفاعل بأن يدفع ١٠٠ ريال مصرى أو عشرين جنيها مصريا بصفة معتب لزوجها ويدفع علاوة على المعتب المذكور قيمة المهر المدفوع من زوجها لأهلها إلى الزوج نفسه وفى الوقت نفسه تطلق حالا من زوجها .

أما إذا رضى زوج المرأة المذكورة بإبقائها زوجة له كما كانت بعد الإثبات فلا يكون للزوج أى حق لا فى المعتب ولا فى المهر بل تسقط كافة حقوقه التى نتجت عن هذا الفعل .

٧ — إذا توجه أى شخص إلى أى بيت آخر سواء كان ذلك ليلا أو نهارا لكى يزنى بامرأة متزوجة تجهل قصده تماما فإذا شعرت به المرأة المذكورة وصرخت أو استغاثت منه وثبت ذلك على الرجل فيلزم بدفع جمل سن جذع أو ١٠ جنيهات مصرية كمعتب لزوج المرأة المذكورة .

ويسرى هذا الحكم على كل من يفعل فعلا فاضحا أو مخلا بالحياء مع أى امرأة أخرى رغما عنها .

٨ — المعتب الذى يدفع لأهل المغصوبة فى أية حالة من الحالات التى سبق ذكرها يلزم بدفعها الفاعل بمفرده إذا كان مقتدرا أما إذا كان فقيراً فتلزم عائلته بدفعه بالتضامن فيما بينها .

٩ — إذا كان المغصوب ولدا ذكرا فيكون حكمه حكم البنت البكر المغصوبة بالقوة .

ملاحظة : وعلى أية حال فهذه العادة غير موجودة بالمرة فى قبائل أولاد على الموجودين بالصحراء الغربية وقد عملت هذه المادة على سبيل الاحتياط لما عساه أن يحصل من هذا القبيل فى المستقبل .

البراوات

١ ـــ البراوة في عرف الأعراب هي انفصال قسم من عائلة ما أو قبيلة ليكون مستقلا عن الجزء الآخر وقائما بنفسه في كافة أحواله العمومية سواء في الدفع أو في الأخذ .

٢ ـــ لا تجوز البراوات من الآن فصاعدا إلا على يد مأموري الحكومة الموجودين في أقسامها بالصحراء الغربية وفي حضور كافة عمد ومشايخ القسم .

٣ ـــ العائلة أو القبيلة أو أي جزء آخر يريد أن يعمل براوة مع أي فريق آخر يلزم أن يتحاسب الطرفان على كافة الأشياء والأعمال السابقة والحالية حتى يكون كل فريق خالصا من الآخر نهائيا وبعدها تصح البراوة .

٤ ـــ إذا حصلت البراوة وظهر بعدها في أي وقت كان موضوع يكون قد حصل قبل البراوة فعلى الفريقين أن يتضامنوا في سداده باشتراكهما وذلك بعد الإثبات حسب العادات .

٥ ـــ لا يجوز براوة الأخ مع أخيه ولا الأب مع ابنه ولا تجوز براوة اللص المشهور بالسرقات من عائلته إلا بعد تسليمه للحكومة وإثبات البراوة نهائياً .

٦ ـــ إذا ظهر أن البراوة التي عملت بين فريقين هي عبارة عن حيلة ظاهرية فقط وثبت بعد ذلك أن كليهما قد اشترك مع الآخر في أخذ أو عطاء أو منفعة حسب العادات تكون البراوة لاغية تماماً من تاريخ عملها ولا يصح عمل براوة أخرى مطلقاً بين الفريقين المذكورين .

الزواج

١ ـــ زواج الأعراب بالصحراء الغربية يجري حسب عاداتهم وذلك بقراءة الفاتحة بعد حصول الرضى والقبول بين الزوج والزوجة وأهلها .

٢ ـــ الزوجة التي تكره زوجها كرهاً ثابتاً نهائياً لها ، أن تتركه على شرط

أن تدفع للزوج قيمة المهر الذى دفعه لها أو لأهلها بأكمله وكذا الخسائر التى يكون خسرها من أجلها عند الزواج .

٣ — الزوج الذى يكره زوجته كرهاً ثابتاً نهائياً له أن يتركها على ألا يأخذ من المهر الذى دفعه لها شيئاً مطلقاً وفى الوقت نفسه إذا كان له منها أولاد يلزم بنفقتهم مع إبقائهم معها حسب السن المقرر لذلك فى العادات .

٤ — إذا تخاصم رجل مع زوجته وكثر بينهما الخصام ولم يعرف أيهما المعتدى على الآخر يقرر الحكم بينهما (دار العدل) وهو عبارة عن نقل المذكورين وإنزالهما مع بيت أو نجع رجل طيب ليكون مطلعاً على كل ما يحصل بينهما ويكون شاهداً عليهما وشهادته هى التى يعمل بها .

٥ — لاتوجد نفقة عدة للمطلقة أبداً إلا إذا كانت حاملا فيلزم الزوج بنفقتها لغاية الوضع وتستمر النفقة للمولود لحين استلامه منها بمعرفة لبيبة .

يتسلم الأب أولاده من مطلقته بعد الفطام مباشرة إلا إذا تركهم مع والدتهم برضاه مع استمراره فى دفع نفقتهم تماماً .

٦ — إذا ظهر أن الزوج غير قادر على الدفع بالمرة وليس عنده أى شىء يمتلكه لتسديد نفقة عليه فيلزم والد الزوج وإخوته وأعمامه بدفعها عنه حتى يتيسر .

٧ — عدة الزوجة المطلقة هى تسعون يوماً هلالية أو ثلاث حيضات تقر بها المرأة أمام الحكم الذى يجب أن يأخذ إقرارها أمام شاهدين .

٨ — مدة الزوجة الأرملة المتوفى عنها زوجها هى أربعة أشهر هلالية ونصف شهر .

زواج ابن العم

كانت العادة عند الأعراب أن الرجل له الحق كله فى زواجه ببنت عمه ولا يمكن لبنت العم مهما عاشت من العمر ومهما حاولت التخلص منه أن تتزوج

بغيره وكان الغرض من ذلك إجبارها على الزواج بابن عمها لكي يكثر التناسل في العائلة الواحدة ويكثر رجالها الذين ينتفع بهم في القتال والدفاع وخلافه فيما مضى .

أما بعد أن أشرفت الحكومة من زمن مضى على شئونهم فقد اتضح للأعراب أن الرجل يحجز بنت عمه عن الزواج لا لغرض الزواج بها شرعاً بل لغرض دنيء هو الحصول على أي مبلغ من أهلها في نظير تركها حرة تتزوج بمن تشاء ولهذه الأسباب قررت العربان ما يأتي للسير عليه نهائياً وهو :

١ — إذا كانت البنت وابن عمها متفقين على الزواج اتفاقاً تاماً برضائهما ويكون ابن العم قادراً على دفع مهرها حسب عادات الدفع في عائلتهم فيكون ابن العم هو الوحيد الذي له الحق في زواجه بها دون غيره .

٢ — إذا كان ابن العم قادراً على الزواج ببنت عمه وهي لا تريده مطلقاً وغير موافقة على الزواج به فليس له أي حق في إمساكها وأيضاً ليس له الحق في منع أي واحد من أي قبيلة أخرى من الزواج بها إذا كانت هي راضية عن ذلك .

٣ — إذا اشتبه ابن العم في أن هناك رجلا آخر كان هو السبب في امتناع بنت عمه عن الزواج به أو غير فكرها من جهته يجوز لابن العم منع بنت العم من الزواج بالرجل المذكور على شرط إثبات ما ادعاه ابن العم على الرجل المشار إليه وإلا فليس له أن يمسكها أو يمنع زواجها بأي واحد آخر مرة أخرى .

التركات وتقسيمها

وقد قرر الأعراب أن يسيروا في تقسيم التركات والمواريث على حسب الشريعة الغراء كنص الكتاب المقدس (القرآن) .

الأيمان والحلف

١ — كثيراً ما يتهم الأعراب بعضهم بعضا بسرقات أو بتخريب أملاك أو بعمل أشياء منافية للعادات ويتعين إثبات ذلك فإن عجز عن الإثبات يكون المتهم أو المدعى ملزماً باليمين الأول بتبرئة نفسه والثانى لإثبات حقه وهذه الأيمان فى عادات أولاد على حسب ظروف كل حادثة ولقد اتفقت الأعراب من أولاد على على ما يأتى ليكون عادة ثابتة بينهم :

(ا) يمين الروح المقتولة هو أن يحلف خمسة وخمسون رجلا وهو يمين الدية الكاملة .

(ب) يمين نصف الدية (٢٧) سبعة وعشرون رجلا .

(ج) يمين ثلث الدية (١٨) ثمانية عشر رجلا .

(د) يمين ربع الدية (١٣) ثلاثة عشر رجلا .

٢ — المبلغ الذى يزيد عن ثمن الجمل الوافر المقدر له مبلغ (١٠) عشرة جنيهات يكون الحلف والتزكية على حسب ديته ومقدار الدية العمومية ويمينها .

٣ — المبلغ الذى يكون أقل من (١٠) عشرة جنيهات مصرية يحلف عليه ثلاثة أو أربعة أشخاص فقط وكذلك المتهم الذى يبرئ نفسه من تهمة ألصقت به يحلف بتزكية أربعة من أهله .

٤ — يمين تخريب الأملاك مثل ردم الآبار والسواقى وتكسير فوهتها والدوار والكفرة وهدمها يكون بحلف خمسة وعشرين رجلا وكذلك اليمين الذى يتقرر بين أشخاص فى خصومة على امتلاك الأراضى وما فيها .

الدفع والأخذ عند الأعراب

لكل عائلة بين أفرادها اتفاق على طريقة الدفع والأخذ يستمر كما هو عليه الآن .

والعائلة الواحدة تدفع كل شئ بالتعاون بعضها مع بعض عن الفعل الذى يحدث من أى فرد منهم ضد أى فرد أو عائلة أخرى — ما عدا الآتى :

١ — إذا ارتكب أى شخص من أى عائلة سرقة أى شئ من قبيلة أخرى يكون هو المسئول بمفرده عن دفع ما يلزم حتى يسدد قيمة السرقة كلها لصاحبها بأية طريقة متى ثبتت عليه السرقة .

٢ — إذا دفع السارق جميع ما يملك وظهر أنه لم يسدد قيمة السرقة يمسك العصب الأقرب فالأقرب إليه من عائلته حتى يسدد قيمة السرقة لصاحبها حتى ولو شمل الدفع جميع العائلة .

٣ — وما توضح فى مسألة السرقة يسرى حرفيا على كبارة هتك العرض ومنتهك حرمة النساء .

٤ — خلاف ما توضح بالبند الأول والثانى والثالث فإن جميع مايترتب على الحوادث الأخرى تدفعها العائلة كلها متضامنة تماماً .

ديون الأعراب وكيفية دفعها

١ — الديون التى تكون على أحد الأعراب سواء كانت مدنية أو تجارية أو كانت فى أحوال البيع أو الشراء أو خلافه يكون هو بمفرده المسئول عنها وعن سدادها .

٢ — الشخص الذى يقرض الآخر شعيرا أو مواشى أو بهائم أو نقوداً . عليه أن يأخذ إيصالا على المستلم للشىء بتوقيعه وشهادة شهود .

٣ — إذا أنكر الشخص استلامه الشىء أوغالط فيه بأية طريقة ويكون عليه إيصال فى ورقة منفصلة أو فى دفتر تاجر فإن الشخص الذى أعطى يحلف اليمين زيادة عما هو مبين فى دفتره أو إيصاله وبعد أن يحلف يدفع الدين ما عليه فوراً .

٤ — إذا كان المدين فقيرا ولا يمتلك أى شئ يسدد به ماعليه فى الوقت المحدد للدفع فيبقى الدين على المدين كما هو عليه بدون زيادة إلى أن يصبح المدين قادراً على الدفع فيلزم بالسداد حالا .

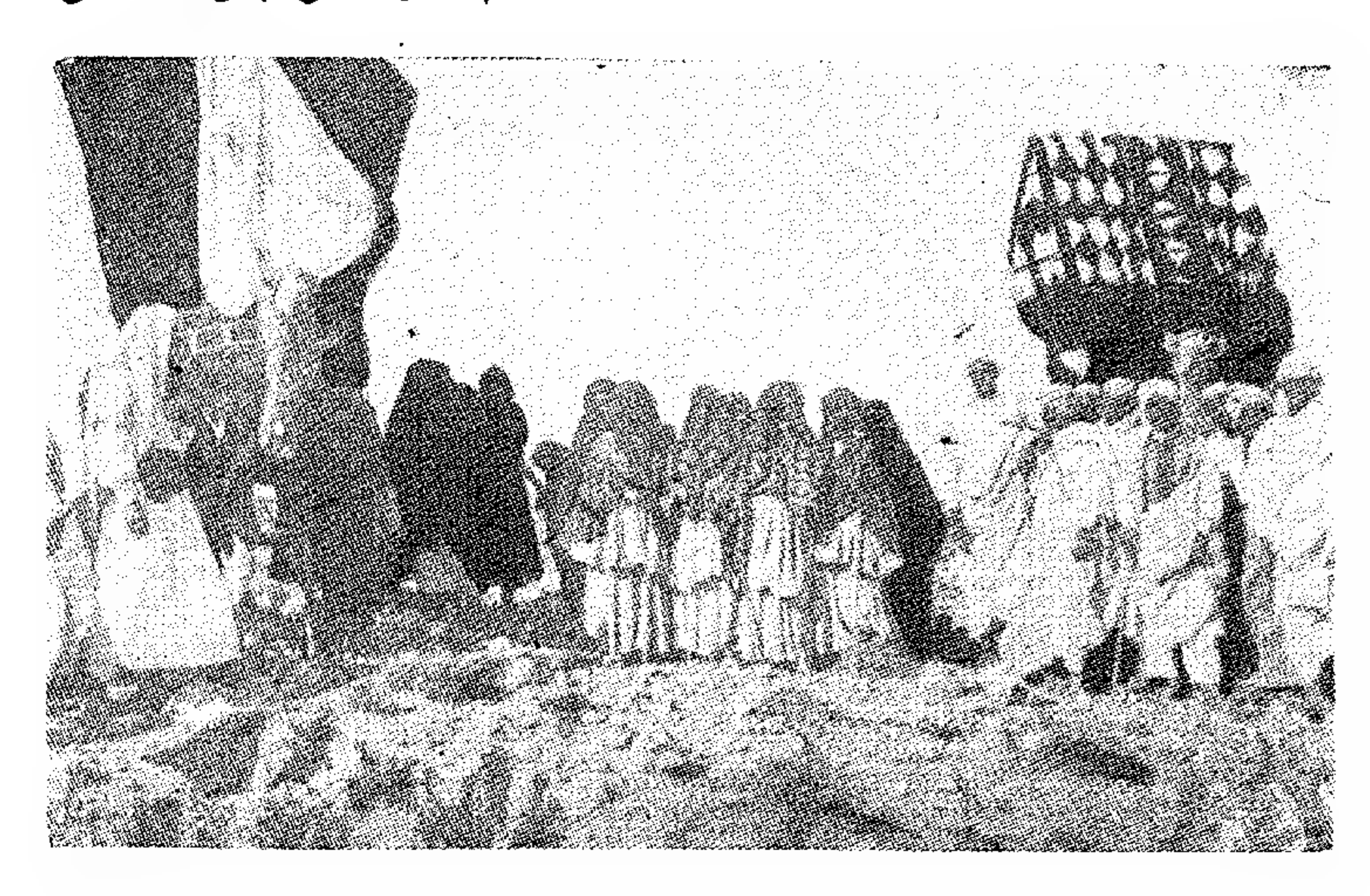
٥ — قد يحصل أحيانا أنه فى حالة الحجز على مواشى أو بهائم المدين أن يدعى المذكور أنها ملك لزوجته أو أهلها تخلصا من الدفع ففى هذه الحالة يعمل تحقيق وبحث لمعرفة ما يدعيه فإذا ظهر أن المواشى أو البهائم هى مشتراة من أصل مال الرجل المدين فيلزم بسداد ما عليه وإذا ظهر حقيقة ما ادعاه بأن المواشى والبهائم ملك لها سواء كان من أهلها أو من زوج آخر سابق فتكون ملكا للزوجة المذكورة ولا يجوز الحجز عليها ولا سداد الدين منها .

٦ — معاملات الأعراب الموجودة بينهم فى الوقت الحاضر تستمر على ما هى عليه .



عروسة من إحدى القبائل

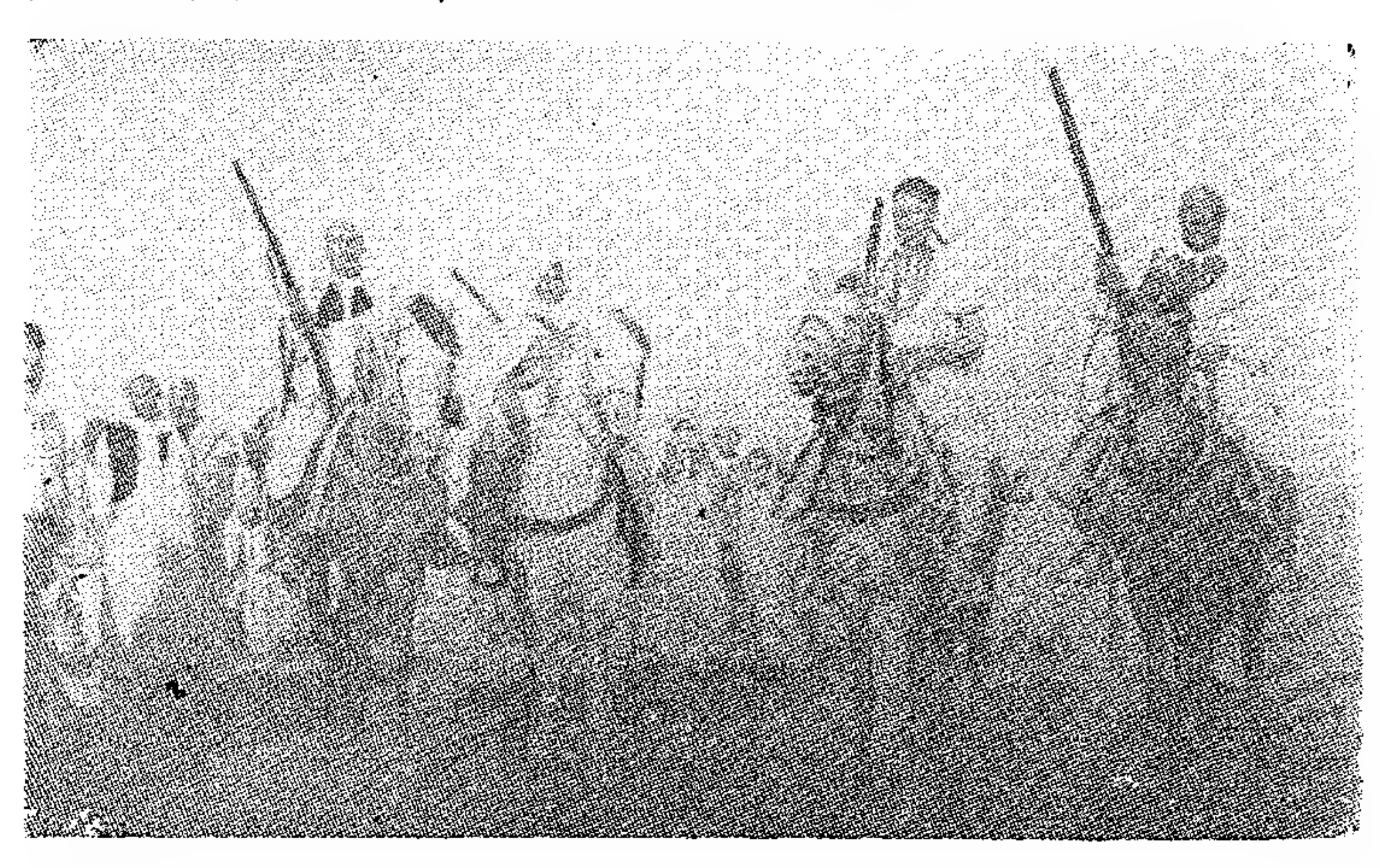
↓ عرس من قبائل أولاد علي





عمدة من قبائل أولاد على

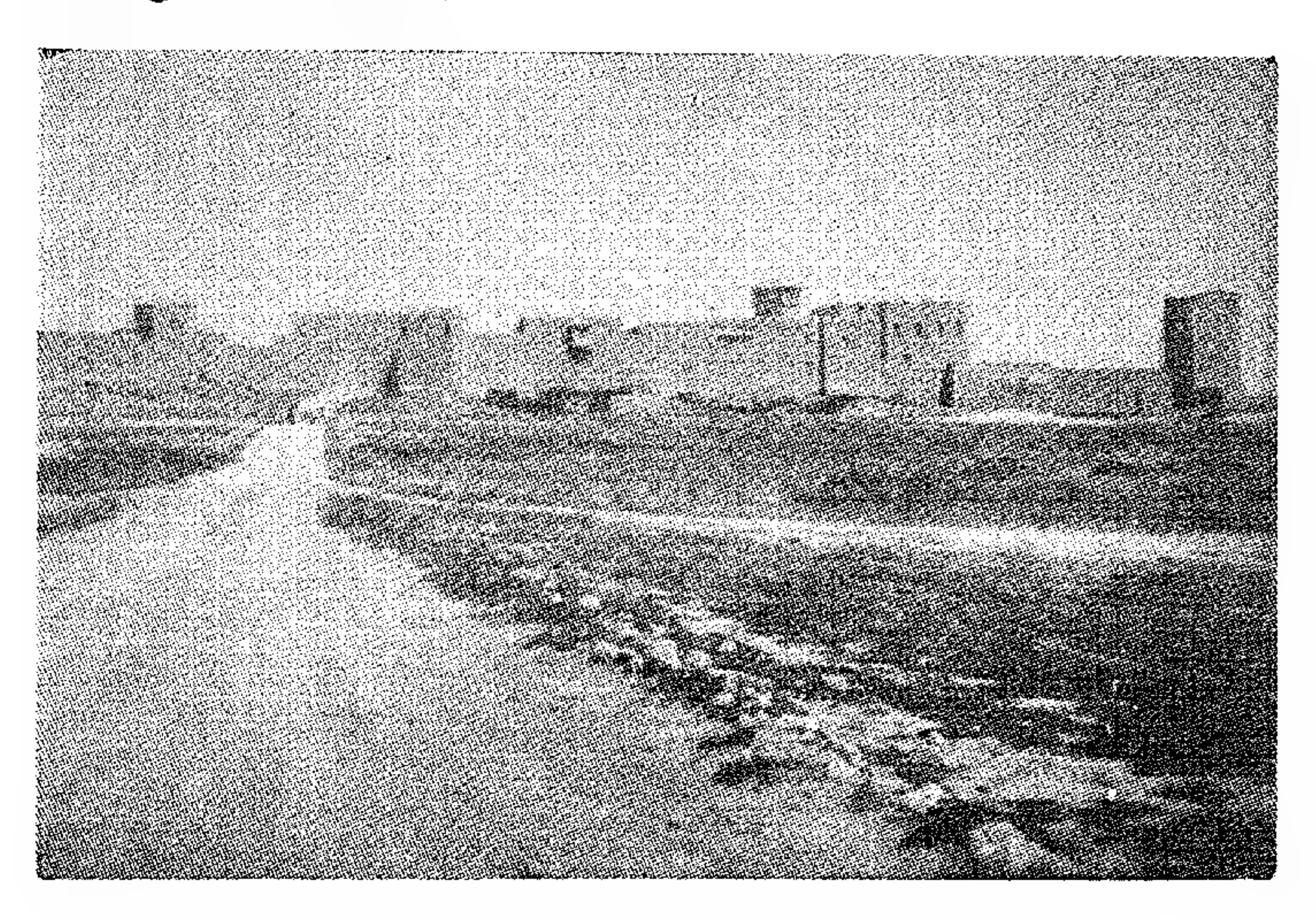
↓ فرسان قبائل أولاد على





شيخ من قبائل المرابطين

↓ البوابة القبلية لبرج العرب



*********************.****

البَابُ الثالثُ

٩ – القسم الأوسط من الصحراء الغربية

****

هضبة ليبيا

الجرف الكبير

منخفض القطارة

يشتمل القسم الأوسط من الصحراء الغربية على هضبة ليبيا الكبرى والجرف الكبير ومنخفض القطارة وسنتكلم عن كل منها باختصار .

هضبة ليبيا :

أما هضبة ليبيا الكبرى فهى عبارة عن مرتفع مسطح عظيم من الأرض المستوية ذات التربة الجيرية تمتد شرقا من وادى النيل وتنتهى غربا عند خليج سدرة بطرابلس الغرب .

وتكاد هذه الهضبة تكون خالية من الماء اللهم إلا بعض الخزانات الرومانية القديمة التى تم تجهيزها حديثا وإصلاحها وأكثر هذه الخزانات واقع على الطرق الداخلية الرئيسية كبئر الكنائس وبئر النصف والحلو والباسور (على طريق مطروح — سيوه) وبئر سيدى عمر ودجناش وبئر الشقة (على طريق السلوم — سيوه) كما أنه يندر وجود السكان فى هذه الهضبة حتى من الأعراب الرحل إلا قليلا منهم يسكنون القسم البحرى منها القريب من الشريط الخصب الساحلى — ويبلغ متوسط ارتفاع هذه الهضبة عن سطح البحر حوالى ٥٠٠ قدم تقريبا ويبدأ هذا الارتفاع تدريجيا من الجهة الشرقية حتى ليكاد يكون ملموسا عندها ويصبح متوسطا فى المنطقة من مطروح إلى برانى مسافة ١٣٠ ك م . ويسهل على السيارات الصعود إليه والنزول منه إلى ساحل البحر وتسمى هذه

المنطقة بجبال الطارف ولكن بعد سيدى برانى تزداد الهضبة فى الارتفاع حتى تصبح مثل ارتفاع الجبال ويصعب على السيارات ارتقاؤها من جهة الشاطىء اللهم إلا عند ممرات معلومة وفى الوديان المنحدرة ولا يوجد ممر أو نقب لارتقاء هذه الهضبة ما بين سيدى برانى والسلوم إلا عند نقب الحلفاية على بعد ١٢ ك . م من السلوم أو فى نقب السلوم نفسه ويسميه العرب بالطارف .

ويحدها من الجهة البحرية القسم الساحلى السابق الكلام عنه وهذا القسم هو القابل للزراعة والغنى بالمزارع الخضراء ويحدها من الجنوب جروف ومنخفضات عظيمة فى باطن الصحراء وسيأتى الكلام عنها .

موارد المياه بالهضبة :

أما موارد المياه بالهضبة فغير ميسورة إلا فى بعض خزانات كبيرة مهمة وغالبا ما تقع فى القسم البحرى من الهضبة وتملأ عادة من مياه الأمطار وذلك لقربها من الساحل وتقع أغلب هذه (الخزانات) على طريق السيارات المارة من الشمال إلى الجنوب كطريق مطروح — سيوة ، والسلوم — سيوة وطريق القطارة . . الخ

سطح الهضبة :

وأراضى الهضبة صالحة عموما لسير السيارات وقلما تخلو من مرتفعات قليلة جدا ومن الصعب إيجاد نقط شهيرة بها للاتجاه والاسترشاد ويصبح استعمال البوصلة أمرا ضروريا فى الطرقات المعلومة وكلما توغل الإنسان جنوبا قلت المراعى وأصبحت الأراضى قاحلة جرداء . وعند سيوة يبلغ ارتفاع الهضبة نحو ٤٠٠ قدم فوق سطح البحر .

الجرف الكبير :

وتنتهى هذه الهضبة من الجنوب بجرف عظيم حاد يطل على الوديان العظيمة ويبدأ الجرف من الشرق (وادى النطرون) بارتفاع تدريجى ويستمر فى الاتجاه غربا خصوصاً فى المنطقة بين المغرة والقطارة حيث يبلغ ارتفاع الجرف حوالى ١٠٠ إلى ١٠٠٠ قدم عن باطن الوادى أو الصحراء وهذا

الجرف حاد جدا فى كثير من المواقع حتى أنه يصعب ارتقاؤه أو الهبوط منه إلى الأرض المجاورة إلا فى ممرات معينة معلومة وقريبة من الواحات وتتبع هذه الممرات مجارى المياه فى الوديان .

ويحدد هذا الجرف أخاديد ومنحنيات تكتنفها تلال متناثرة هنا وهناك ويمكن للسيارات السائرة على الهضبة الوصول إلى حافة الجرف ولكنها لا يمكنها الهبوط إلى الأرض المتاخمة إلا فى هذه الممرات ولهذا الجرف أهمية حربية حيث يمكن التحكم منه على القوات السائرة بسهولة ويسميه الأعراب (الدفة) .

منخفض القطارة :

أما هذا المنخفض العظيم فسيكون أساسا لثروة عظيمة يمكن إنتاجها من الصحراء وقد تمت دراسته وفحصه وستوضع الخطط والأنظمة لتركيب آلات عظيمة عليه لتموين القطر المصرى بقوة كهربية هائلة ورخيصة كما سيكون سببا فى ترطيب الجو بالصحراء مما يسبب هطول كمية عظيمة من الأمطار فى هذه الصحراء القاحلة كما سيحيى صناعة الملح وتصديره .

فعلى بعد ١٠ ك . م . تقريبا جنوبا من الشاطىء وفى منتصف المسافة من الإسكندرية إلى مرسى مطروح يبدأ ذلك الانخفاض العظيم ويمتد للجنوب الغربى مسافة ٣٠ ك م . طولا ويختلف فى العرض بمتوسط ١٥٠ ك . م . ويشغل مساحة ٢٠٠٫٠٠٠ ك . م . مربع ويبلغ عمقه فى بعض النقط ١٣٤ مترا تحت سطح البحر وستنشأ بحيرة عظيمة هناك يكون متوسط انخفاض سطحها عن سطح البحر بمقدار ٥٠ مترا وتشغل مساحة نحو ١٤٫٠٠٠ ك م مربع .

والمشروع الجارى دراسته الآن عبارة عن حفر قناة لتوصل بين البحر وهذا المنخفض عند بلدة العلمين حيث تجرى فيها المياه وتصب باندفاع عظيم حيث تركب على مسقط المياه المنحدرة إليه بشدة (الآلات الكهربية) لتوليد كميات عظيمة من الكهربا . أما تصريف المياه فسيكون مستمرا ولا يتسبب فى ملء هذه البحيرة لأن حرارة الشمس ستبخر كميات عظيمة من هذه المياه

بالنسبة لاتساع سطح البحيرة والحد الشرقى لهـذا المنخفض القريب من واحة المغرة لايبعد عن القاهرة أكثر من ٢٠٠ ك . م وكذلك عن باقى غالبية بلاد الدلتا . وعلى ذلك فإن عملية مد الأسلاك لتوصيل الـكهربا إلى الوجه البحرى ستكون قريبة أو $\frac{١}{٤}$ (ربع) المسافه بين الوجه البحرى والـكهربا التى تتولد من مساقط المياه فى خزان أسوان وبما أن كمية المياه المتبخرة سنويا من البحيرة ستعوض من المياه الآتية من البحر والتى تصب فى البحيرة بسرعة ٦٠٠ قدم مكعب فى الثانية . حيث يمكن تركيب ثلاث تربينات عجلات قطر الواحدة عشرة أمتار لتسير بقوة اندفاع المياه وتولد نحو ١٥٠,٠٠٠ كيلوات فى الساعة .

وسيحتاج هذا المنخفض فى ملئه إلى سنين عدة حتى ولو سمح بفتح القناة على مداها . فإنه لـكى تملأ البحيرة حتى يصل سطحها إلى انخفاض ٧٠ مترا عن سطح البحر يحتاج الأمر إلى ٤٠ سنة وإلى مسطح ٦٠ مترا تحت سطح البحر لنحو ٦ سنة وإلى ١٥٠ مترا عن سطح البحر إلى ١٥٠ سنة . وفى فترة ملء البحيرة ستركب المولدات الـكهربية لاستنباط الـكهربا اللازمة كما أنه قدر ١٣٠٠ سنة قبل أن تملأ البحيرة بكمية الملح الراسبة .

وفى الوقت نفسه فإن ملء البحيرة سيرطب الجو فى المنطقة المحيطة ويسبب هبوط كميات عظيمة من الأمطار تساعد على زراعة أراض واسعة فى الصحراء المجاورة .

كما أن معدل سطح المياه فى عيون الواحات البحرية والفرافرة والخارجة والداخلة سيرتفع كثيرا وتزداد كمية المياه بها مما يسبب زيادة رقعة المنطقة الزراعية بهذه الواحات فضلا عن أنه عند نهاية المدة ستملأ هذه البحيرة بكميات عظيمة جدا من الملح المتخلف من تبخر المياه وقد قدرت كمية الملح

التى تمر يوميا تحت التربينات بنحو مليون طن من الملح وسيتسبب عنه وجود صناعة عظيمة وتجارة رابحة .

وإن تنفيذ هذه الخطة سيحيي جزءا عظيما من الأراضى البور الصحراوية فى الحدود الغربية بنفقات قليلة .

وهى إحدى مشروعات حكومة الثورة .

١٠ – القسم الجنوبى من الصحراء الغربية

****

غرود الرمال المتنقلة :

وفى الجزء الجنوبى الغربى من هذه الصحراء تمتد كثبان عظيمة من الرمال المتنقلة لمسافات طويلة واسعة ، وهذه الرمال تطغى على الأرض وتمتد رمالها الناعمة الغزيرة إلى مساحات عظيمة منبسطة تقدر بمئات من الأميال المربعة وتتجمع هذه الرمال فتحدث كثبانا (تلالا) من الرمال الناعمة تسمى بالغرود تسير متوازية بارتفاع كبير ممتدة من الشمال الغربى إلى الجنوب أو الجنوب الشرقى فى نفس اتجاه سير الرياح التى تهب على الصحراء .

انتقال الرمال :

أما انتقال رمال هذه المنطقة فهو عملية مستمرة ففى كل وقت تتغير الأرض فأحياناً تنحسر هذه الرمال عن بعض الأراضى فتنكشف مساحات واسعة مسطحة مغطاة بالحصى والصوان الصغير الأحمر وأحياناً تطغى هذه الرمال فتعلو مناطق أخرى فتغطيها فلا يظهر منها إلا ما كان مرتفعاً .

تكوينها :

وكثيراً ما تتكون هذه الرمال فى مناطق مختلفة فيصعب جداً اجتياز هذه المناطق بالعرض أى من الغرب للشرق أو بالعكس إلا عند فتحات أو ممرات معينة معروفة ومشهورة وهى فى الوقت نفسه تكون حاجزاً دفاعياً منيعاً للحدود والأراضى المصرية .

اتجاهاتها واختفاء ٥٠ ألف مقاتل من جيوش الفرس :

ويقال إن طغيان هذه الرمال آخذ فى الاتجاه نحو الجنوب بدليل أنها طغت

على طريق القوافل كان ممتداً بين الواحات الداخلة وواحة الكفرة فاختفى هذا الطريق تماماً كما اختفى تحتها جيش قمبيز ملك الفرس سنة ٥٢٥ قبل الميلاد وكان تعداد هذا الجيش خمسين ألف مقاتل من الفرسان وغيرهم وذلك عند ما أراد غزو واحة سيوة ولم ينج من هذا الجيش أى فرد ليذكر العالم بمصيره . وزيادة على ذلك فإن الواحة نفسها لم تسلم من هبوب عواصف هذه الرمال حيث تطغى على المزروعات وتتلفها وتحدث بها أضراراً كثيرة .

حدودها ومنخفض القطارة :

وتحدد هذه الغرود منخفض القطارة جنوبا ولاتلتقي بهضبة ليبيا إلاعند حدود مصر غربا .

ويجرى علماء الجيولوجيا دراسات عظيمة على هذه التلال وتنقلاتها واتجاهاتها وهناك بحوث شائقة فى هذا الموضوع لكثير من العلماء من مختلف الجنسيات وهم يتساءلون : هل سيأتى يوم تطغى فيه هذه الرمال على منخفض القطارة فتملأه بالرمال وتمحو أثر هذا المنخفض العظيم ؟

الواحات :

ولقد من الله على الجزء الجنوبى الجدب من هذه الصحراء وعوضه خيرا عن الأمطار بعدد من الواحات المنفردة المنتشرة فيه ذات التربة الخصبة والمياه الغزيرة ويسكنها بصفة دائمة شعب آخر ليس من سلالة الأعراب ويسقون من مياه ينابيعها المتفجرة ذات المجارى الدائمة تحت الأرض ويقال إن لفظة (واحة) كلمة مصرية معناها (مكان الراحة) وأما تعريفها فهى بقعة من الأرض الخصبة فى وسط الصحراء . وكل واحة تعرف غالباً باسم العين أو البئر التى تمدها بالمياه .

ومنطقة الواحات محاطة باراض غير صالحة للزراعة وبحيرات ملحة غير عميقة تتخللها الحشائش والحلفا وأحياناً أشجار الطرفاء وغيرها مما ترعاه الجمال كما يكثر بها الناموس وذباب الجمال حتى أنه يصعب الإقامة بها ويخشاها الأعراب فيقيمون بعيداً عنها خوفا على جمالهم .

مجموعات الواحات :

وفى الصحراء الغربية تقع مجموعات واحات سيوة وتشمل مجموعة الواحات شرق سيوة ومجموعة واحة سيوة ومجموعة واحات غربى سيوة ويقال إن هذه المجموعات متصلة عيونها تحت سطح الأرض اتصالا كبيراً .

ثم مجموعة واحات البحرية والفرافرة وسيأتى الكلام عنها فى فصل قادم .

تاريخ الواحات :

والمسكون من هذه الواحات معروف كواحة سيوة والجارة وبعض الواحات الصغيرة أما سواها فغير مسكون . ولكن توجد فى بعضها آثار عديدة مثل التى توجد فى واحات اللفا والجربا والعرق والبحرين مما يدل على أن هذه الجهات كانت آهلة سابقاً بالسكان ، ولم يعرف تاريخها لأنها ما زالت قيد بحث العلماء

والمعلوم عن تاريخ هذه الواحات قليل غير مشبع ، ولكن هناك آثاراً كثيرة ومعابد ومسلات تاريخية ومدائن متناثرة اكتشف بعضها ولا يزال بعضها الآخر فى انتظار علماء الآثار للكشف عنها وإيضاح علاقتها قديماً بوادى النيل .

ينابيع المياه بالواحات :

وقد استنبط الرومان طرقا للرى فاستعملوا ينابيع المياه المتفجرة القريبة من سطح الأرض حولها أحواض من الحجر ، ثم وزعوا مياهها ببناء مجار حجرية وعملوا سراديب تحت الأرض لحجز مياه هذه العيون وتوزيعها على الأراضى البعيدة . وبقيت هذه المنشئات قائمة وإن تكن قد أهملت منذ بدء الفتح الإسلامى وطمست معالمها حتى جددتها الحكومة .

١١ - دروب الصحراء ومساربها

****

(ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار)

(قرآن كريم)

المسارب (الطرق) :

يُطلق اسم مسرب عادة فى الصحراء على أحسن الطرق التى يتيسر بوساطتها السفر من ناحية إلى أخرى .

وقد أصبحت المسارب معالم ثابتة معروفة جيداً بين البدو يسلكونها بصفة مستمرة إما لنقل متاجرهم أو السير إلى أماكن الرعى أو الوصول إلى موارد المياه المنتشرة فى أنحاء الصحراء .

ويتكون المسرب عادة من عدة دروب (مدقات) متعرجة تسير متقاربة ومتوازية وفى بعض الأحوال تجد أن المسرب الواحد يشمل نحو ١٢٠ مدقا تسير متوازية حتى ليبلغ عرض المر أحياناً نحو مائة ياردة .

أثر هذه المسارب (الطرق) : ومما لا شك فيه أن هذه المسارب (الطرق) قديمة العهد جداً بالصحراء ومما يشاهد أنه يوجد فى هذه الطرق صخور تكونت منها حفر عميقة من كثرة السير عليها كما أن كثرة المرور فوق الأراضى الرخوة جعلها دروبا قوية متماسكة وصلبة خلافا لطبيعة الأراضى المحيطة بها وذلك لتوالى سير القوافل عليها لآجال عدة خلت .

أهمية هذه المسارب جغرافيا : ولما كانت لهذه المسارب أهمية عظيمة للرحالة ورواد الصحراء سواء أكانوا بالسيارات أم بالجمال لأنها تعين اتجاه خطوط

السير المعروفة فإنها ذات شأن أعظم وفائدة لا تقدر حيث يستعين بها الرواد والمستكشفون على تعيين مواقعهم جغرافيا على الخرائط بالضبط وبخاصة لأن هذه المسارب كانت قد خططت على هذه الخرائط من قبل .

ومن الظاهر جليا أن الخرائط التى طبعت قبل سنة ١٩٢٠ قد أهمل فيها رسم أو تخطيط مواقع هذه الدروب وبخاصة فى المنطقة المحصورة فما بين غرب الدلتا ووادى النطرون وواحة المغرة وبين واحة سيوة والبحرية الشىء الذى أدى إلى تعرض الكثير من دوريات السيارات ومرتادى هذه المنطقة من الصحراء لأن يضلوا الطريق .

وما زال الكثيرون منا يذكرون جيداً الحوادث المتعددة من هذا القبيل التى حصلت لكثيرين فى هذه الأنحاء وجرى البحث عنهم .

وهذا على عكس المنطقة الواقعة مابين واحة سيوة وشاطىء البحر ، فلا تخلو خريطة قديمة أوجديدة من تخطيط بعض هذه المسارب (الدروب) عليها وبذلك قلت مثل هذه الحوادث .

الخرائط الحديثة : وقد تنبهت الجهات المختصة لهذا الأمر فقامت مصلحة المساحة بتخطيط هذه الدروب على خرائطها الحديثة لما فى ذلك من الأهمية فى تعيين مواقع مرتادى الصحراء بسهولة .

ونظرة بسيطة على خرائط الصحراء يتبين جليا الشبكة التى تصنعها هذه المسارب والدروب وأهمية الأماكن التى تربط بينها بعضها وبعض ، وبينها وبين شاطىء البحر وداخل الصحراء ، وبين الآبار الشهيرة والمراعى الخصبة والواحات .

ولا تقتصر أهمية هذه المسارب على تحديد مواقع الرواد على الخرائط فقط بل تستعمل كطرق سهلة للسير عليها فى مختلف أنحاء الصحراء وأيضا فى ضبط ومراجعة مسافات السير بالنسبة لسرعة السيارات ومراجعة مقاسات الخرائط .

وقد بذلت مصلحة المساحة عناية خاصة بالصحارى لضبط مواقع وتخطيط المسارب المهمة بدقة بحيث يمكن الاعتماد عليها تماما عند السير فى الصحراء .

مسرب الحرامية : علاوة على المسارب الشهيرة المعروفة توجد بعض مسارب ثانوية قليلة الأهمية وتعرف هذه المسارب عند البدو باسم مسرب الحرامية او المهربين وتتخذ هذه الطرق المسارب دروبا مختصرة ومستقيمة بصرف النظر عن رداءة الأراضى التى تجتازها وهى دائماً تكون بعيدة عن الطرق المعروفة حتى لا تكون تحت المراقبة .

الاتجاه العمومى للمسارب (الطرق) : وكقاعدة عامة نجد أن غالبية الطرق (المسارب) فى الصحراء متجهة دائما من الجنوب إلى الشمال أو تقريبا من داخل الصحراء إلى الشاطىء حيث المدن التجارية الشهيرة .

وذلك عدا بعض مسارب قليلة تسير عرضاً من الشرق للغرب أو بالعكس ومن هذه المسارب مثلا مسرب العبد الذى يبدأ سيره من مدينة فزان أو طرابلس غربا وينتهى غالباً إلى واحة سيوة أو شرقها نحو وادى النطرون ويقال إنه كان مستعملا لجلب الرقيق وتكاد لا تنقطع حركة السير فيه غالباً من قديم الزمان ماعدا السنين الأخيرة حيث شاع استعمال السيارات وكثرت الحركة بالصحراء .

اتخاذ المسارب كطرق للسيارات : إن خطوط سير هذه المسارب تظهر حاليا على الأراضى فى الصحراء أو على الصخر ومن السهل اتباعها فى السير ولكنها عندما تقترب من أماكن المراعى تنتشر وتتوزع فى كل جهة بحيث يصعب معرفة الاتجاه الرئيسى للطريق أو المسرب وفى مثل هذه الأحوال يجب البحث حالياً عن علم الطريق وهو عبارة عن كومة من الأحجار يصنعها البدو على مسافات ظاهرة للاسترشاد بها عند السير ثانية على نفس المسرب أو الطريق .

وكما يلاحظ عند الاقتراب من نهاية الطريق بالقرب من شاطىء البحر أن تتفرع المدقات إلى فروع صغيرة من الطريق تتجه إلى مختلف الآبار حيث تكثر عند الساحل وتكون كمحطات لتجمع القوافل بعد نهاية السير أو عند ابتدائه للعودة إلى الصحراء .

وعند اتخاذ هذه المسارب كطرق للسيارات أو اتخاذها كدليل لسير السيارات

عليها يجب الانتباه جيداً عند المنحنيات أو تقاطع الطرق حيث تكون زاوية الدوران عادة خفيفة لأن البدوى بطبيعته يختصر الطريق عند الدورانات وبهذه الوسيلة يقطع قائد السيارة الطريق بسهولة وقد يتبع فى سيره مسارب أخرى بدون أن يلحظ ذلك ، ولذلك فمن الواجب دائماً مراجعة زوايا الانحرافات عند كل انحناء ولما كانت هذه المسارب أيضاً تتكون عادة من مدقات تسير متوازية فإنه يلاحظ أن المنحنيات فى المدقات اليمنى تكون على شكل دورانات تتجه لليمين ، واليسرى على شكل منحنيات تتجه إلى اليسار أما إذا كان السائر متتبعاً إحدى المسارب الكبيرة الشهيرة فإن عظام الجمال التى نفقت تشاهد دواماً على جوانب الطريق وتكون كمرشد يسهل الاستدلال بها على الطريق .

أهم المسارب بصحراء ليبيا

إن ما سنذكره بعد ، هو المسارب الشهيرة بصحراء ليبيا والمعروفة بالقوافل التجارية للأعراب . ولكن هناك مسارب أخرى كثيرة ولكنها ثانوية بالنسبة لهذه المسارب نضرب الصفح عنها كما أن هناك أيضاً مسارب سريعة تسمى بمسارب الحرامية وقد سبق وصفها وهى تصل بين المسارب الشهيرة بعضها ببعض اختصاراً للطريق .

مسرب الإخوان : وتطلق كلمة الإخوان على كل المسارب التى تصل إلى واحة جغبوب إشارة للاخوان السنوسيين ولا يوجد هناك مسرب معين بهذا الاسم ولكن كل الطرق الموصلة إلى الواحة المقدسة تعرف دائماً باسم (مسرب الإخوان) .

مسرب جالو : يصل واحة جالو بواحة جغبوب ويعتبر أشهر المسارب بصحراء ليبيا ويبلغ أحيانا عدد مسالكه ومدقاته مائة وعشرين مدقا متوازية فى السير .

مسرب الإخوان من الشمال الغربى : وينحدر هذا المسرب من هضبة ليبيا على الساحل نحو واحة جغبوب فيصل بين خليج سدرة وبنى غازى .

مسرب القرن : ويصل من واحة ساحل برقة عند خليج سدرة إلى واحة سيوة ويتقاطع هذا المسرب مع عدة مسارب شهيرة كمسرب الإخوان (من السلوم إلى جغبوب) على مسافة ٣٦ كم من جغبوب ويقطع مسرب العجرم عند منخفض الهرتما ويمر بواحة اللفا والجربة ومجموعة واحات غربي سيوة .

مسرب الإخوان من السلوم إلى جغبوب : ويصل ما بين ميناء السلوم وواحة جغبوب ويمر بجهة سيدى عمر .

مسرب العجوم : ويتفرع هذا السرب من مسرب الإخوان متجها إلى الغرب يميل نحو الجنوب بالقرب من منخفض الهرتما .

مسرب الشجّة : ويصل ما بين بئر الشجة وواحة الجربة (غرب سيوة) .

مسرب سفرزن : ويصل ما بين ميناء السلوم وواحة سيوة .

مسرب ديجناش : ويصل ما بين بئر ديجناش شمالا إلى واحة الجربة جنوبا .

مسرب الحمسة : ويعتبر من أكبر مسارب التجارة من الساحل عند سيدى برانى ومنه إلى بئر الحمشة ثم يتجه جنوبا نحو واحة سيوة .

مسرب القطرانى : ويصل ما بين بئر القطرانى على الساحل وواحة سيوة .

مسرب الاصطبل : ويصل ما بين مرسى مطروح على الساحل إلى واحة سيوة جنوباً ماراً ببئر الاصطبل وهو طريق سيوة العمومى الآن (وطوله نحو ٣٠٠ كم عبّدمنه نحو النصف) .

مسرب الخالدة : ويصل ما بين مرسى مطروح عند الجراولة على الساحل إلى جارة أم الصغيرة ومنها إلى سيوة .

مسرب الإخوان : ما بين سيوة وجغبوب .

مسرب العبيد : أكبر طرق التجارة على الهضبة ويسير من الشرق إلى

الغرب وهو طريق عظيم يصل من طرابلس إلى مصر ويقال إنه سمى بذلك بالنسبة لأنه كانت تجلب عن طريقه العبيد من غربى أفريقيا فى عهد تجارة الرقيق.

ويوجد غير ذلك كثير من المسارب والطرق المعروفة كطريق أنور بطرابلس وهو يسير موازيا لمسرب العبيد .

ويتجه عدد عظيم من مسارب الإخوان من الجغبوب جنوبا إلى أن يصل إلى واحة الكفرة والعوينات والفاشر وهذا الذى اكتشفه أحمد حسنين ومن الجغبوب إلى واداى والسودان الفرنسى وغربى أفريقيا وقد ازدهرت هذه الطرق فى عصر السنوسيين حيث ارتفع شأن التجارة فى أيامهم . كما أدى إلى انتشار طريقتهم الدينية من البحر الأبيض المتوسط إلى وسط وغرب أفريقيا .

مرسى مطروح — سيوة ٣٠٢ كم

****

(طريق مسرب الاسطبل)

المحـل	كيلو متر داخلي	كيلو متر مجموع	ملاحظـــات
مرسى مطروح	—	—	كل التسهيلات
مفرق سيدى برانى	١٥	١٥	اتخذ الطريق الأيسر
وادى الحرايق	٢٥	٤٠	بئر
بــئر الــكنائس	١٧	٥٧	خزان مياه أثرى رومانى
« جلاز	١٦	٧٣	خزان مياه أثرى رومانى
« الحـلو	١٣	٨١	خزان ميـاه رومانى
« الاسطابل	١٣	٩٩	« « «
« البويب	٢٦	١٢٥	« « «
« النص	٢٤	١٤٩	« منتصف الطريق
« الباسور	٤٤	١٩٣	
مفرق الخالدة	١٧	٢١١	مفرق طريق الخالدة
« طريق القطرانى	٢٠	٢٣١	
ميدان الطيران	٤٩	٢٨٠	ميدان الطيران القديم
نقب مجاحط	١٢	٢٩٢	مدخل سيوة — عين مياه
واحة سيوة	١٠	٣٠٢	شرطة — تليفون — تلغراف

١٢ ـ الطريق من مرسى مطروح إلى سيوة

****

راجع خريطة الطرق بالكتاب

ملاحظات عن الطريق :

يسهل السير فيه بأى نوع من السيارات ويستحسن ان تسير سيارتان سويا وقبل التحرك من مرسى مطروح تتزودان بالوقود والزيوت اللازمة للرحلة . والمياه موجودة فى الآبار على طول الطريق .

واحة سيوة :

وبها قسم من السيارات المسلحة وهى متصلة تليفونيا بمطروح وبها تلغراف لاسلكى وطول الطريق ٣٠٢ كم تقطعه السيارات من ٨ إلى ١٠ ساعات غير مسرعة وتقطعه الجمال فى ٥ الى ٦ أيام وجمال الحمل أو القوافل فى ٧ إلى ٨ أيام وللوصول إلى سيوة عدة طرق أو مسارب كما يسميها العرب ولكن أحسنها وأسهلها هو الطريق الرئيسى المسمى بمسرب الإسطبل وطوله نحو ٣٠٢ كم وهو الطريق الذى سلكه الإسكندر الأكبر عند زيارته لسيوة من آلاف السنين . ويوجد كثير من الآبار الرومانية أو خزانات المياه على طول الطريق وعلى مسافات متساوية ويرجع عهد أكثرها الى القرن الثانى من الميلاد وقد كانت أغلبها مطمورة فأعادت الحكومة المصرية حفرها وبنت حوائطها بالحجر والأسمنت وأصبحت تخزن فيها كميات عظيمة من مياه الأمطار وتمتلىء هذه الخزانات عادة فى فصل الأمطار لكى يشرب منها الأعراب وغيرهم فى فصل الصيف .

وترتفع الأتربة المتخلفة من حفر هذه الآبار أو الخزانات حولها ارتفاعا كالقباب تظهر من مسافات بعيدة فتكون كالأعلام للارشاد عن الطريق .

وعلى مسافات قليلة من هذه الآبار يقيم عادة الاعراب مضاربهم ويشاهد المسافر قطعانهم ورعاتهم فى المنطقة القريبة من مطروح كما تشاهد فى الطريق قطعان الغزلان تجرى هنا وهناك ترعى عن بعد إلا أن صيدها ممنوع . كما تصادفك أحيانا بعض الأرانب البرية تنتقل بسرعة من أكمة إلى أخرى ، كما تشاهد أسرابا من طائر القطا . ومما يسترعى النظر حقا وجود كثير من القواقع البحرية المختلفة الأشكال منتشرة على طول الطريق مع بعد هذه المناطق عن البحر ويقال إن هذه المناطق كانت مغمورة بمياه البحر من قبل التاريخ وانحسرت عنها المياه .

الاتجاه العمومى للطريق :

هو تقريبا نحو الجنوب الغربى على اتجاه الزاوية ٢٧٠ درجة تقريبا ويبدأ الطريق من غربى بلدة مطروح حيث يسير المسافر فوق طريق مرصوف بالمكدام بعد أن يجتاز بعض تلال بسيطة صخرية خارج البلدة ثم بعد ٤ ك . م تجتاز السيارة ميدان الطيران ويسير الطريق فى أرض مسطحة مستوية تماما مملوءة بالآبار والمراعى إلى أن يصل إلى ربوة يأخذ فى الهبوط بعدها (كيلو ٩ وادى الرمل)

وادى الرمل :

وهو أول واد يصادفك فى الطريق تنمو به الازهار الجميلة ثم يأخذ بعده الطريق فى الصعود تدريجيا إلى حافة الوادى ويسير فوق هضبة مسطحة وبعد نحو ٦ كيلو مترات أى عند الكيلو ١٥ يجد المسافر مفرق طريق السلوم ـ سيوة .

مفرق طريق السلوم ـ سيوة ١٥ كم :

وهناك لوحة بيضاء للارشاد على قارعة الطريق فالفرع الأيمن يتجه غربا نحو بلدة برانى والسلوم والفرع الأيسر (القبلى) هو طريق سيوة ويكاد يكون مختفيا فى وسط الحشائش لولا هذه اللوحة ويستمر الطريق سائرا فوق الهضبة

حيث يوجد بها مراع وحشائش طويلة والطريق مرصوف أيضا وبعد مسير نحو ٥ ك . م من المفرق يأخذ الطريق فى الانحدار نحو وادى الحرائق .

وادى الحرائق عند الكيلو ٤٠ :

أما وادى الحرائق فهو منطقة آهلة بالمراعى والزراعة وبه بئر مشهورة تسمى بئر الطارف أو أبو طريفة تسع نحو ٣٠٠ طن من المياه ثم يأخذ الطريق فى الصعود إلى هضبة ليبيا الكبرى وعلى بعد ١٥ ك . م من بئر الطارف يوجد بئر يسمى (حكفة شريف) وتقع غرب الطريق على بعد نحو ٣٠٠ ياردة منه ثم على بعد كيلو مترين منها يصل إلى بئر الكنائس .

بئر الكنائس كيلومتر ٧٥ :

وهى بئر ذات شهرة على طريق سيوة وهى فى الحقيقة عبارة عن بئرين متقابلين تبعد إحداهما عن الأخرى نحو ١٠٠ ياردة وبالقرب منهما تجد آثار قلاع رومانية قديمة أو نقطا للحراسة . وبعد بئر الكنائس يسير الطريق فوق مسرب الإسطبل ويسهل الاستدلال عليه وبعد ٣ ك . م يمر الطريق وسط تلين صغيرين يبلغ ارتفاع أحدهما حوالى ٦٠٠ قدم فوق سطح البحر ثم يمر بجملة هضاب وعلى مسافة ١٦ كيلو متر من بئر الكنائس يصل المسافر إلى بئر جلاز .

بئر جلاز كيلو متر ٧٣ :

وهى أيضاً إحدى الآبار المشهورة التى تقع شرق الطريق ثم يسير الطريق فى نفس الاتجاه إلى الجنوب الغربى وفوق أرض سهلة وعلى بعد ١٣ كم يصل إلى بئر الحلو .

بئر الحلو كيلو متر ٨٦ :

ويقع غرب الطريق وبعدها يكون الطريق كثير الانحناء وعلى مسافة ١٣ كم أخرى يصل المسافر إلى بئر الاسطبل (الكيلو ٩٩) وهى أشهر بئر فى الطريق

كما أنها بئر أثرى قديم وقد سمى الطريق باسمه وعلى بعد ٥ كم من البئر المذكور يخترق الطريق مرتفعا من التلال الجيرية ويسير موازياً لها من الجانب الغربى مسافة ١٥ كم أخرى حيث تنتهى هذه التلال وبعد ٢ كم يجتاز ممراً صغيراً يسمى بنقب البويب وبالقرب من هذا الممر وضعت فناطيس لملئها بمياه الأمطار وبعد ذلك يأخذ الطريق فى الانحدار وبعد مسافة ٣ كم أخرى يصل إلى بئر البويب .

استراحة بئر البويب عند الكيلو ١٢٥ :

كانت هناك استراحة ولكن أزيلت الآن وتقع فى وسط بقعة من الأرض مسطحة ومنخفضة وتحوطها التلال من الجهة الجنوبية الشرقية وفى غرب الطريق تقع بئر البويب ، أما الأرض المحيطة بها فتصبح تقريباً فى مستوى واحد مع سطح البحر . وبعد الاستراحة يأخذ الطريق فى الصعود تدريجيا نحو الهضبة الكبرى ويسير فى اتساع عظيم يخيل للانسان أن لا نهاية له ، ولكن الطريق ظاهر جيدا . وبعد نحو ٢٤ كم يصل إلى بئر النص لكيلو ١٤٩ .

بئر النص كيلو متر ١٤٩ :

وهذه البئر موجودة شرقى الطريق وقد سميت بهذا الاسم لأنها تقع فى منتصف الطريق بين مطروح وسيوة .

ويستمر الطريق سهلا حتى مسافة نحو ٤٢ كم حيث يمر المسافر ببعض المقابر المشهورة فى الطريق ويسميها الأعراب بالباسور وبعد مسافة ٣٠ كم يصل الطريق إلى بئر عظيمة تسمى بئر الباسور .

بئر الباسور كيلو ١٩٤ علامة من ١٩٣ مطروح :

وتقع هذه البئر شرقى الطريق وبعد مسافة ١٠ كم يصادفك طريق آخر من الجهة اليسرى (الشرق) ويسمى بطريق (مسرب الخالدة) .

مفرق مسرب الخالدة ٢١١ كم من مطروح :

وهذا المفرق يتجه إلى الجنوب الشرقى حيث يتصل بعد ٦٥ كيلو مترا بمسرب الخالدة وهو المسرب المشهور الذى يصل سيوة بواحة الجارة ثم يترك المسافر طريق مسرب الخالدة ويستمر فى الطريق الأيمن (الرئيسى) حيث ينحرف نحو الغرب وبعد أن يقطع ٩ كم أخرى يعود بعدها إلى الاتجاه الأصلى وبعدها بنحو ٨ كم يأخذ الطريق فى الانحدار تدريجيا وبعد ٣١ كم من مفرق الخالدة يصادفك على اليمين طريق آخر قادم من الجهة البحرية يسمى مسرب القطرانى .

مسرب القطرانى كيلو ٢٣١ من مطروح :

وهذا المسرب متصل بالطريق الأصلى من الجهة اليمنى وهو من الطرق المهمة للقوافل (ويصل شمالا إلى طريق سيدى برانى — والسلوم . ويتصل بهذا الأخير عند ناحية بج بج وهى على بعد ٣٠ كم شرق السلوم) — وبعد أن يترك الطريق مفرق الخمسة يبدأ فى التعرج قليلا وبعد ٥ كم يمر عند نقب السبعة بأرض جيرية نسمع انفجاراتها من تأثير مرور العجلات عليها وبعد ٥ كم أخرى تصل إلى ميدان الطيران بطريق آخر قادم من جهة الشمال الغربى (اليمين) يسمى بمسرب سفرزن (وهذا الطريق قادم من ناحية السلوم) ومن هذا المفرق نشاهد بعض تلال مخروطية الشكل يبلغ ارتفاعها نحو ٣٠ قدما ويسميها الأعراب جبل الحميات ويعتقد الأعراب أن الشخص الذى يمكنه الصعود إلى قمة هذا الجبل يكتسب مناعة ولا يصاب بحمى سيوة (حمى الملاريا) ومن هذا جاءت تسمية هذا الجبل (بجبل الحميات) وبعد مسافة ١٠ كم من ميدان الطيران أو مفرق سفرزن يصل الطريق إلى :

نقب (ممر) مجاحظ ٢٨٢ كم من مطروح :

ونقب مجاحظ هو أحد ممرات سيوة المشهورة وعنده تصبح الصحراء على ارتفاع ٤٠٠ قدم من سطح البحر فى حين أن سيوة تنخفض ٧٥ قدما تحت سطح

البحر وبالقرب من هذا النقب توجد عين مجاحظ ويسميها العرب (أبو مظفر) حيث يذبح عندها كل قادم للواحة لأول مرة ذبيحة قربانا لوصوله بالسلامة وبعد مسافة ٨ كم يصل إلى سيوة .

ومن نقب مجاحظ يشاهد المسافر منظراً من أبهى المناظر وأجملها بعد هذا السير الطويل فى الصحراء حيث صفائح المياه الفضية تطل عليها عرائش من أحراش النخيل الخضراء . وهناك نحو الغرب على بعد ١٥ ميلا يشاهد جبل خميسة قائماً بمفرده فى وسط السهل المنبسط . وإذا حولت بصرك نحو الجنوب تشاهد سلسلة من الجبال السوداء ، تلك هى جبال الدكرور كما تشاهد تلالا من الرمال الذهبية البراقة تمتد إلى مدى البصر وتبعد سيوة عن هذا المكان بنحو ٨ كم ويبدأ عندها الطريق فى الهبوط تدريجيا مخترقا النقب نحو الواحة وأحراش النخيل والحلفاء تحيطه من الجانبين ويسير الطريق فى وسطها كالشريط الذهبي وهكذا تسير حتى تشاهد أمامك مرتفعين قائمين كالقلاع هما مدينتا سيوة والأغورمى فأما البلدة اليمنى فهى سيوة وأما اليسرى لجهة الجنوب فهى (الأغورمى) وبعد قليل لا تلبث أن تختفى بلدة سيوة مؤقتا خلف جبل الموتى ذى المغارات المتعددة المنقورة فى الحجر .

وبعد ذلك يأخذ الطريق فى التحول للون الأبيض ويسير فوق أرض ملحة بيضاء تضفى على الطريق منظراً جذابا يقرب من منظر الثلج وبعدها يمر بأحراش من النخيل تتدلى منها عراجين البلح الأحمر وبعد مئات قليلة من الياردات فى طريق منبسط جميل تصل إلى بلدة سيوة .

بلدة سيوة ٣٠٢ كم من مطروح :

ملاحظة :

هناك اختلاف نحو ٨ كم بين علامات الطريق وعداد السيارة وهذا الفرق ناتج بالنسبة لخروج السيارات عن الطريق العمومى إلى طرق جانبية أحسن حالا من الطريق الأصلى(١) .

---

(١) لزيادة المعلومات عن واحة سيوة راجع كتاب جنة الصحراء (سيوة — واحة آمون) طباعة ونشر الدار القومية للطباعة والنشر .

١٣ ـ واحة سيوة(١)

****

وصف الواحة — البحيرات — الطرق بالواحة — العيون — مياهها — عجائبها — مدينتى سيوة والأغورمى — موقع البلدة القديمة ومدخلها — خزينة الأرزاق — تخطيط البلدة القديمة — البلدة الجديدة — سوق البلدة — أسواق البلح — بلدة الأغورمى — أخلاق وعادات أهالى سيوة — الديانة — عاشوراء — خرافات واعتقادات .

وصف الواحة :

واحة سيوة هى جزء من منخفض عظيم فى الصحراء — يمتد عرضاً من ناحية الزيتون شرقاً إلى المراقى غرباً ويبلغ عرضه ٣٠ ميلا . وبه جملة واحات صغيرة ليس بها زراعات . أما عرض الواحة نفسها فيبلغ نحو خمسة أميال ويبلغ الجزء المزروع ربع هـــذه المساحة أما الباقى فهو أراض ملحة وأراض سبخة وتلال رملية .

وترتفع الأراضى المزروعة نحو ٣ أو ٤ أقدام عن سطح الأرض السبخة وتحاط بعناية تامة بسياج من جريد النخيل .

البحيرات :

أهم البحيرات الموجودة بالواحة هى : الزيتون وقوريشت وخميسة والراغى وتصل إليها المياه من ينابيع فى وسطها أو مصارف المياه العذبة التى تصب فيها بعد رى المزروعات .

---

(١) هذه لمحة سريعة عن واحة سيوة ولزيادة الاطلاع يراجع كتاب (جنة الصحراء : سيوة أو واحة آمون) للمؤلف .

وتطوق الواحة تلال رملية تنبت فيها الحشائش والحلفاء ، وتغطى الأراضى السبخة طبقات بيضاء من الملح الجيد يجمعه الأهالى فى ليلة عيد الأضحى .

الطريق الرئيسى بالواحة :

أما الطريق الرئيسى الجميل بالواحة فيسير فى وسط أحراش النخيل تظلله فروعها وتتفرع منه عدة طرق فرعية توصل لأنحاء الواحة وتمر هذه الطرق بعيون جارية تظللها أشجار النخيل فيتمثل لك منظراً جذاباً تأوى تحته للراحة والسرور .

العيون والينابيع :

أما ما يدهش الإنسان حقاً فهو كثرة ينابيع المياه وعيونها المنتشرة بالواحة وقد قيل إنها كانت فى يوم ما نحو الألف عين ولـكنها الآن حوالى ٢٠٠ ينبوع أما ما يستعمل منها للرى والشرب فلا يزيد عن ٨٠ عيناً .

مياه الينابيع :

ومياه هذه الينابيع براقة ونظيفة وجارية وفوارة حتى يخيل للناظر إليها أنها تغلى إلا أن مياه بعضها حارة كعين الحمام وعين طاموسة وتغتسل فيها النساء ويغسلن ملابسهن وبعض هذه العيون محوطة ومكسوة بالأحجار من العهد الرومانى ويتعهدها الأهالى بالتطهير والتنظيف سنوياً .

وتروى الأراضى هناك بنفس الطريقة المتبعة فى الرى بمصر ولبعض العيون فتحات لتوزيع المياه فى جهات مختلفة ولبعضها خزانات لحجز المياه فيها وتوزيعها عند الضرورة .

عجائب العيون :

وللطبيعة تـكوين غريب فتجد فى منطقة متقاربة ينبوعاً ساخناً وآخر بارداً وثالثا عذباً ورابعاً ملحا — كما تجد ينبوعاً عذباً فى وسط أرض ملحة ولله فى خلقه شئون .

مدينتا سيوة والأغورمى :

وفى واحة سيوة مدينتان إحداهما سيوة والأخرى الاغورمى وهناك نواح بسيطة فى نقطة متفرقة كناحية الزيتون وقور يشت وخميسة كما يوجد بعض السكان فى ناحية مراغى يتخذون مقابر قديمة منحوتة فى الصخر بيوتاً ومنازل يسكنونها .

موقع البلدة القديمة :

أما مدينة سيوة القديمة فمبنية فوق رابية عالية وتظهر للرائى عن بعد كأنها بناء واحد أو قلعة ليس لها فتحات أو ممرات مطلقاً إلا ممر واحد محصن جيداً .

ومنازلهم مبنية طبقة فوق طبقة ويبلغ مجموعها ثمانى طبقات ويدخلها النور من منافذ صغيرة مصنوعة بنظام هندسى على شكل مثلث : وهى عبارة عن نافذتين فى الأسفل وواحدة فى الأعلى ،

مدخل البلدة القديم :

أما المدخل القديم الحصين للبلدة فموجود تحت الجامع العتيق وله درجات حادة منحوتة فى الصخر وعلى يمين الداخل السجن القديم وهو جب مظلم وفوقه مباشرة بيت المال (خزينة الأرزاق) وكلاهما لا يستعمل الآن .

خزينة الأرزاق :

وللخزينة باب صغير له قفلان أحدهما بالجهة الشرقية والآخر بالجهة الغربية وكانت تخزن فيها المؤن والحاجيات استعداداً لوقت الحصار أو الغارات ويصرف منها للفقراء .

تخطيط البلدة القديمة :

وكان للبلدة بوابة كبيرة تقفل وقت الحصار وشوارعها ضيقة ولكل شارع منفذ عليه بوابة مصنوعة من جذوع النخيل أحكمت خلفها السلاسل والمتاريس

لإغلاقها عند الحاجة والشوارع مظلمة ليس بها ميدان أو فسحة متسعة إلا عند بئر شالى وبئر أحمد وهما من الآبار المهمة فى البلدة وبالقرب من بئر أحمد كانت توجد معصرة الزيتون الكبيرة ويقال إنها كانت مستعملة من نحو ٢٠٠ سنة ولا تزال الأراضى المحيطة بها مشبعة بزيت الزيتون ولا تزال رائحته تفوح للآن .

البلدة الجديدة :

والآن أصبحت الحالة أشد أمانا وبدأ السكان فى هجر أماكنهم ومساكنهم القديمة فى الجبل واتخذوا مساكن متسعة صحية جديدة فى السهل على النظام الحديث وإن كان كل فريق لا يزال يبنى منازل فى الجهة التابعة له . فالشرقيون يبنون فى الشرق (منديشا) والغربيون فى جهة الغرب (جارة البلد) . أما المنازل فمبنية من الطين (الجالوص) ويؤخذ عند ما تشتد حرارة الشمس وتتبخر المياه وتتشقق الأرض ويتخلل الملح الطين فيزيده صلابة ، وهناك جامع يسمى الجامع العتيق له مئذنة بنيت من هذا (الجالوص) من نحو ألف سنة تقريبا . وفى خارج البلدة ميادين متسعة وأهمها ميدان سيدى سليمان والزاوية وهو مزار أهل البلدة وبالقرب من هذا الميدان الجامع الجديد الذى أنشىء فى عهد الملك فؤاد وبالبلدة عدة زوايا بعضها للسنوسيين .

سوق البلدة :

وتقع السوق فى الميدان شرقى البلدة وأغلبية التجار هناك من الأعراب .

أسواق البلح :

أما أسواق البلح فكبيرة ومقسمة ولكل عائلة مكان خاص بها لعرض محصولاتها فيه ويوضع البلح على الأرض فى أكوام عالية ولكل شخص الحق فى أن يأكل ما يشاء ولكن ليس له أن يأخذ معه شيئاً والبدو يعصرون البلح ويستخرجون منه نوعا لذيذاً من العسل .

بلدة الأغورمى :

تقع على بعد ١٢ ميلا شرقا وهى مبنية فوق صخرة جميلة مطلة على جميع الجهات وبأسفل الصخرة حوالى ١٢ عينا نابعة بعضها ساخن والآخر بارد وبعضها عذب والآخر مالح . والبلدة محاطة بأحراش النخيل بحيث تظهر فى وسط هذه الأحراش بارزة عالية مشرفة على جميع الجهات .

وشوارع الأغورمى أكثر اتساعا من شوارع سيوة القديمة . وللبلدة أيضا مدخل صعب المرتقى وله بوابة يقال إنه كان يحرسها سابقا ١٤ حارسا ليلا ومثلهم نهاراً . وفى وسط البلدة معبدان أثريان من آثار قدماء المصريين وقد تهدما تقريبا ولم يبق من آثارها إلا بوابة المدخل وبعض كتابات هيليجرافية . وأهل الأغورمى يقولون إن أحدهما يسمى معبد (جوبتر آمون) والآخر عبارة عن خزانة للمئونة ويسمونه « الخزينة » ويسمون بلدتهم (جاره[1] الخزينة) .

ويعتقدون أن فى أسفل الجبل ممرات موصلة بين المعبد والخزينة وبينها وبين جبل الموتى (جبل المصريين الذى يبعد نحو كيلو متر ونصف لجهة الغرب) وممرات موصلة بين المعبد وبين بيت السلطان وهو القائم على جبل الدكرور على بعد كيلو ونصف لجهة الجنوب وفى الأغورمى سوق للبلح أيضا على مثال أسواق سيوة .

أخلاق وعادات أهالى سيوة :

يقال إن أهل سيوة ينسبون إلى البربر ويكاد يكون ذلك صحيحاً لأن لغتهم تقرب كثيراً من لغة هؤلاء ، ولكن بعضهم من الأعراب وبعضهم من السودانيين وآخرين من سلالة المصريين — ويميل لونهم إلى الصفرة ولهم أنف قصير مستقيم وشفاه رفيعة وذقون مستطيلة . أما شعورهم فمستقيمة تميل للسواد ولكنها ليست سوداء أما بناتهم فشعرهن طويل مضفر لامع ومنتظم ويدهنه

(١) جاره معناها قرية أو بلدة .

بزيت الزيتون ويلبسن حليا مستديرة فى آذانهن وأرجلهن . أما عيونهن فسوداء وترتدى النساء هناك زيا واحداً من قماش القطن الأزرق مركبا من قطعتين . وتبرع النساء كثيراً فى عمل الأسبتة الملونة (المرجونة) ويعملن منها أشكالا جميلة .

الديانة :

وأهل الواحة مسلمون جميعا ويتبعون طريقتين دينيتين الأولى (السنوسية) والثانية (المدنية) ويقطن السنوسيون فى الجهة الغربية ويسكن الجهة الشرقية المدنيون (نسبة إلى المدينة المنورة) ولكن عند حدوث قتال بين الجهتين فكل شخص ينتصر لجهته بصرف النظر عن الطريقة الدينية التى يتبعها . أما أهل الأغورمى فهم محايدون تقريبا فعند وقوع القتال يقومون غالبا بوظيفة المتفرجين أما الآن فقد ساد الوئام تماما بين الشرقيين والغربيين بفضل مجهودات حكومة الثورة وتعاليم الشئون الاجتماعية .

وهناك دائما سوء نية بين الأعراب والسيويين فالأعراب يخافونهم ويعتقدون أن عندهم قوة سحر كبيرة . والسيويون يضمرون لهم شراً قديماً لسوء المعاملة التى لاقوها منهم فى سالف الأزمان .

والأعراب لا يدخلون البلدة إلا نادراً لأنهم قوم رحل لا يرتاحون لسكنى الواحة .

ويتزوج الرجال دائماً فى سن العشرين . ولكن النساء يتزوجن فى سن مبكرة جداً والمهر لا يزيد عن ستة ريالات وتحاول الحكومة بفضل الشئون الاجتماعية توجيه الأهالى توجيهاً صحيحاً .

وأهل سيوة مغرمون بالموسيقى والرقص وبعض أغانيهم مشجية ويغنون وهم فى المزارع فتسمع أغانيهم المشجية من مسافات بعيدة إذا كان الجو صحوا والرياح ساكنة . ولهم قدرة غريبة على تحويل الشعر والكلام إلى الموسيقى

وكل موسيقاهم لها معان مفهومة ويفهمها السامعون بسهولة بل ويمكن للسامعين التعبير عنها كلاما .

ويوم عاشوراء (العاشر من شهر محرم) من أحسن الأعياد عندهم فيزينون فيه منازلهم بأغصان النخيل ويغمسون المشاعل بزيت الزيتون وعند حلول الليل يوقدون هذه المشاعل فتظهر المدينة فى أبهج المناظر وأحلاها ويهلل الأولاد بالأغانى ويرددها البنات وتستمر المشاعل مضاءة حتى تطفأ من نفسها .

وأهل سيوة يشربون الشاى بكثرة وبخاصة الأخضر منه فى كل وقت من أوقات النهار ولهم طريقة خاصة إذ يجتمعون عند شربه جماعات بهيئة سامر وينتخبون من يصنع الشاى ويسمونه السلطان .

خرافات واعتقادات أهل سيوة :

ويعتقد أهل سيوة كثيرا فى الخرافات والسحر والتنجيم فى كل أحوالهم ومعيشتهم . فعين السوء دائماً أمامهم ويخافون الحسد والجن والعفاريت ويعلقون على أكثر منازلهم وحيواناتهم ونخيلهم وينابيع المياه تمائم وتعاويذ تمنع الحسد وتمنع العفاريت كحافر جمل أو كرجل ميت أو رأس حمار أو قرنى غزال أوقطع من الخزف والفخار . ويحمل كل واحد منهم بلا استثناء الأحجبة والتمائم تقريبا .

الغولة :

وإذا مات فرد منهم فإن امرأته تحبس نفسها عن رؤية الناس أربعة شهور قربية وتلبس سراويل بيضاء ويصرح لخادمة صغيرة فقط بأن تحضر لها الأكل والمياه للشرب ولا تجالسها وتسمى المرأة فى هذا الوقت « بالغولة » وعند نهاية المدة المعينة ينادى منادى المدينة بأن الغولة فلانة ستخرج للاستحمام فى عين طاموسة فى صباح يوم كذا فيقعد كل فرد فى مكانه أو داره ولا يبارحها حتى تنتهى مراسيم الاستحمام وتعود لمنزلها وتلبس اللعنة والرعب أى فرد أو مخلوق يقع عليها نظره قبل إتمام مراسيم الحزن . وهم يعتقدون أن الجن والعفاريت

موجودون فى كل مكان وقد يأتون من باطن الأرض أو من فوهات الينابيع ويسكنون عادة المحال المهجورة ولهم أرواح مؤذية شريرة ويتقمصون أحيانا شكل حيوانات كالماعز أو البقرة أو الحمار ويرتفعون حتى يبلغوا أبواب السماء .

أما الملائكة فلها أرواح صالحة وموجودة تحت الأرض وفى السماء .

والنساء اللاتى يرغبن فى الزواج يذهبن ليلا إلى بئر أحمد وينثرن الماء على أجسامهن كما تستحم كل العرائس فى عين طاموسة ليلة العرس .

وهناك نساء إخصائيات فى كتابة الأحجبة للحب . ويقال إن لهذه الأحجبة تأثيراً عجيبا ونتائج مضمونة والأحجبة والتمائم المصنوعة فى سيوة مرغوبة جداً فى مصر ووادى النيل . ويستعمل النساء السحر فى شفاء الأمراض[1] .

---

(١) لزيادة المعلومات عن الواحة اقرأ كتاب (جنة الصحراء سيوة أو واحة آمون) للمؤلف (الدار القومية للطباعة والنشر) .

١٤ — السنوسى الكبير

****

وعلاقته بالصحراء الغربية

مقدمة :

إن القوة والنفوذ العظيمين وقوة الإرادة والتأثير التى أخضع بها هذا السيد البدو من صحراء العرب إلى صحراء ليبيا والجزء الشمالى من أفريقيا تدلنا على القدرة والقوة الخارقة للعادة التى يتمتع بها هذا الرجل العظيم وقد كان رجلا نبيلا على خلق كريم نشر تعاليمه الصارمة ومبادئه القويمة بين جميع البدو فى مجاهل الصحراء .

ولد فى الجزائر سنة ١٧٨٢ . وأعلن أن نسبه يتصل بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وكان طويل القامة جذاب المنظر فصيح اللسان وكان لسرعة تفهمه لعقلية البدو فضل كبير فى نجاحه فقد عرف كيف يؤثر على نفوسهم وينفذ إلى قلوبهم بسهولة . وقد قضى حياته فى تعليم الدين حيث بدأ حياته معلماً للقرآن الكريم وكان يجول بلاد شمال أفريقيا لهذه الغاية ناشراً طريقته وتعاليمه ثم زار مكة وبيت الله الحرام حيث تلقى علوم الحكمة وعهود الصوفية وبعد أن أقام بها مدة من الزمان عاد ثانية إلى الجزائر ومراكش حيث قضى نحو سبع سنوات فى هذه الأقاليم الجبلية ناشراً طريقته بين القبائل فذاع صيته وانتشرت طريقته انتشاراً عظيما .

ولم يلبث طويلا حتى وقعت هذه البلاد تحت حكم الفرنسيين فرأى من الخير الرحيل منها وجعل قبلته القاهرة فالتحق بالأزهر الشريف أكبر جامعة إسلامية فى الشرق وأقام بها مدة ولكن تعاليمه وطريقته لم تصادف قبولا فيها ، كما أنه

مع أن أعداءه يكيدون له بمصر فهجر العاصمة إلى مكة المكرمة للمرة الثانية وهناك التقى بالسيد أحمد بن إدريس ، فانضم إليه وأخذ عنه العهد والتصوف وسار الاثنان سويا وقاما برحلات كثيرة إلى مجاهل صحراء العرب وقضيا هناك سنين عدة ساكنين بين البدو فى الحجاز ودخل فى طريقتهما أناس كثيرون وهناك توفى صديقه أحمد بن إدريس بعد أن أوصى رجاله ومريديه باتباع خليفته محمد السنوسى كزعيم عليهم بدلا منه فبايعوه بالزعامة وبذلك سنحت الفرصة له فأقام نفسه خليفة عن النبى صلى الله عليه وسلم مناديا أن طريقته هى الطريقة القويمة الخالية من البدع فى الدين . ولكن عرب الحجاز قوم ميالون بطبيعتهم للحرب والغزو وقد وجدوا فى تعاليم السنوسى ومذهبه ميلا إلى الهدوء والسكون فلم تلق تعاليمه بينهم نجاحاً . كما أن أشراف مكة ومشايخها رأوا فى نجاحه سلباً لسلطتهم ونفوذهم فأشاعوا عنه الأراجيف وعن مذهبه مخالفته للدين وأصول الكتاب فقد كاد السنوسى يحقق حلمه القديم وهو ضم بدو العرب إلى شمال أفريقيا ولكن لم يتحقق له هذا الحلم ولم يجد له مجالا بالحجاز وخاف غدر أشراف مكة ومشايخها فهاجر من هذه البلاد شطر أفريقيا ونزل بجهة بنى‌غازى بالصحراء الغربية وهناك بنى زاوية واستراحة بجبال درنة ونشر تعاليمه وكثر أعوانه فكانوا يرافقون القوافل فى رحيلها فى بطون الصحراء .

وقد كان وجود أعوانه مع القافلة كافياً لحمايتها من تعدى اللصوص وقطاع الطرق بالسطو عليها وسلبها ، وبعد ذلك اتخذ السيد السنوسى صوامع للعبادة فى مغارات واحة سيوة بالقرب من قصر الحسن وأصبح اسمه كالسحر وسط بدو الصحراء .

ومن مذهبه منع التدخين وشرب القهوة والتزين بالحلى ونسبت إليه كرامات كثيرة ، وقد كان يقيم المحاكم لمعاقبة المخالفين من أهل مذهبه ويجازى السكران بمائة جلدة ويقطع أطراف أصابع يد المدخن عبرة لغيره ، ولهذه الأسباب أصبح بدو العرب أكثر شربا للشاى بدلا من القهوة التى يشربها بكثرة عرب الشرق كالحجاز وسيناء .

وارتفع شأن السنوسيين وأصبحوا أغنياء وكثر عندهم العبيد واتسع سلطان ملكهم فى شمالى أفريقيا بشكل غريب وفي أيامه الأخيرة كانت كلمته قانوناً نافذ المفعول . ولما توفى سنة ١٨٥٩ فى واحة جغبوب التى تبعد ٩٠ ميلا غرب سيوة ازدحم الحجاج بالواحة القادمين إليها من بلاد العرب وأفريقيا . وقد قدر أتباعه بنحو مليونين وأصبحت جغبوب قبلة الحجاج السنوسيين وقبلة الأنظار لأهل مذهبهم . ولقد وضع فى أيامه الأخيرة فى منزله الأولياء الأبرار حتى أنه كان لا يمكن لشخص أن يتطلع إلى وجهه حتى أنه كان كل من يراه يحل به الحظ والشرف العظيم .

وقد كان يميل إلى الرجولة العربية حقاً كما كان فارساً ممتازاً وصياداً ماهراً وكانت اسطبلاته تزخر بأحسن أنواع الخيول العربية الأصيلة وفى أواخر أيامه قدم القاهرة وفى ركابه الآلاف من الأعراب وعسكر بالقرب من الأهرام واستقبل من الحكام بكل إكرام وتعزيز كاستقبال الملوك .

وقد اختار ابنه الأصغر خليفة له وسماه محمد المهدى وكان يرافقه فى حله وترحاله وإذا دخل مسجداً ، فقد كان هو الذى يخلع حذاء والده ويلبسه له وكان ذلك شرفا عظيما . وبعد وفاته بويع محمد المهدى خليفة له وفى سنة ١٩٠٤ توفى محمد المهدى .

فأقيم السيد أحمد السنوسى خليفة له وكان السنوسيون يلزمون السكون والهدوء تحت حكم الأتراك ولكن عندما استولى الإيطاليون على طرابلس ضيقوا عليهم فأظهر السنوسيون لهم العداء وأسسوا دولة عربية فى الجبل الأخضر وجبال درنة ، وكانت ذات نفوذ تخطب ودها الدول المجاورة ووجد البريطانيون بمصر أن من صالحهم أن يشمل الهدوء حدودنا الغربية فكانوا دائماً يخطبون وده ليحافظ على وقوفه على الحياد وأرسلوا إليه خطابات عدة سبق نشرها فى كتابى (جنة الصحراء) .

وفى سنة ١٩١٥ أرسل له جعفر بك (جعفر باشا) الذى قتل أخيراً بالعراق

بأسلحة وذخائر وقد تم تعليم خمسة آلاف محارب من رجال السنوسية ملمين تماما باستعمال المدافع وغيرها ، وفى نوفمبر أسروا رجال السفينة (طارا) ، وانسحبت القوات البريطانية والمصرية من السلوم وبرانى واحتلها السنوسيون وهاجموا مرسى مطروح حوالى ديسمبر من نفس السنة وقطعوا خط سكة حديد مريوط ولكنهم ارتدوا عنها وحدثت عدة مواقع فى يناير بناحية بئر الشوالحى وجهة حلازين غرب مرسى مطروح بنحو ٤٠ كيلو متراً وفى فبراير من السنة التالية تقدمت القوات المصرية والبريطانية إلى النجيلة وتقدمت خلف العدو إلى وادى المقتلة ، كما يسميه العرب وحدثت موقعة بجهة العقاقير على بعد ١٤ ميلا جنوب شرقى برانى وتقهقر السنوسيون واحتلت قواتنا سيدى برانى فى ٢٦ من يناير ووقع جعفر باشا أسيراً .

وفى ١٤ من مارس استولت قواتنا على السلوم وفى ١٧ من مارس خرجت قواتنا بسيارات مسلحة للبحث عن أسرى المركب طارا ، وعلى مسافة ١٤٦ ميلا عثرت عليهم وعادت بأربعين منهم على قيد الحياة وقطعت ٢٤٠ ميلا فى ٢٤ ساعة فى الصحراء بقيادة دوق وست نستر وقد كانت هذه الحملة من الحملات الموفقة حقاً .

أما السيد أحمد الشريف السنوسى فقد رحل فى غواصة ألمانية إلى الآستانة ومنها إلى الحجاز حيث توفى هناك أما شقيقه جلالة ملك ليبيا (الملك إدريس الأول) ملك المملكة الليبية .

١٥ — وادى النطرون

****

الوصف الجغرافى — الوصف التاريخى — حاصلاته — المواد الأوليــة — شركة الملح والصودا — أديرة وادى النطرون — وصف عام لها — دير البرموس — دير السريان — دير الأنبا بشتوى — دير الأنبا مقار .

الوصف الجغرافى :

وادى النطرون عبارة عن منخفض فى صحراء ليبيا يتجه من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ويبلغ طوله نحو ٦٠ كيلومترا وطول بحيراته نحو ٣٠ كيلومترا ومتوسط عرضه عشرة كيلو مترات وأوطى منسوب فيه ٢٢ مترا تحت سطح البحر والمسافة بين الجنوب الشرقى ومدينة القاهرة حوالى ٨٠ كيلو مترا ومن طرفه الشمالى إلى مدينة الإسكندرية حوالى ٨٥ كيلو مترا .

أما بحيراته فماؤها ملح أجاج وعمقها لايزيد عن المترين ويقال إن ماء هذه البحيرات مستمد من ماء النيل بدليل أنها تزيد فى زمن فيضانه وتنقص فى وقت التحاريق حتى إن بعض البحيرات تجف تماما فى فصل الصيف .

اسم الوادى قديما :

وكان وادى النطرون يسمى قديما (وادى هبيت) لوجود النطرون والبردى به بكثرة ثم أطلق عليه الرهبان (برية شيهات) ومعناها برية ميزان القلب والتعبد وسماه اليونان بلغتهم برية الأسقبط .

الوصف التاريخى :

كان وادى النطرون قديما قسما من لوبيا التى كانت فى هذا الوقت قطرا

مستقلا بذاته عن مصر وكان سكانه اللوبيون فى خصام مستمر مع المصريين حتى كانوا يحاربون المصريين فى أرض مصر ذاتها إلا أن المصريين تغلبوا عليهم أخيراً وضموا هذا الاقليم إلى مصر .

مدنه القديمة :

وذكر المؤرخون أنه كانت توجد بهذا الوادى ثلاث مدن قديمة وهى (سيانيس) و (نيتريا) و (بيامون) ولا يوجد لها أثر ظاهر الآن يمكن أن يستدل به على مواقعها .

حاصلاته :

إن أهم حاصلات الوادى هى :

النطرون — الملح — نبات الحلفا الذى تصنع منه الحصر .

وليست هذه الحاصلات بالحديثة بل عرفت من قديم الزمان وقد ذكرها كثيرون من مؤرخى العرب مثل ابن مماتى فى كتابه (قوانين الدواوين ١٢٢٩م) وابن دقماق فى كتابه (الانتصار لواسطة عقد الأمصار ١٣٨٨ م) وابن الجيعان فى كتابه (التحفة السنية ١٣٩٨ م) والقلقشندى فى كتابه (صبح الأعشى ١٤١٨ م) والمقريزى فى (خططه ١٤٤١ م) وعلى باشا مبارك فى كتابه (الخطط التوفيقية)

ومن مؤرخى الإفرنج الأب فانسلاب والسائح الفرنسى جرانجار والسائح الإنجليزى مستر براون والجنرال اندريوس .

المواد الأولية :

وبالبحيرات ثلاثة أنواع من المواد الأولية وهى :

١ — خورطاى وهى مادة صلصالية توجد فى قاع البحيرات غنية بكربونات الصودا .

٢ ـ قورشف وهى مادة متبلورة توجد على شاطىء البحيرات وهذه المادة غير نقية .

٣ ـ سلطانى وهى مادة متبلورة توجد فى قاع البحيرات .

شركة الملح والصودا :

وهذا الوادى أعطى بالالتزام للشركة المذكورة ومدة التزامها من ١٠ نوفمبر سنة ١٨٩٧ إلى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٧ . وقد آلت ملكيته الآن للدولة وعملت به مشروعات عظيمة كالزراعة ـ وعمل السجاد ـ ومصانع الراديو ـ وتربية الدواجن الخ . وتقوم هيئة تعمير الصحارى والاصلاح الزراعى بمشروعات عظيمة فى حكومة الثورة .

أديرة وادى النطرون :

أهم آثار الوادى هى الأديرة .

مؤسس الأديرة :

وأول من أسس هذه الأديرة هو مارامون منشىء الرهبنة فى العالم المسيحى حوالى عام ٢٧٠ بعد الميلاد ولو أن بونثونيوس كان قد اتخذ هذا المكان دار إقامة له قبل هذا العهد بنحو قرن من الزمان .

وقد اقتفى أثر مارامون عدد كبير من أصحاب الميل إلى الانفراد وبينهم مكاريوس المعروف بأنبا مقار الذى نال شهرة واسعة .

عدد الأديرة :

وبلغ تعداد هذه الأديرة فى تلك الجهة فى ذلك العهد نحو ٥٠ ديرا وكان يقطن تلك الصوامع الآلاف من الرهبان الذين زهدوا فى العالم وتبحروا فى العلوم والفنون ولم يبق الآن إلا أربعة أديرة وهى دير البرموسى ـ دير السريان ـ دير الأنبا بشوى ـ دير الأنبا مقار .

الحالة العامة بالأديرة :

ولكل دير من هذه الأديرة الأربعة سور ارتفاعه ١٢ مترا وبوابة لا تفتح إلا عند الدخول أو عند ما يدق الجرس المعلق فى أعلاها وعندئذ يصعد البواب وينظر إلى القادم فإذا كان أحد الأعراب أرسل له طعاما داخل مقطف بحبل يدلى خارج البوابة وإذا كان زائرا فتحت له البوابة .

الرهبان ومعيشتهم :

ومعيشة الدير الداخلية بسيطة جدا وهى غاية فى الزهد والتقشف . وأول عمل يقوم به الرهبان هو عمل القربان فى الفجر ، ثم رفع القرابين وتقديم الصلوات لله تعالى بملابسهم البيضاء ، ثم ينصرف بعضهم للاشتغال بالأعمال الحيوية كطحن الحنطة وتجهيز الخبز والطعام وملاحظة الحدائق وغير ذلك من الأعمال التى يتطلبها الدير — ومنهم من يتفرغ لمطالعة الكتب الدينية ونسخها وهم ينامون عند غروب الشمس بعد تأدية الفرائض الدينية بالاشتراك معا . والرئيس العامل للدير هو أقدم الرهبان ويليه الوكيل أو الرقيب فالقانونى أو البواب ويستبدل بآخر كل أربعين يوما والربيتة أو الأمين والراهب فالغلمان أو حديثو الرهبنة .

ويوجد بكل دير طاحونة لطحن الغلال وفرنان أحدهما كبير لتجهيز الخبز والآخر صغير ويستعمل للقربان — ويعمل الخبز مرة كل أسبوع ولا يوجد تعيين محدد لكل راهب بل يأخذ كل كفايته من حجرة الطعام .

ولا تستعمل المائدة للأكل بل للخبز فقط وكل راهب يأكل على انفراد ولا يجتمعون لتناول الطعام لأن بعضهم يصوم يوما فى السنة .

ويتقاضى كل راهب شهريا مبلغ ٥٠٠ مليم نظير ملبسه وشراء ما يلزمه من الدخان وبعض حاجياته الأخرى .

دير البراموسى (دير الأنبا موسى)

بنى هذا الدير منذ ١٦٠٠ سنة وبه ٣٣ راهباً وثلاث كنائس ومساحته فدانان وبه ناقوس مكتوب عليه بالروسية أسماء المبشرين الأربعة متى ومرقص ولوقا ويوحنا .

وبه جثتان محفوظتان فى تابوتين إحداهما للانباموسى الأسود والأخرى للانبا إيسيذوروس ويوجد به مكتبة تحوى عدداً عظيما من الكتب الدينية .

وبالدير بئران إحداهما عمقها ١٨ متراً والثانية عمقها ٣٢ متراً ومياههما عذبة وبالدير حديقتان بهما نخل ورمان وعنب ومساحتهما نحو أربعة قراريط .

ومرتب الدير من الأغذية سنويا ٧٠ إردباً من القمح و ١٥ أردباً من العدس و ٦ كيلات أرز و ٦ قناطير عسل أسود وقنطاران عسل نحل و ٧ صفائح من الزيت و ٨ صفائح مسلى و ٤ أرادب فول و١٥ إردب بصل و ١٥ ذبيحة منها ٤ ثيران واحد عشر خروفاً وهذه تصرف فى المواسم والأعياد وتصرف عشرة جنيهات لمشترى السمك والخضراوات وهناك علف للحيوانات وهى بغل وثور وحمار ولهذا الدير أوقاف تبلغ نحو ٢٥٠ فدانا .

دير السريان وأبو يحنس كاما

بنى هذا الدير من نحو ١٤٠٠ سنة فى عهد الانباديمتريس الكرام ومساحته نحو فدانين ومرتبه ٥٥ راهباً .

وبه أربع كنائس ومقبرة للأنبا مرقص مطران الحبشة وبها صور القديسين وبالكنائس نقوش أثرية جميلة من خشب الصنوبر المطعم بالعاج للعذراء والمسيح وغيرهما . هذا بخلاف المبانى الأخرى الموجودة بالدير وبه قصر يصل المرء إلى بابه بوساطة سقالة ترفع وتهبط بيكرة وذلك لالتجاء الرهبان إليه عند اللزوم وبالدير استراحة وبئر عمقها ١٧ متراً وحديقة مساحتها نحو ثلث فدان وبها أشجار عنب ورمان وجوافة وبلح وجميع أنواع الخضراوات .

وللدير مرتبات عظيمة سنوية من القمح والعدس والفول والمسلى والسمك والجبن والطيور واللبن والسكر والبقول الناشفة والأرز والكشك والثوم والعسل الأسود وعسل النحل والبهارات والحطب وبالدير نحو ٥٠ غرفة للسكن وبه مكتبة عظيمة وبه نحو ١٠٠٠ كتاب مخطوطة وبه ثلاث جثث إحداها لصاحب الدير والثانية للأنبا أفرام السرياني والثالثة للأنبا جورجي . ولهذا الدير أوقاف تبلغ مساحتها ١٣٥ فدانا وعقارات بمصر .

دير الأنبا بشرى

بنى هذا الدير منذ ١٤٥٠ سنة ومساحته أربعة أفدنة ومرتبه ٢٥ راهباً ويبعد هذا الدير عن دير السريان بنحو كيلو متر ويوجد به ثلاث كنائس عظيمة وبعض كنائس أخرى غيرمستعملة وقصر الدير يشتمل على ثلاث طبقات وبه كنيستان .

وبالدير ثلاث جثث إحداها للأنبا بشرى صاحب الدير والأخرى للأنبا بولا طاموى والثالثة للأنبا ابسخرون .

وبه بئران إحداهما عمقها ١٤ متراً والثانية عمقها ٢٥ متراً وللدير المذكور مرتبات عظيمة مماثلة لمرتبات باقى الأديرة ولكن بمقادير أقل وله أملاك تقدر بنحو ١٠٨ من الأفدنة بمديرية البحيرة .

دير الأنبا مقار

وقد تأسس منذ حوالى ١٥٠٠ سنة وبنى فى عصر الأنبا اثناسيوس ومرتبه ٢٥ راهباً ومساحته فدانان ونصف وهو يبعد بنحو ثلاث ساعات عن دير السريان ويحتوى على نحو ٧ كنائس .

وأهم ما فى هذا الدير كنيسة مدفون بها شيوخ بريه شيهات وعددهم ٤٩ شيخاً وبينهم وزير رومانى وولده كان قد أرسلهما البابا لاوون لتحويل الكنيسة

الارثوذكسية إلى كاثوليكية فأبى الشيوخ ونتج عن ذلك قطع رءوسهم ثم قضى الوزير بيده على ولده وعلى نفسه من بعده ولذلك دفن معه . وبالدير هيكل يوحنا المعمدان ومقبرة له ولليشع النبي .

وبالدير ٢٠ جثة أخرى منها ١٦ لبطاركة و٤ قديسين من بينهم أبو مقار صاحب الدير وتلاميذه الثلاثة .

وبالدير قصر ارتفاعه نحو ٢٠ متراً ومكون من ثلاث طبقات وبه مكتبة عظيمة و ٥٠ غرفة وبئر واحدة عمقها ١٨ متراً ولكن ماءها غير صالح للشرب ولذا تجلب المياه اللازمة للدير من بئر على بعد ٢٠ دقيقة على ظهر الدواب .

وللدير المذكور مرتبات من المؤن تبلغ نحو ثلثي دير السريان وتبلغ مقدار الأراضي الموقوفة ١٢٠ فدانا بمركز امبابة .

١٦ - الواحات البحرية والطرق الموصلة إليها

****

الواحات البحرية بين غرود الرمال — الموقع الجغرافى — التكوين الطبيعى — التكوين الطبوغرافى — المياه — الزراعة — البلاد — الحيوانات .

الرواد ومؤرخو العرب — الأنصارى — أبو الفداء — ابن دقاق — القلقشندى — على باشا مبارك .

الرواد ومؤرخو الافرنج — بلزونى — كاليون — باخور — مولر — اشرسن — واستيند روف — ليونى .

تاريخ وآثار الواحات البحرية — مقدمة — الآثار الموجودة بالواحة — العصر المصرى — العصر الرومانى — الآثار القبطية — العصر الإسلامى .

الطرق الموصلة للواحة بالقوافل — الفيوم البحرية — سيوة البحرية — البهنسا — والبحرية — الفشن مغاغة — الحمام البحرية — الفيوم البحرية .

طرق السيارات — الجيزة البحرية — برج العرب البحرية — الفيوم البحرية — سيوة البحرية — العملية البحرية — الفرافرة البحرية — صدفا البحرية — الفرافرة أبو منقار .

الواحات البحرية بين غرود الرمال

الموقع الجغرافى :

الواحات البحرية وتعرف أيضا بالواحات الصغيرة تقع بين خطى الطول ٢٧,٤٨° و ٢٨,٣٠° وخطى العرض ٢٨,٣٥° إلى ٢٩,١٠° شرقى جرينتش وهى تقع فى صحراء ليبيا على بعد ١٨٠ كيلو متر تقريبا غرب وادى النيل وتقطعها القوافل فى أربعة أو خمسة أيام والسيارات من ثمان إلى عشر ساعات .

التكوين الطبيعى والطوبوغرافى للواحة :

وهذه الواحة كمثيلاتها من الواحات القريبة منها (كالفرافرة والداخلة والخارجة) عبارة عن منخفض فى وسط صحراء ليبيا ولكنها تختلف عن هذه الواحات بظاهرة غريبة وهى احاطتها بجروف عظيمة وكثبان (غرود) كبيرة من الرمال المتنقلة وبهذه الصفة تكون موقعا طوبوغرافيا منقطع النظير .

ويرجع تكوين المنخفض الموجودة فيه هذه الواحة إلى عصور جيولوجية متوغلة فى القدم ، فقد حدثت عدة انكسارات فى هضبة ليبيا والتوت طبقاتها بعضها فوق بعض ثم توالت عليها العوامل الجوية كالحرارة والبرودة والرياح والصقيع وغير ذلك فأثرت فى هذه الطبقات التى أخذت فى التناقص والتآكل تدريجيا إلى أن انتهى الأمر إلى احداث تجويف صغير شبيه بالمنخفض الذى تشغله الواحة فى الوقت الحاضر .

ولقد أجرى علماء الجيولوجيا عدة بحوث عن أصل هذه الواحة وتكوينها فى العصور القديمة البليوسى واتصالها ببحر الاليوسينى وتكلموا عن تأثير الرياح الصحراوية فى تكوين غرود الرمال المحيطة بالواحة وهذا البحث طويل ليس مجاله هنا ولكننا أوردنا خلاصته فى هذه الكلمات القليلة السابقة الذكر .

المياه :

أما المياه الجارية فى هذه الواحة فتتكون مما يتسرب من مياه الأمطار التى تسقط بكثرة فى أقاليم خط الاستواء بأفريقيا حيث تسير هذه المياه فى مجار وأنهار سفلية فى باطن الأرض منحدرة نحو الشمال ومخترقة الصخور الرملية فإذا صادفتها صخور صلبة صماء أصبحت كحاجز يمنع تسرب مياه هذه الأنهار فتحجزها وترتفع هذه المياه وراء هذا الحاجز وتنفذ إلى سطح الأرض فى نقط ضعيفة التكوين وتنفجر على هيئة عيون هى التى نشاهدها فى الواحات وتكون هذه العيون أحيانا طبيعية (متفجرة بنفسها) أو صناعية يحفرها الأهالى فى طبقات الأرض بوساطة الآلات حتى يصلوا إلى مجارى المياه فيساعد هذا على التفجر والظهور على سطح الأرض .

الزراعة :

أما الجزء المزروع من أرض الواحة فمساحته بسيطة جداً بالنسبة لحجم الواحة نفسها ، أما باقى سطح الأرض فهو عبارة عن صحراء جرداء وتبلغ مساحة الأراضى المزروعة هناك حوالى الألف فدان ومتوسط الضريبة المفروضة على الفدان ٥٠ قرشا وفيها بضعة آلاف من شجر النخيل وقيمة الأراضى الزراعية هناك مرتفعة جدا فأحيانا يبلغ سعر الفدان الواحد من ١٥٠ إلى ٢٠٠ جنيه ولذلك فإنها تباع هناك بالقيراط ويختلف ثمن النخلة الجيدة بين خمسة وستة جنيهات وغير الجيدة بين جنيهين وثلاثة وأنواع التمر والبلح كثيرة هناك وأخصها الصعيدى وهو أجود أنواعها ومن المحصولات الأخرى القمح والفول والشعير والأرز ، والمياه هناك متوافرة لزراعة الأرز وكذلك يوجد الزيتون بكثرة .

وبها بساتين عدة وبها فواكه من أنواع جيدة مثل الليمون والبرتقال والمشمش والليمون الحلو وأثمانها رخيصة جداً فقد تباع ١٥ برتقالة بقرش وذلك راجع إلى قلة المواصلات التى تساعد على تصريف محصولات الواحة ولقسم البساتين مشتل فيها وموظفون لإرشاد الأهالى وعمل التجارب الزراعية كما أن له معملا لصنع البلح على طراز حديث .

البلاد :

والواحات البحرية عبارة عن بلاد أربعة وهى : (١) القصر (٢) الباويطى (٣) الزبو . (٤) منديشا . ويبلغ عدد سكانها نحو ٦٥٠٠ نفس .

الحيوانات :

ويوجد بها من الحيوانات : البقر ، الغنم ، الخيول ، الحمير ، ومن الطيور الداجنة الدجاج ، الديوك الرومية بكثرة ، أما الجاموس فلا وجود له هناك لأن بالواحة نوعاً من الذباب يعيش فى المستنقعات إذا لدغ الجمل أماته ولذلك فرجال القوافل يربطون جمالهم فى حظائر وأراض بعيدة عن الواحـــة حتى ينتهوا من أعمالهم فيها .

الرواد وأهم ما كتب عن الواحة من مؤرخى العرب :

الكتاب : ورد ذكر هذه الواحة فى مؤلفات المؤرخين من العرب وأهمهم:

١ ـــ الأنصارى : فى كتاب نخبة الدهر فسماها « الواحة الوسطى » وقال إن فيها مدينتين هما (القصر وهنداد) .

٢ ـــ أبو الفداء : فى كتابه « تقويم البلدان » عند كلامه على « سنتريه » وقد سماها الواحات الشمالية .

٣ ـــ ابن دقماق : فى كتابه (الانتصار بواسطة عقد الأمصار) وسماها « الخاص » وقال إنها أقرب الواحات إلى الأعمال البهنساوية وفديتها ثلاثة عشر ألف دينار .

٤ ـــ القلقشندى : فى كتابه « صبح الأعشى » وسماها « واح الأولى » وقال إنها مقابل الأعمال البهنساوية وإنها أعمرها وأكثرها تمرا ومنها يجلب التمر والزيت الكثير .

٥ ـــ على باشا مبارك : فى الجزء السابع عشر من كتابه « الخطط التوفيقية » وقد قال فيها « الواحات البحرية هى الواحات الصغرى وهى خمس قرى وهى الزابو ومنديشة العجوز والباويطى والقصر ، وفى تلك القرى يزرع الشعير والأرز والبرسيم الحجازى وتزرع البامية والملوخية وبساتينها ذات فواكه كثيرة وبالقرب منها أودية متسعة بها الماء والمرعى ومنها وادى الجاره لأهل منديشة وعيون بيجوم لأهل الزبو والحيوز لأهل القصر » ثم تكلم عن الطرق الموصلة إليها فذكر طريق الفيوم عن وادى الريان وذكر بعض آثار فى هذا الطريق عن كنيسة قديمة فى وادى المويلح وذكر طريق البهنسا ودلجه .

٦ ـــ وكتب عنها المستر بدنل من موظفى المساحة كتابا سماه « الواحات البحرية » طبع فى سنة ١٩٠٨ .

٧ — ثم بعثة الجمعية الزراعية برياسة السيد فؤاد أباظه الذى زارها بطريق الجو فى اكتوبر سنة ١٩٣٧ .

وأما من زارها من المستكشفين وكتب عنها فمنهم :

١ — بلزونى — حيث وصل إليها من طريق بنى سويف فى ٢٦ من مايو سنة ١٨١٩ وأقام فيها أحد عشر يوما وعاد ثانيا بالطريق نفسها وكتب عنها كتابات أقرب إلى الخيال .

٢ — ثم زارها « كاليود » فى سنة ١٨٢٠ عن طريق سيوة والفرافرة وأقام بها شهراً ونصف شهر وقد وصفها وصفا صحيحا ووصف آثارها وعيونها وآبارها القديمة ثم حدد موقعها بالنسبة لخطوط الطول والعرض وبحث بحثا شائقا فى تطوراتها وظواهرها الجيولوجية والطبوغرافية وصخورها وأنواعها من بركانية وخلافه .

٣ — وبعد هذا زارها الرحالتان « باخو » و « ف . مولر » فى شتاء ١٨٢٣ وطبعت مذكراته بعد موته ثم زارها « رولف » سنة ١٨٧٤ و« ولكينسون » فى سنة ١٨٢٥ .

٤ — وبعد ذلك بأربع سنوات زارها « اشرش » ومكث فيها ثلاثة أشهر وذلك فى سنة ١٨٧٦ وقد توجه إليها من طريق الفيوم وعاد عن طريق ممالوط وقد دون مذكرات مهمة جداً كما عثر بها على آثار من حكم تحتمس الثالث وعثر على بقايا معبد مصرى قديم ووصفه وصفا دقيقا .

٥ — ثم استندورف : فى سنة ١٩٠٠ وكشف عن آثار عدة أهمها المعبد المصرى السابق ذكره .

وقد ورد ذكر هذه الواحة فى الكتابة الهيروغليفية (بأنها الواحة الشمالية لأمنحتب) وسماها بطليموس « الواحة الصغرى » .

٦ — ثم زارها الكابتن ليزنس من قسم المهندسين الملكيين الانجليز وقد دون الكثير عنها من الوجهة الجيولوجية .

تاريخ وآثار الواحات البحرية

مقدمة :

لا يزال التاريخ القديم لهذه الواحة يحيطه ظلام دامس عجيب أشد حلكة من التاريخ الذى يحيط بالواحات المجاورة كالداخلة . على أن ما عرف عنها من أوراق البردى والوثائق التى عثر عليها بالواحة يستدل منها أنها كانت عامرة وآهلة بالسكان فى مدة حكم الملك تحتمس الثانى فرعون مصر حوالى (١٦٠٠ إلى ١٥٠٠ ق . م) وهذا ما كشفه العالم الأثرى « اتشرسون » عندما عثر على مقبرة يرجع عهدها إلى الأسرة التاسعة عشرة وتاريخها ١٣٠٠ قبل الميلاد كما كشف عن بقايا معبدين قديمين يرجع أحدها إلى الملك إبزيس (من ٥٨٨ إلى ٥٧٠ قبل الميلاد) والمعبد الثانى يرجع لعهد حكم الملك أمازيس (٥٦٩ إلى ٥٢٦ ق . م) ويرجع هذا الاكتشاف إلى العالم الأثرى « استندروف » فى سنة ١٩٠٠ م . وقد استدل عليه من بعض الكتابات البطليموسية التى وجدها على معبد إدفو ، وقد ذكرت هذه الواحة باسم « واحات امنحتب البحرية » وتارة باسم « واحات هايو » وذكرت فى العهد الرومانى باسم « الواحة الصغيرة » وقد ترك الرومان كثيراً من الآثار لهم بالواحة منها قوس للنصر ولا تزال بقايا آثاره موجودة بالقرب من بلدة القصر ، وقد اكتشفه كاليود سنة ١٨٢٠ وسافورد سنة ١٩٠٠ .

وهناك من الآثار الرومانية عيون مبطنة بالحجر وخزانات منحوتة ومجار وقنوات للمياه ما زال يستعملها السكان للآن .

وقد ترك الأقباط كنائس ومعابد كثيرة يرجع أصلها إلى العهد المسيحى وأول رحالة أوربى وصل إلى هذه الواحة كما يظهر لنا هو « بلزونى » الذى وصل إليها قادماً من طريق بنى سويف ، وذلك فى ٢٦ من مايو سنة ١٨١٩ وبقى بها نحو اثنى عشر يوماً ثم عاد منها بنفس الطريق ، وبعد ذلك أعقبه « كاليود »

ومعه « لتورذبك » فقد زارا الواحة فى سنة ١٨٢٠ م ومكثا بها نحو ستة أسابيع حيث درسا أكثر معالمها وقدما إليها من واحة سيوة عن طريق ستره وهو من أصعب الطرق وأشقها ثم زارها (باخو) فى صحبة « ملر » فى شتاء ١٨٢٣ — ١٨٢٤ وأعقبه « ولكنسون » سنة ١٨٢٥ ، وبعده زارها « رولف » فى سنة ١٨٧٤ .

ثم زارها بعده الكابتن « ليونس » من سلاح المهندسين الملكيين البريطانى وقد دون كثيراً من المعلومات عن هذه الواحة خصوصاً من الوجهة الجيولوجية .

الآثار الموجودة بالبحرية

أما الآثار الموجودة بالواحات البحرية فترجع إلى ثلاثة عصور مختلفة :

الأول — آثار العصر المصرى القديم . ولم يبق منها إلا مسلة مصرية من عهد الأسرة الثانية عشرة ومقبرة من عهد الأسرة التاسعة عشرة ثم معبد يرجع عهده إلى الأسرة الثامنة والعشرين .

الثانى — أما آثار العصر الثانى (الرومانى) فلم يبق منها إلا قوس نصر مازالت بقايا آثاره قائمة وكذلك بعض أقنية من الحجر عملت فى عهد الرومان لتوزيع المياه على مختلف الجهات الزراعية .

الثالث — أما آثار العصر الثالث (القبطى) فهى تحتوى على عدة قرى وكنائس قديمة وهذه الآثار موزعة فى أماكن مختلفة ، وأرى من المناسب وصف بعضها وجهة وجودها .

العصر المصرى القديم :

أما المسلة المصرية فتعتبر أقدم أثر فى الواحات البحرية ، وقد عثر عليها

الرحالة « أنشرسون » سنة ١٨٧٦ غرب بلدة « الباويطى » ولا ترجع أهميتها إلى قدمها فقط ولكن أيضاً لأهمية الكتابة الهيروغليفية الموجودة عليها فإنها تدلنا على اتساع الامبراطورية المصرية القديمة حتى شملت الواحات حيث وجد بها معابد لآلهتهم .

وفى سنة ١٩٠٠ عندما زار « استندورف » الواحة البحرية اكتشف بها معبدين مصريين قديمين وقد وجد الأول مختفياً تحت مبانى الحديقة المقامة فى وسط البلدة يمتلكها عمدة البلدة وينسب هذا المعبد (إلى آمون ر ع) ويرجع بناؤه إلى سنة (٥٨٨ — ٥٧٠ ق . م) .

أما المعبد الثانى فينسب بناؤه إلى الأمير الذى كان حاكماً على الواحة ويقع هذا المعبد غربى قرية القصير وقد تم بناؤه فى عهد الملك أمازيس (٥٦٩ — ٥٢٦ ق . م) كما اكتشف أيضاً مقبرة شرقى القصير والباويطى وهى عبارة عن قبر مصرى قديم لا تزال النقوش موجودة به ويرجع عهده إلى الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٠ ق . م) ونقوشه ما زالت زاهية ودقيقة وعلى أحد حوائطه صورة للملك « أمنحتب » جالساً بجوار قرينته الملكة وأمامهما رجال من الرعية يقدمون إليهما أنواعاً من المأكولات والمشروبات ومن ضمنها السمك كما يوجد حائط آخر به شرح طريقة عمل الخمر (النبيذ) ويقرر « استندورف » أن هذه أجمل مقبرة عثر عليها فى واحات ليبيا جميعها وقد وجد فيها بعضاً من الحلى والعقود القديمة .

وقد وجد أيضاً فى أحد منازل بلدة القصير تمثال حجرى للأمير الذى بنى المعبدين السابق ذكرهما وذلك فى عهد الأسرة السادسة عشرة وفى غرب بلدة الزابو توجد آثار معبد قديم كما يوجد معبد آخر يسمى (قصر المصرى) ويقع على بعد كيلو مترين شمال غربى بلدة « منديشا » ويقال إن هناك كتابات أفريقية على أحجار هذا المعبد .

العصر الرومانى :

أما الآثار الرومانية فتختلف عن مثيلاتها المصرية بكونها مبنية بالطوب الأخضر (النى) بدلا من الحجر ولـكنها متينة البناء وصلبة ولذلك عمرت كثيراً عن مثيلاتها القبطية التى بنيت بعدها بوقت بعيد .

أما مجارى (أقنية) المياه الرومانية الحجرية المبنية تحت الأرض فلا تزال موجودة وقائمة للآن بعملها ومهمتها خير قيام فى توزيع المياه على مختلف الأراضى الزراعية بالواحة ولا يزال الأهالى الحاليون عاجزين عن بناء مثيلاتها فى الوقت الحاضر . ويقول العلامة «أتشرسون» إن اسم بلدة القصير الحالية مشتق من اسم حصن رومانى قديم لا تزال آثاره موجودة تحت مبانى البلدة الحديثة .

وأهم الآثار الرومانية قوس النصر ولا زالت بعض آثاره موجودة للآن . وقد وصفه « جاليود » فى سنة ١٨٢٠ بأنه عبارة عن قوس قائم على جرف وطوله ٣٩٫٥ متراً وارتفاعه عشرة أمتار ومبنى بالحجر المنحوت وواجهته نحو الجهة البحرية الشمالية .

ولما زار « استندروف » الواحة سنة ١٩٠٠ م وجد أن أكثر معالم هذا القوس قد زالت ولم يبق منه إلا قليل . وأما الأثر الثانى فهو (قصر العلم) ويقع على مسافة كيلو مترين غربى بلدة القصير ولم يعلم بالضبط تاريخ بناء هذين الأثرين .

كما أن هناك بقايا آثار قلعة رومانية ولها حوائط وأسوار حصينة وقوية وهى موجودة فى وسط بعض الآثار القبطية وعلى بعد أربعة كيلو مترات « شرقى بلدة منديشا » ويبلغ طول ضلعها ١٤٫٧ متراً وارتفاعها نحو ٨ أمتار وتوجد بقايا آثار أخرى من هذا النوع بالقرب من « عين الحايس » ولا يزال الأهالى يستعملونها فى خزن الأرز بالقرب من العين المذكورة .

الآثار القبطية :

وعلى بعد أربعة كيلو مترات شرقى منديشا توجد بقايا آثار مدائن قبطية مندثرة ويسميها البعض « وانيس » وفى الطرف الجنوبى الشرقى من الواحة آثار أخرى فى مكان يسمى (أقصر) على بعد عشرة كيلو مترات من عين حايس . وأهمها كنيسة قديمة من الطوب الأخضر طولها ١٩٫٨ من المتر .

ويوجد على بعد سبعة كيلو مترات غرب منديشا آثار مدينة قبطية أخرى قريبة من سلسلة التلال الموجودة هنك وتسمى واحات « القاما » وعلى بعد ستة كيلو مترات من شمال غربى منديشا عين تسمى « عين الجافرة » حيث يوجد بقربها أيضاً بقايا آثار مماثلة للسابقة .

العصر الاسلامى :

أما عن العهد الاسلامى فلا توجد هناك آثار معلومة على أنه مما لا شك فيه أن العرب عند الفتح الاسلامى فى أثناء فتوحاتهم شمال إفريقيا والأندلس التى نشروا فيها الدين الإسلامى كما انتشر فى غيرها من الواحات وقد كتب عنها كثيرون من كتاب ورحالة العرب مثل الانصارى فى كتابه « نخبة الدهر » وأبو الفداء فى كتابه « تقويم البلدان » وابن دقماق فى كتابه « الانتصار » والقلقشندى فى كتابه « صبح الأعشى» كما سبق ذكره .

الطرق الموصلة للواحات البحرية للقوافل والسيارات

تتصل الواحات البحرية بطرق عدة بعضها للقوافل وبعضها الآخر للسيارات وبالنسبة لزيادة بعثات السياحة الصحراوية واتصالها التجارى بوادى النيل والواحات المجاورة أصبحت هذه الطرق معلومة للخاص والعام ولكن لا بأس من إيرادها باختصار حسب أهميتها وتاريخها مبتدئين بطرق القوافل ثم طرق السيارات حيث لا يسمح المجال بالاطالة .

طرق القـــوافل

طرق الواحات البحرية كما وردت فى مؤلفات العرب :

طريق الفيوم البحرية : يبدأ من وادى الريان ويقطعه المسافر فى ثلاثة أيام فى الجبل وليس به ماء ولا مرعى ولا بد لسالكه من اصطحاب ما يحتاج إليه وبعد أن يسير خمسة عشر فرسخا فى الجنوب الشرقى يجد آثار دير قديم به كنيستان فيهما صور الحواريين والقديسين وكتابة قبطية قديمة وذلك فى واد يسمى « بالمويلح » .

طريق البهنسا ودلجا والبحرية : ويسير فى الجبل أيضا ويقطع فى ثلاثة أيام أو أكثر ولا يوجد به ماء ولا مرعى .

الطرق التى سلكها الرواد الحديثون بالقوافل

طريق الفشن مغاغة البحرية (١٩٠ كيلو متر) (بدنل ١٨٩٧) :

يبدأ الطريق من الأراضى الزراعية عند قصر للوم ثم بعد ١٥ كيلو مترا تقريباً يظهر درب القوافل الموصل للواحات البحرية وهى طريق ظاهرة واضحة وبها بعض التلال والمنخفضات مما يسترشد به المسافر كعلامات للطريق وبعد ١٢٥ كم يصل إلى مكان يسميه الأعراب « البحر » وهو عبارة عن منخفض يختلف عمقه بين ٦٠ ، و ٧٠ مترا من الصخور الجيرية وعرضه فى المكان الذى يعبره فيه الطريق نحو ثمانية كيلو مترات وحوله بعض تلال مرتفعة ثابتة وفى هذا المنخفض كمية عظيمة من الرمال التى جلبتها الرياح وهذا المكان المسمى بالبحر كان ولا يزال موضع بحث جيولوجى لعلماء طبقات الأرض وقد كتب عنه وعن تكوينه كثيرون .

وبعد أن يترك الطريق البحر عند الكيلو ١٣٤ يسير متجهاً إلى الواحة ويصل إلى « عين القدر » وهى أول مكان به ماء وعندها يتفرع إلى فرعين

شمالا إلى ناحية الزبو ومنديشا وغربا إلى قرية القصر والباويطى ويبلغ طوله ١٩٠ كم إلى الزبو و١٩٥ كم إلى الباويطى .

ومن المنتظر تعبيد هذا الطريق قريباً فى مشروع السنوات الخمس لمشروعات الطرق فى عهد الثورة ولأنه أقرب طريق إلى وادى النيل .

طريق الأهرام والبحرية :

يبدأ هذا الطريق من أهرام الجيزة ويسير مسافة طويلة حتى يلتقى بدرب المحصحص (وهى الطريق الموصلة بين سيوة والجيزة) ثم يتجه نحو الجنوب الغربى وينتهى شمال الواحات البحرية وهذه إحدى طرق السيارات المستعملة الآن وتسلكها سيارات الأهالى والحدود والجيش وهى أقرب طريق إلى القاهرة .

الطريق من الحمام والبحرية (ليون ١٨٩٤) و (جاليود ١٨٢٠) :

يبدأ هذا الطريق من ناحية برج العرب ويسير جنوباً فيقطع جملة دروب مارة من الشرق للغرب وفى نهايته يلتقى بطريق أهرام الجيزة بالقرب من الواحة نفسها ويسيران متحاذيين .

طريق الفيوم البحرية (هيوم وجرين ١٩٠٩) :

وهى الطريق التى سلكها من قبل الرحالة بلزونى عام ١٨١٩ وباخو عام ١٨٢٣ وتشرسون عام ١٨٦٧ ويبلغ طول هذا الطريق نحو ٢٤٠ كم تقطعها القوافل فى نحو ستة أيام . وتتخذ هذه الطريق دربا مبتدئا من بلدة الفيوم وتتجه نحو الجنوب الغربى إلى ناحية الغرق السلطانى ثم تسير إلى وادى الريان ومن هناك تسير إلى « بحر بلا ماء » ويتصل بطريق مغاغة الواحات وتصل الواحات البحرية عند قرية أجان والزبو .

طريق سيوة البحرية (جاليود ١٨١٩) و (روالف ١٨٧٤) (جوردان ١٨٧٤) (استاندوت ١٩٠٠) :

تعتبر هذه الطريق الوحيدة التى تصل بين البحرية وواحة سيوة وهى تمر فى

عدة حظائر وواحات صغيرة منخفضة عن سطح البحر تتكون فيها مستنقعات وبحيرات ملحة وقد اخترق هذا الطريق الرحالة « جوردان » فى سنة ١٨٧٤ وقطعها فى عشرة أيام وطولها نحو ٣٦٠ كيلو متر . ويتجه الطريق جنوب شرقى سيوة ماراً بواحة العرج وواطية وسترة ثم الحديد ثم تقطع عدة منخفضات أخرى حتى تصل إلى الواحات من الجهة الشمالية الغربية لقرية القصير .

وتسلك سيارات الحدود هذه الطرق ومن الصعب السير فيها للأهالى بدون دليل .

طرق أخرى :

على أن هناك عدة طرق أخرى تصل وادى النيل بالواحات البحرية وعلى امتداد شاطىء النيل الغربى نجد عدة قرى مثل دير المراغة وبنى عدى والبهنسا وتتفرع منها عدة طرق تتصل بالطريق الرئيسى الموصل إلى الواحة وطريق المنيا البحرية (بول ١٨٩٧) وديروط البحرية (هويتكش) وأسيوط البحرية (بول ١٨٩٧) .

طرق السيارات للواحات البحرية

كانت ولا تزال غرود الرمال الناعمة عائقاً كبيراً للسيارات عند اجتياز هذه الصحراء ولكن بعد اختراع العجلات الهوائية الكبيرة (البالون) أصبح ارتياد هذه الجهات أمراً سهلا بالنسبة للسيارات على اختلاف أنواعها .

وقد اجتازت السيارات أكثر الطرق السابق ذكرها وهى المخصصة للقوافل والجمال بل تجاوزتها إلى طرق أخرى أقصر وأسرع لم تجتزها القوافل لخلوها من الماء والمراعى .

ولقد كان الوصول إلى الواحات البحرية بالسيارات إلى أمد قصير من مخلف الجهات موضع سباق بين مختلف السيارات وفى سباقات عامة كان يتولاها نادى السيارات ومختلف الهيئات الرياضية وبذا أصبحت الطرق الموصلة إليها معلومة

لكثيرين من هواة الرياضة والسياحة بالصحراء وسأذكر فيما يلى باختصار أهم الطرق الموصلة الى الواحة .

طرق السيارات الموصلة إلى الواحة أهمها :

١ — طريق أهرام الجيزة إلى البحرية وطوله حوالى ٣٧٠ كيلومتر وتقطعه السيارة فى ١٠ إلى ١٣ ساعة .

٢ — الطريق من برج العرب إلى البحرية وطوله حوالى ٣٢٥ كيلو متر ويقطع فى حوالى ١٢ ساعة .

٣ — الطريق من الفيوم إلى البحرية وطوله حوالى ٢٧٠ كيلو متر تقريبا .

٤ — الطريق من سيوة إلى البحرية وطوله حوالى ٣٨٢ كيلو متر تقريبا .

٥ - الطريق من العلمين إلى البحرية (عند طريق المغرة) .

٦ — الطريق من الفرافرة إلى البحرية وطوله حوالى ١٩٩ كيلو متر .

٧ — الطريق من صندفا الفار والبهنسا إلى البحرية وطوله نحو ٢٠٠ كيلومتر تقريبا وتقطعه السيارة فى مدة ٨ إلى ٩ ساعات . وهذا الطريق هو المنتظر رصفه ليكون أقرب طريق إلى وادى النيل .

٨ — الطريق من الفرافرة إلى أبى منقار وطوله حوالى ٨٠ كيلو متر ومسافته حوالى ٦ ساعات .

ملاحظات عامة عن الطريق من القاهرة إلى الواحات البحرية :

١ — الاتجاه العمومى على الزاوية ٢٤٥ درجة .

٢ — المسافة ٣٦٠ كم تقريبا الساعات من ٧ إلى ٨ ساعات بالسير العادى (راجع الملحوظة أسفل الوصف) .

٣ - الوقود — يجب عمل حساب الرحلة ذهاباً وإياباً لأن الوقود فى الواحات البحرية غير متوافر أحيانا .

٤ — المياه ـ لا يوجد مياه فى طول الطريق إلى الواحات البحرية .

٥ — والطريق على العموم رملى فى كثير من أجزائه كما يجب الانتباه دائما إلى كثرة مفارق الطرق التى تتفرع منه غرباً أو شرقاً حيث تقود المسافر كثيراً إلى جهات بعيدة عن الطريق . ثم إن آثار عجلات سيارات الجيش منتشرة وكثيرة فى أجزاء الطريق ومتجهة إلى جهات نائية عنه فيجب على المسافر التيقظ دائماً حتى لا يضل الطريق إذا اتبعها .

طريق السيارات من القاهرة إلى البحرية

(عن طريق أهرامات الجيزة)

مراحل الطريق :

١ — من القاهرة إلى جبل حامد وطوله ٧٥ كيلو متر .

٢ — من جبل حامد سخوة تل مخروطى وطوله ٦٥ كيلو متر .

٣ — سخوة التل المخروطى آخر ملتقى طريق البرج ٥٥ كيلو متر .

٤ — ملتقى طريق القاهرة إلى ملتقى طريق البرج بالعراج ٩٣ كيلو متر .

٥ — من ملتقى الطرق إلى مقت غراب طوله حوالى ٣٢ كيلو متر .

٦ — من مقت غراب إلى البحرية ٢٧ كيلو متر .

وصف الطريق

من القاهرة إلى الأهرام (طريق الفيوم الصحراوى) ١٥ كيلو متر :

اتخذ طريق الجيزة من الأهرام وقبل الوصول إلى لوكاندة مينا هاوس اتخذ على يمين طريق الاسكندرية الصحراوى مسافة كيلو متر واحد تقريبا حيث تجد مفرق طريق أسفلت إلى اليسار هو طريق الفيوم الصحراوى ، فتسير فيه مسافة ٨ كم حتى تصل إلى :

مفرق طريق البحرية ٨ كم (٣٣ كم من القاهرة) :

يجب الانتباه جيداً إلى هذا المفرق الموجود على يسار الطريق ، وهذا المفرق يتفرع إلى عدة طرق توصل إلى الغرب وإلى المغرة وسيوة ، وبعد أن تسير فى الطريق على زاوية ٢٤٧ درجة مسافة ٣ كيلو مترا يعود ثانية إلى جهة الأيمن (البحرى) ويسيرمتجهاً إلى جبل (أجران الفول) والطريق الآخريتجه جنوب غربى نفس الزاوية ويفصل كلا الطريقين جبل الخشب ، ويأخذ الطريق فى الصعود نحو الجبل حول جبل الخشب .

اتخذ الطريق الجنوبى وبعد ٨ كم تصل إلى الحد الجنوبى لجبل الخشب فتجتاز الطريق ثم تتجه غربا على زاوية ١٧٥ درجة مسافة ١٢ كم حيث تلتقى ثانية بالطريق البحرى .

ملاحظة :

المسافة هى نفسها من مفرق الطريق إلى الحد البحرى لجبل الخشب ثم يدور ثانية لجهة الجنوب الغربى حيث يلتقى بالطريق القبلى .

مفرق طريق المغرة (سيوة) ١٢ كم (٤٦ كم) :

من هذه النقطة اتخذ طريق البحرية ، وهذا هو الطريق الأيسر . ويسير على زاوية ٢٤٥ درجة ، والطريق هنا جيد للسير وأرضه صلبة ، ويظهر من بعد جبل حميد كهدف جيد سهل للاتجاه إليه ، وتصل إلى مسافة ٢٩ كم المرحلة الثانية من جبل حميد إلى ملتقى طريق برج العرب البحرية ٦٥ كم (أو ١٤٥ كم من القاهرة) إلى غرود الرمال .

جبل حميد ٢٩ كم (٧٥ كم من القاهرة) :

يمر الطريق جنوب جبل حميد بنحو نصف كيلو تقريباً ويسير متجهاً فى نفس الزاوية .

وجبل حميد نقطة مشهورة بالصحراء وتتفرع منه عدة طرق : أحدها يتجه جنوباً ويصل بعد ٢٠ كم تقريباً إلى جبل القطرانى والآخر شمالا مسافة ٢٧ كم ليصل إلى جبل الزرة وآخر يتجه غرباً ويصل إلى طريق البرج البحرية وطوله ١٣٥ كم ماراً بطرود التماسيح وغرد الكلب .

اتخذ طريقك الأصلى على نفس الزاوية ٢٤٥° متجهاً إلى الجنوب الغربى وبعد أن تقطع نحو ٣٥ كم تشاهد على يمينك بعض تلال غير مرتفعة وبعدها يأخذ الطريق فى الارتفاع تدريجيا وبعد ٢٠ كم أخرى من هذه التلال يصعد الطريق فوق الهضبة ويسير معها مسافة ٧ كم أخرى حيث تشاهد على يسارك تلا مستديراً صغيراً تشير إليه الخريطة بتل البلف وبعد مسافة ٨ كم تجد على يسارك تل المخروطى .

تل المخروطى ٧٠ كم (١٤٥ كم من القاهرة) :

من تل المخروطى يسير الطريق فى نفس الاتجاه ، ويأخذ فى الانحدار وتظهر عن بعد كثبان الرمال المشهورة المعروفة بغرود الرماخ وبعد مسافة ٥٥ كم أخرى من تل المخروطى يصل الطريق إلى الغرود ويتجه جنوبها حتى يلتقى بغرود الرماخ (ملتقى طريق البرج البحرية) ٢٠٠ كم .

المرحلة الثالثة

وتبعد هذه النقطة عن برج العرب ٢١٨ كم جنوباً أيضا ، وهناك تلتقى بطريق آخر قادماً من الغرب يوصل إلى سيوة ، وعند هذه النقطة تتخير طريقين اثنين يوصلان للواحة ، فالطريق الشرقى أطول قليلا من الغربى وكلاهما سهل لسير السيارات ويسيران فوق متسع عظيم من الأرض يسمى ببحر الرمال .

والطريق يتجه على الزاوية ١٨٠ درجة لمسافة ٢١ كم وبعدها يغير اتجاهه للزاوية ١٠٨ درجات ، وتسير مسافة ٣٤ كم أخرى حتى يصل إلى تلين صغيرين يمر فى وسطهما وتعتبر هذه النقطة نهاية البحر (بحر الرمال) .

نهاية بحر الرمال ٦٥ كم (٢٦٥ كم من القاهرة) :

ومن هذه النقطة يكتنف الطريق بعض الصعوبات حيث يصل إلى غرود الرمال المحيطة بالواحة ويتجه للزاوية القديمة ٢٥٠ درجة ويسير فوق أراض رديئة كثيرة التجاعيد مسافة ٢٢ كم أخرى حيث يلتقى ثانيــة بطريق برج العرب — البحرية .

ملتقى طريق البحرية — البرج الثانية ٢٢ كم (٢٨٧ كم من القاهرة) (٢٨٨ كم من البرج) :

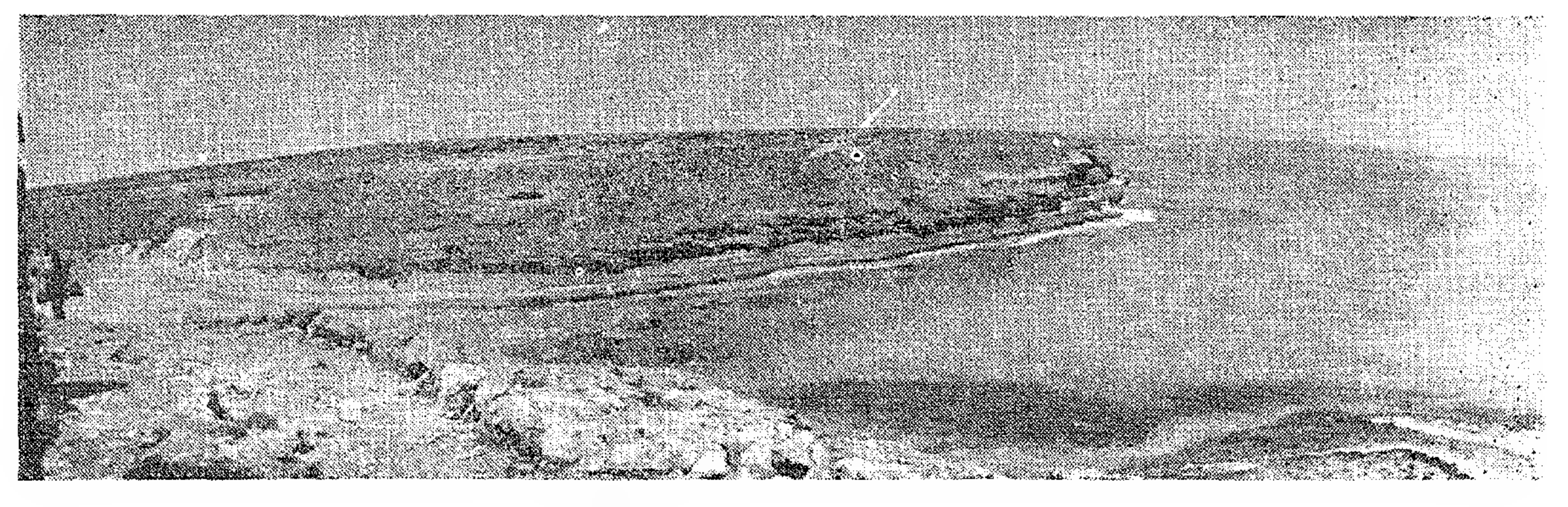
بعد ذلك يسير الطريقان معا فى اتجاه الغرب مسافة بسيطة ، ثم يعودان للجنوب ويدوران دوائر طويلة ليتجنبا غرود الرمال المرتفعة كرمل غالب أو الغرد الغربى حتى يتمكنا من اجتيازها فى ممرات عرضية خاصة ، وهكذا فى أراض مماثلة وبعد ٢٥ كم يصلان إلى نقب الغرابى .

نقب الغرابى ٣٥٠ كم (٣٢٢ كم من القاهرة) (٣٤٠ كم من برج العرب) :

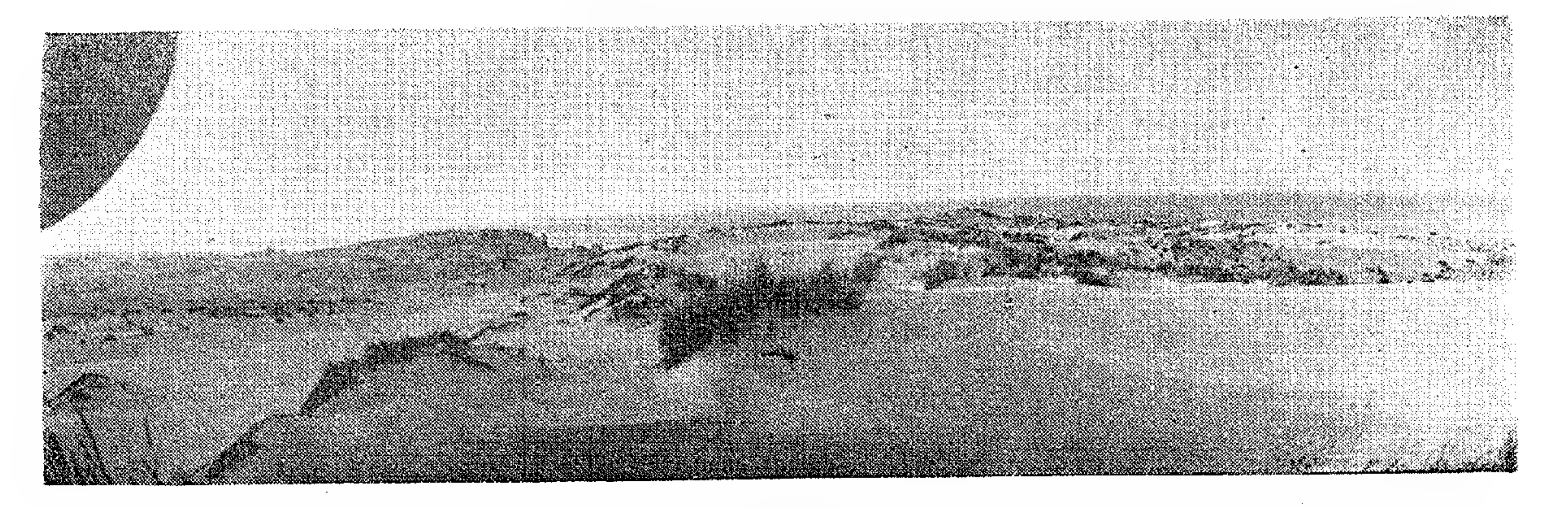
يجتاز الطريق النقب ويتجه نحو جبل الغرابى ويمر جنوب الجبل ثم يأخذ فى الانحدار نحو الواحة وبعد ١٧ كم يصل إلى .

تل القص بعد ١٧ كم (٣٣٩ كم من القاهرة) (٣٥٢ كم من البرج) :

أما تل القص فهو عبارة عن تلين صغيرين مستديرين مشهورين فى الجهة ويمر الطريق قبلى التلين ويمر من غرب جبل المعصرة ويجتاز جبل مندشة من جهة الغرب إلى مسافة كيلو متر من القص فيصل إلى : الباويطى والقص بعد ١٢ كم من التل أو ٣١٥ كم من القاهرة و ٣٥٢ كم من برج العرب .



شاطئ رأس الحكمة بالقرب من بلدة فوكه



كثبان الرمال المتحركة

البَابُ الرابع

وصمم مبانيها المستر براملي (الميجر براملي) عندما كان مفتشاً إدارياً لقسم مريوط (القسم الشرقي الآن) التابع لمصلحة الحدود وذلك حوالي سنة ١٩٢٥ وكلفت الحكومة حوالي ثلاثين ألفاً من الجنيهات .

وفي السطور المقبلة تاريخ ونقد تفصيلي لإنشاء هذه البلدة الجديدة .

تاريخ برج العرب للذكرى والتاريخ

في خلال السنين الأخيرة اشتد الاهتمام في مصر كما في غيرها من سائر أنحاء العالم بتدوين صفحات التاريخ والحوادث الهامة في حياة الأمم فتقلب الحوادث واختلاف أداة الحكم وهبوب العواصف السياسية على البلاد من وقت لآخر وتغيير الوزارات والحكام جعلت اتصال حلقات التاريخ أمراً صعباً متقطعا ينقصها التسلسل والانسجام .

وتاريخ بلدة برج العرب لا يختلف في مجموعه أو يشذ عن هذه القاعدة بصفة عامة فهناك القليلون الذين يعرفون السبب أو الأسباب الحقيقية التي من أجلها أنشئت هذه البلدة اللهم إلا بعض الموظفين القلائل الذين اقتضت طبيعة عملهم الاتصال بهذه العملية وخشية من أن تنسى هذه المعلومات فقد دونت المعلومات التالية لتكون سجلا دائماً لتاريخ هذه البلدة الحديثة لتأخذ مكانها في صفحات التاريخ الحديث .

كيف نشأت البلدة :

في سنة ١٩١٦ اضطرب الأمن في الصحراء الغربية بسبب غزو السنوسيين لها وقد انتهت العمليات الحربية بينهم وبين القوات البريطانية بطردهم من الصحراء وتطهيرها من الغزاة وقد رئي من الصالح أن يقوم في الصحراء حكم عسكري فأنشئت مصلحة الحدود سنة ١٩١٧ وعهد إليها أمر الحكم في الصحراء . ولما كان السنوسيون هم الذين أثاروا هذه الحرب ولهم نفوذ بين القبائل بحكم وجود زوايا دينية لهم موزعة في أنحاء الصحراء فقد قرر المحتلون محو هذا النفوذ

وهدم الزوايا المذكورة وتشتيت رجالها حتى توقف الدعوة السنوسية الدينية بين الأعراب .

وكان من ضمن هذه الزوايا زاوية مهمة مشهورة فى المكان المعروف الآن ببرج العرب وكان المستر براملى فى هذا الوقت مفتشاً إداريا لقسم مريوط (المعروف الآن بالقسم الشرقى) التابع لمصلحة الحدود وتمشياً مع سياسة المحتلين رأى هدم هذه الزاوية وأقام من الأحجار المتخلفة من الهدم منزلا لسكنه الشخصى وهو المنزل المعروف الآن بمنزل مفتش قسم مريوط .

وهكذا بدأت برج العرب كغيرها من البلاد بسيطة ثم اتسعت بالتدريج وذاع اسمها فى أنحاء الصحراء .

ولم يكن اسم (برج العرب) فى هذا الوقت ولا بعده بسنوات عدة مذكوراً أو مدوناً على أية خريطة من خرائط المساحة .

أما قسم مريوط التابع لمصلحة الحدود وقتئذ فقد اتخذ المسئول إدارياً عنه مقراً له بناحية بهيج المعروفة والتى تبعد نحو ميلين شرقى « برج العرب » .

ولما انتهى المستر براملى من بناء منزله من متخلفات زاوية السنوسيين التى هدمت ببرج العرب فقد فكر طبيعياً فى نقل مركز عمله إلى هناك ليكون قريباً منه وبدأ فى إقامة مبانى أخرى لتكون مكاتب وإدارات لقسم مريوط وأطلق على هذه البلدة الجديدة « برج العرب »

دار الصناعات اليدوية (مصنع السجاد اليدوى) :

أما البناء الذى تمت إقامته بعد ذلك بالبلدة فهو المبنى المعروف باسم (دار الصناعات اليدوية) ولهذه الصناعة قصة طريفة ففى خلال الحرب العظمى ووقوع الاضطرابات فى الصحراء الغربية هاجر عدد كبير من البدو إما للانضمام للسنوسيين أو للعمل مع الجيوش البريطانية كسبا للعيش وتركوا من ورائهم أولادهم ونساءهم بلا معين وقامت سيدة بإيجاد عمل لهؤلاء البدويات اللائى هجرهن رجالهن

أو اللائى أخنى عليهن الدهر حيث قامت بجمعهن وأوجدت مأوى صالحاً لهن ثم دربتهن على غزل الصوف وحياكة أنواع جميلة من الأبسطة والسجاجيد الصوفية المعروفة (بالأكلة) وسميت بأكلة العامرية نسبة إلى بلدة العامرية .

ولقد قامت هذه الصناعة وازدهرت لعدة سنوات وكانت تغزل الأصواف وتصنع فى خيوش البدو بجهة بلدة العامرية الواقعة على بعد ١٥ ميلا شرقى برج العرب ولما أتم المستر براملى بناء مكان بجهة البرج ليكون مقراً لهذه الصناعة فقد تم أيضاً نقل المصنع والنساء إليه واستمر العمل فيه .

عودة الأعراب المهاجرين :

وقد ازدهرت هذه الصناعة واستمرت سنين عدة بعد انتهاء الحرب إلا أنه لما استقرت الأحوال وعاد الأمن إلى الصحراء عاد الأعراب إلى محلاتهم المهجورة واستأنفوا حياتهم العادية من رعى الماشية وزراعة الشعير وعادت كل عائلة إلى مخيمها وبدأ النساء يهجرن العمل للحاق برجالهن وبذلك قل العمل تدريجياً وقلت أهميته سنة بعد أخرى وتحولت هذه النشأة إلى عمل شبه تجارى اضطرت الحكومة إلى تغذيته والصرف عليه للمحافظة عليه ولكن نظراً لزيادة المصروفات كثيرا عن الإيرادات بسبب كساد سوق هذا النوع من الأبسطة مما سبب للحكومة خسارات متوالية فى سنين متعاقبة .

إقفال مصنع السجاد سنة ١٩٢٥ :

وإزاء هذه الخسائر المتوالية قررت الحكومة أخيراً فى سنة ١٩٢٥ إيقاف هذه الصناعة والاستغناء عنها وأقفلت المصنع ولم يبق هناك إلا المكان الذى كان مخصصاً للمصنع بغرفه الفسيحة وقد تم بعد ذلك تحويل المبنى المذكور أخيراً إلى استراحة حكومية ثم خصص نهائياً لسكن المستر براملى مفتش قسم مريوط .

إعادة الصناعة بوساطة بعض الأهالى :

بعد ذلك بمدة وجيزة قام أحد الأهالى بإعادة العمل فى هذه الصناعة وتشغيل

الأكلة الصوفية بتشجيع من وزير الدفاع فى هذا الوقت « أحمد خشبة » وقد انتهى بالفشل كما انتهى المشروع السابق .

بناء بوابة برج العرب والسور المجاور :

وفى الوقت نفسه الذى تم فيه بناء دار الصناعات اليدوية أقيمت جملة أبنية عظيمة مماثلة فقد تم بناء بوابة عظيمة جميلة فى الجهة البحرية الغربية من البلدة .

وفى أعلى هذه البوابة شيدت عدة مبان ومكاتب لمفتش القسم كما تم بناء سور عظيم ممتد على كلا جانبى البوابة المذكورة .

السوق :

وبعد ذلك تم بناء عدد من المحلات والدكاكين للبيع والتجارة والمخازن اللازمة لأعمال الموظفين والأهالى وقد بنيت معظم هذه المحلات بظهور ملتصقة بالسور العظيم حتى تكون جزءاً منه من الداخل .

دار العدل (المحكمة) :

أما البناء الفخم التالى الذى تم إنشاؤه بعد ذلك فهو مبنى (المحكمة) وكان المقدر أن تجتمع فى هذا المبنى المحاكم بأنواعها من مدنية إلى جنائية أو بدوية للنظر والفصل فى كل القضايا والمسائل الخاصة بأهالى وأعراب قسم مريوط . ولكن ظهر بعد التجارب أنه من الأصوب تشكيل هذه المحاكم فى الجهات التى وقعت فيها الحوادث والقضايا نفسها أو قريبا من الأسواق حيث يجتمع الأعراب ويتيسر وجود المتقاضين والشهود .

البلدة فى سنة ١٩٢٥ :

ولما اعتزل براملى خدمة الحكومة المصرية فى سنة ١٩٢٥ كانت البلدة تحتوى على المبانى الآتية :

منزل مفتش القسم الشرقى ثم دار الصناعات اليدوية ودار العدل (المحكمة) البوابة البحرية الغربية ، والبوابة الغربية جزء من السور الـكبير وبعض المحلات التجارية وبعض المنازل الصغيرة والمخازن الملاصقة للسور من الداخل .

الفن الرومانى :

ولهذه المجموعة المذكورة آنفا شكل جذاب يثير الدهشة والإعجاب حقا لضخامتها وحسن تنسيقها وهندستها وزخرفتها . ثم إن اختيار موقعها جعلها تظهر من بعيد فتثير الإعجاب ويغلب على هندستها فن البناء الرومانى ، فالأبراج والبوابات والإيوانات مبنية جميعها على الطراز الرومانى العتيق .

ومما لا شك فيه أن المعجبين ومحبى الآثار وفن العمارة سيجدون فى هذه المبانى مجالا واسعاً لإشباع شهواتهم وإمتاع أنظارهم منها .

معبد أبو مينا (سانت ميناس) الرومانى :

أما التعليل الخاص بتشييد برج العرب على الطراز الرومانى فهو لسبب بنائها من مخلفات آثار كنيسة أبومينا (سانت ميناس الرومانى) القريبة جدا من موقع برج العرب ، ويقال فى الوقت نفسه إن أعمدة كثيرة ودرجات رخامية وأحجارا نقلت من خرائب هذا المعبد واستخدمت فى بناء مدينة برج العرب .

على أنه من المعروف جيداً أنه قبل الحرب العظمى الماضية سنة ١٩١٤ اهتم بعض علماء الآثار من الألمانيين بعمل حفائر لمعبد أبو مينا وصرفت نقود ومبالغ كبيرة واستخرجت أحجار وأعمدة كبيرة ، ويقال إن جزءاً كبيراً من هذه الآثار نقل من هذا المعبد القريب واستخدم فى مبانى برج العرب وتمشيا مع النقوشات الأثرية اضطرت الحال إلى صنع باقى الأحجار على غرارها لـكى تـكون متشابهة .

تـكاليف مبانى برج العرب :

ولهذا كانت جملة المبالغ التى صرفت على تشييد البلدة نحو ٢٥ ألف جنيه بالتحديد ومما لاشك فيه أن هذا المبلغ يعتبر زهيداً جداً بالنسبة لفخامة المبانى

الموجودة وكان من المنتظر أن تكون التكاليف أكثر من ذلك لولا أن هناك بعض عوامل خارجية أخرى ساعدت على خفض المصاريف ومن هذه العوامل أن غالبية العمال كانوا من المساجين فى الصحراء وهم الذين صدرت فى حقهم الأحكام العسكرية والقوانين العرفية وتحت ستار هذه القوانين أصبح من السهل إيجاد كثيرين من الأشخاص المخالفين وتسخيرهم للعمل فى إقامة المبانى حسب احتياجات العمل .

ومما ساعد أيضاً على خفض التكاليف عامل آخر عرضى ففى شهر مارس سنة ١٩١٧ تصادف أن إحدى البواخر التجارية كانت مشحونة بكميات عظيمة من الأخشاب اللازمة لاستعمالها لسلاح الطيران البريطانى الملكى وأصيبت هذه الباخرة بطوربيد من غواصة ألمانية معادية قرب الساحل القريب من برج العرب ، وقذف البحر بكميات عظيمة من هذه الأخشاب إلى الشاطىء فاستخدمت فى صناعة ما تحتاج إليه مبانى المدينة الجديدة .

إتمام المشروع :

وعلى أية حال فقد تم تشييد البلدة حوالى سنة ١٩٢٤ ما عدا السور الكبير الذى رئى أن يحيط بالبلدة كلها وكذلك الاستراحة ثم الجامع الصغير .

قرار الحكومة بإيقاف العمل :

ولكن الحكومة المصرية رأت أن المبالغ التى صرفت على هذا المشروع لم تأت بأية نتيجة وأنه لا فائدة تذكر منه وإزاء هذه الخسائر المتوالية قررت إيقاف هذا العمل وعدم درج أى اعتماد فى الميزانية لهذا المشروع مستقبلا .

استقالة المستر براملى من خدمة الحكومة :

أما المستر براملى فقد جاهد بشتى الوسائل لكى تلغى الحكومة قرار إيقاف العمل فى هذا المشروع ولكن محاولاته ذهبت سدى وأخيراً قدم مذكرة للحكومة المصرية ذكر فيها أنه إذا لم تدرج الحكومة أى اعتماد لمشروعه أو تمده بالمال اللازم لإتمامه فسيضطر لتقديم استقالته من خدمتها ولكنها تغاضت عن الفقرة الأولى من مذكرته وأخطرته بقبول الفقرة الأخيرة منها (أى قبول

الاستقالة) وكان المرحوم سعد زغلول باشا فى هـذا الوقت رئيساً للحكومة المصرية .

مشروع فصل قسم مربوط من مصلحة الحدود وإلحاقه بوزارة الداخلية :

وفى الوقت نفسه كان المستر براملى يسعى لفصل قسم مريوط من وزارة الحربية (مصلحة الحدود) وضمه إلى اختصاص وزارة الداخلية وتعيينه مفتشاً بالقسم المذكور إلا أن مجلس الوزراء رفض هذا المشروع وكان الغرض الأساسى الذى يرمى إليه المستر براملى من فصل قسم مريوط هو الحصول على المال اللازم لمشروعه من وزارة الداخلية بطريقة أسهل من اعتماد المبانى المخصصة لهذه الوزراة ، لأنه فى هذا الوقت كانت مصلحة الحدود منشأة حديثاً واعتماداتها المالية بسيطة ومحدودة ولا تحتمل صرف مبالغ كبيرة كالتى يتطلبها المشروع ولأنها كانت مصلحة ونظاماً مؤقتاً تحت التجربة أما وزارة الداخلية فوزارة كبيرة ومشروعاتها وأموالها جاهزة للصرف فى هذا الوقت .

الخلاف بين المستر براملى ووزير الحربية :

ومما زاد المسألة تعقيداً أن المستر براملى كان قد سعى لفصل قسم مريوط سراً فى وزارة الداخلية بدون علم أو موافقة مديره البريطانى (مدير الحدود) بل حتى بدون علم وزير الحربية نفسه الذى فوجىء بتقديم مذكرة عن هذا المشروع من وزير الداخلية فى إحدى جلسات مجلس الوزراء دون علم به مما كان له أسوأ وقع فى نفس وزير الحربية .

استئناف العمل فى بناء البلدة سنة ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ :

بعد ذلك تغيرت وزارات وتعاقبت حكومات ولم يتغير الموقف حتى كانت سنة ١٩٢٦ حيث كرر المستر براملى مسعاه فى الدوائر الرسمية وتمكن من استمالتها نحو مشروعه فخصصت له مبلغ ستة آلاف من الجنيهات لإتمام الأعمال فى برج العرب كما قررت أن يشرف المستر براملى على العملية وإنجازها .

وقد تعهد المستر براملي بأن يقوم بإتمام بناء السور العظيم والأبراج وعمل النقوش الزخرفية اللازمة للمباني بحسب التصميم الأصلي وقدرت أتعاب المستر براملي بنحو ٨٠٠ جنيه مكافأة له تحتسب من أصل مبلغ الستة آلاف جنيه المخصصة للعملية . ولكن عند عرض المشروع على البرلمان خفض المبلغ إلى ٢٥٠٠ جنيه فقط خصص منها ٥٠٠ جنيه للمستر براملي وعلى ذلك فقد رأى المستر براملي أن يستخدم هذا المبلغ فقط في إكمال بناء السور بدون عمل الزخرفة وقد تم هذا العمل في أبريل سنة ١٩٢٧ .

مشروعات جديدة للمستر براملي للحصول على أموال لبناء البلدة :

بعد ذلك رأى المستر براملي أنه من الصعب عليه إعادة الكرة لاستمالة الحكومة حتى تمده بأموال جديدة ، لذلك فكر في جملة مشروعات للحصول على أموال لاتمام بناء البلدة ومن هذه المشروعات ، تقسيم الأراضي الواقعة داخل السور إلى قطع صغيرة على أن تبيعها الحكومة للمشترين بشروط معينة أهمها الزام المشترين ببناء منازلهم في ظرف سنة واحدة من تاريخ الشراء على أن يوافق المستر براملي على الرسوم والتصميمات قبل تنفيذها ، وأن تكون المنازل ملاصقة للسور الكبير من الداخل حتى يقوم كل مشتر باتمام زخرفة وبناء السور الكبير في القسم المحدد لمنزله ، ولترغيب المشترين فقد جعل الثمن مخفضاً جداً حتى يتوافر للمشترين المال اللازم لبناء واتمام السور الكبير الملاصق لمنازلهم حسب التصميم الأصلي .

كما أعلن المستر براملي أنه سيقدم خدماته ومشوراته مجاناً للمشترين وأرسل هذا المشروع إلى الحكومة لفحصه وإعداده .

الاعتبارات التي أحاطت بالمشروع ونقدها :

والآن فإن أهم النقط لدراسة هذا المشروع هو فحص الحاجات الرئيسية التي من أجلها أنشئت مدينة برج العرب وإلى أي مدى يمكن تحقيق الأغراض المرجوة منها مستقبلا ، وأهم هذه الاعتبارات هي :

١ – المياه :

أما العامل الأول فى هذه الاعتبارات فهو مسألة توفير المياه اللازمة للبلدة لأنها هى المسألة الجوهرية الواجب فحصها وإقرارها قبل الانتقال إلى اعتبارات ثانوية بالنسبة لها .

وبالبحث اتضح جيداً انعدام مياه الشرب كلية بالبلدة أو على مسافة قريبة منها والمورد الوحيد المنتظر لإمداد البلدة منه هو بئر (أبوشيه) وقد فحصت وزارة الصحة المياه المستخرجة فاتضح عدم صلاحيتها قطعياً للشرب وعلى ذلك فان السبيل الوحيد لامداد البلدة بالمياه هو نقلها بالسكة الحديدية من الاسكندرية إلى محطة البرج التى تبعد نحو ميل عن البلدة والتى تنقل إليها بعد ذلك بالسيارات أو الدواب ولما كانت توجد بالقرب من البرج أو فى المنطقة المحيطة بها عدة موارد للمياه كآبار وخزانات إلا أن مياهها غير صالحة للشرب مطلقاً وإنما تصلح للزراعة والرى فقط .

ولما كانت مسألة المياه هى فى الواقع المسألة الحيوية التى لها المقام الأول من الاعتبارفان مجرد انتشار هذه الحقيقة قد أثر تأثيراً سيئا على مسألة تعمير البلدة .

٢ – الارتفاع بمستوى البدو (الأعراب) هيبة الحكومة :

أما الاعتبار الثانى فهو ما أذيع أنه من الأغراض المهمة لتشييد بلدة البرج هو الارتفاع بمستوى الاعراب ، ولهذا السبب فقد فكر المستر براملى أن يضع تصميم المبانى على طراز ضخم يمثل العظمة والمهابة ليكون لها تأثير عظيم على نفوس الأعراب وهو مما يزيد فى هيبة الحكومة واحترامها .

وقد يكون هذا هو رأى المستر براملى ولكن ليس هناك أدنى شك فى صحة هذه الفكرة وقد دونها فى مقدمة الكتاب الذى وضع عن برج العرب تحت عنوان « رسوم وتصميات برج العرب » المطبوع بالمطبعة الأميرية سنة ١٩٢٥ .

البدو وسكنى المبانى :

وعلى أية حال فليس هناك أى دليل أو برهان يثبت لنا أن للمبانى سواء كانت ضخمة أو بسيطة أدنى تأثير على عقلية أو شعور الرجل البدوى فى الصحراء .

فالمعروف جيداً عن البدوى أنه يفضل معيشة الخلاء وسكنى الخيام المصنوعة من الصوف والشعر والتى يسهل حملها ونقلها من مكان لآخر حسب مقتضيات حياته وبخاصة عند سعيه وراء المرعى وذلك فانه يختار الأرض التى يغمرها المطر حيث تنبت الحشائش ليرعى فيها ماشيته ويزرع فيها الشعير غذاءه الوحيد ، فاذا سكن البدوى المبانى فمعنى هذا أنه قطع علاقاته بعشيرته وقبيلته

وعلى هذا الاعتبار فان البدوى لايتأثر مطلقا بالمبانى ولا يميل للاقامة فى أى مبنى مهما كانت حالته ولو كان صاحبه قد هجره أو تركه لأى سبب كان .

٣ — هل يمكن جعل برج العرب مركزاً للقوافل وسوقاً لتجارة البدو ؟

والاعتبار الثالث هو هل فى الامكان جعل برج العرب مركزاً عظيما لنزول القوافل التجارية القادمة من الغرب أو الجنوب الغربى حتى تصبح سوقا كبيرة لتجارة البدو من محصولات أو مواش أو بلح أو غيرها ومركزاً لتجارة السلع التى تصل مع القوافل القادمة من الواحات وأنحاء الصحراء بأمل تصريفها وبيعها للتجار الذين يحضرون خصيصاً من وادى النيل وبخاصة وهم آمنون مطمئنون على أموالهم من عبث اللصوص وقطاع الطرق .

ولو نظرنا إلى هذه الفكرة من الوجهة العملية لوجدنا أنها صعبة التنفيذ إذ كيف يمكن إنشاء مركز عظيم كهذا تجتمع فيه شتى القوافل والرجال وليس به ماء للشرب لسقاية النزلاء ودوابهم . كما أن هناك عوامل أخرى داخلية تجعل تنفيذ هذا الاقتراح مستحيلا علميا وعمليا .

وعلى هذا فمن غير الممكن تنفيذ هذا الاقتراح غير أنه يوجد فى هذه المنطقة

بالذات سوقان عظيمان للتجارة ولاجتماع الاعراب . أما السوق الأولى فتقام فى بلدة العامرية الواقعة شرقى برج العرب والأخرى فى بلدة الحمام الواقعة غربى برج العرب وكلا السوقين على مسافة قريبة من البرج والمياه فيهما متوفرة لسد حاجة الأعراب .

وقد اعتاد البدو الذهاب إليهما بحكم البيئة من أجيال طويلة . والبدوى رجل يصعب جداً تحويله عن عاداته التى أخذها عن آبائه وأجداده من قبل . وكل المحاولات التى عملت لتحويل التجارة من هذين السوقين إلى السوق الجديدة ببرج العرب باءت بالفشل .

أضف إلى ذلك أن الأراضى التى أقيم عليها سوق العامرية والحمام كانت من أملاك الخاصة من سنين طويلة وهى تحصل على مبالغ طيبة وربح وفير من الضرائب والرسوم وليس من المعقول أن نسلم بسهولة بالتنازل عن هذين السوقين وعلى موردهما . وعلى ذلك فلن تلقى فكرة نقل هذين السوقين إلى البرج أى تشجيع من الرجال المسئولين فضلا عن عدم صلاحية البرج لإقامة هذه السوق .

وفى كل أسبوع يؤم سوق العامرية والحمام الآلاف من الأعراب والأهالى والتجار ولم يسمع أن تقدم أحد بشكوى أو حصلت حادثة سطو أو سرقة أو نهب من أحد مطلقا وليست هذه هى الحال فى هذه الجهة فقط بل أيضا فى باقى نواحى الصحراء حتى البعيد جداً لجهة الغرب ؛ لأن طريقة الحكم والأحكام العسكرية تجعل حصول مثل هذه الحوادث أمراً مستحيلا لأن الحكومة فى الصحراء قوية مرهوبة الجانب ومن ورائها قوات الشرطة ورجال الهجانة والسيارات المسلحة وهى قوات تنفيذية مرهوبة الجانب .

هل يمكن جعل برج العرب مركزاً تجاريا للصحراء والواحات والسودان وساحل البحر الأبيض المتوسط ؟

لقد كان أمل المستر براملى أن تصبح برج العرب المركز التجارى العظيم لحاصلات وتجارة الصحراء وواحاتها ليس فى القسم المصرى فقط بل يتعداه

لصحراء ليبيا والسودان المصرى والانجليزى والسودان الفرنسى ووادای وقتئذ فيصبح البرج هو المحطة النهائية للقوافل المحملة بالسن وريش النعام والصمغ وغيرها وهى التجارة التى كانت ذات أهمية عظيمة فى القرن التاسع عشر حيث كانت القوافل تسير بين واداى وساحل الذهب إلى شمال أفريقيا .

على أن تصور هذه الفكرة الآن يعتبر نوعا من الوهم والخيال وقد تصادف فى سنة ١٩٢٠ أن أحد التجار الرحل المعروفين سافر بقافلة مجهزة بمختلف البضائع الكثيرة للاتجار مع واحة الكفرة وافتتاح طريق للتجارة . ولكنه عاد فى الموسم التالى إلى مريوط وقال إنه منى بخسارة كبيرة فى صفقته التجارية ، وكان يذكر أموراً مؤلمة عن فداحة الضرائب التى تحصل منه هناك مما جعل تصديق رواياته أمراً مستحيلا .

٤ — إغراء البدو للسكنى والإقامة حول برج العرب :

هذا وقد بذلت عدة محاولات جدية لاغراء البدو للانتقال بخيوشهم ونجوعهم للاقامة حول البلدة أو السكنى فيها حتى يمكن عمرانها تدريجياً كما هو الحال فى غيرها من المدن الناشئة ولكنها باءت كلها بالفشل وإذا حضر أحد الأعراب للبرج فيكون ذلك لظروف اضطرارية أو أحضره أحد رجال الحكومة لإنهاء بعض الأعمال الحكومية أو اضطرته الظروف للتوجه هناك لأعمال رسمية أو قضائية تخصه .

هذه هى الاعتبارات الرئيسية التى جالت بمخيلة المستر براملى منشىء البلدة ولكن يخيل إلينا أنها قد باءت بالفشل .

مشروعات جديدة لعمران برج العرب :

على أن فشل المشروعات السابقة لم يفت فى عضد المستر براملى أو يثبط عزيمته أو جهده فأوحت إليه مخيلته الخصبة بجملة مشروعات جديدة فكر فى إخراجها إلى حيز التنفيذ ومن هذه المشروعات :

٥ — تشجيع عمد ومشايخ أولادعلى المستوطنين بمديرية البحيرة ووادي النيل لاتخاذ منازل لهم فى برج العرب :

ومن المعلوم أن كبار الأعراب من أولاد على نالوا مكافئات وهبات من الأراضى الزراعية بمحافظة البحيرة من والى مصر محمد على واستوطنوا هذه المحافظة وآثروا المعيشة الريفية على معيشة البدو وسكنوا المنازل الفخمة قريبين من الحكام وأصبحوا لا يهتمون كثيراً بأمور رعاياهم وقبائلهم الموجودة بالصحراء إلا فى الأحوال الضرورية والقصوى حتى لا يقطعوا نهائيا علاقاتهم برجال قبائلهم .

ولما كان هؤلاء العمد والمشايخ على شيء من الثراء فقد فكر المستر براملى أن يشجعهم على شراء قطع من الأراضى داخل بلدة البرج ليقيموا عليها منازل واستراحات لينزلوا بها من حين لآخر عندما يفدون إلى الصحراء لحضور قضايا رعاياهم هناك .

أما مصلحة الحدود وقتئذ (أو السياسة البريطانية) فلم تر هذا الرأى لأن هذا يخالف سياستها فى الصحراء بالنسبة لأن طول إقامة هؤلاء العمد فى بلاد البحيرة والبلاد المتمدينة واحتكاكهم بالحكام ودخولهم فى غمار التيارات السياسية فى البلاد المصرية واهتمامهم الخاص بمصالحهم الزراعية والمالية والسياسية فى البلاد وبعدهم عن الصحراء وما يحدث فيها جعلهم عديمى الفائدة لذلك قررت مصلحة الحدود منع هؤلاء العمد والأعيان من دخول الصحراء بدون تصريح واخراج كل من يدخل منهم بالقوة إلى خارج الصحراء إذا لم يكن لديه تصريح بذلك كما قررت المصلحة تعيين عمد ومشايخ جدد من الأعراب الرحل المقيمين مع رجالهم بأراضى مصلحة الحدود لسهولة استدعائهم والنظر معها فى أمر رعاياهم

٦ — تحويل برج العرب إلى مصيف للأوروبيين :

وبسبب فشل المشروعات السابقة فكر كثيرون من أثرياء الأوروبيين والمغامرين وبخاصة من كان يقيم منهم بالاسكندرية أن ينشئوا فى برج العرب

منازل لهم للراحة والاستجمام فى وسط الصحراء وقضاء نهاية الأسبوع وفعلا قدمت طلبات عدة من بعض هؤلاء لشراء قطع من الأراضى لهذا الغرض. ولما كانوا يعرفون جيداً أن مؤسس هذا المشروع هو المستر براملى فقد اتصلوا به أولا ليأخذوا نصيحته وقد صارحهم بالحقيقة الخاصة بصعوبة الحصول على المياه للشرب إلا عن طريق السكة الحديدية وبسبب ذلك فقد عدل بعضهم عن الشراء وأهملوا الفكرة وبذلك انتهى هذا الأمل أيضاً.

٧ — صعوبة جعل برج العرب مركزاً لإقامة قسم مريوط الإدارى وانتقال هذا القسم من العامرية :

قد ذكرنا سابقا أن السبب الأول فى إنشاء وبناء بلدة برج العرب هو أن تكون المركز الإدارى لقسم مريوط ومحلا لسكنى وإقامة المفتش وموظفى هذا القسم المعروف الآن بالقسم الشرقى وقد تم فعلا إقامة المبانى الكافية للغرض المذكور على أن مسألة المياه كانت عقبة كبيرة فى استمرار بقاء هذا القسم هناك فبمجرد اعتزال المستر براملى أعمال القسم المذكور فضل المفتشون الذين خلفوه إعادة مركز القسم إلى بلدة العامرية لسهولة الحصول على المياه من مشروع قديم كان قد أنشأه سلاح الجو البريطانى وقت الحرب العظمى سنة ١٩١٤ هناك لتزويد مطاراته ومعسكراته بالعامرية ، فضلا عن أن العامرية تعتبر من أكبر المراكز الاجتماعية للبدو كما أنها سوق كبيرة لتجارتهم فى المواشى ومحصولات الصحراء.

التكاليف المالية لصيانة وترميم مبانى برج العرب :

ولما كانت مسألة هجر بلدة برج العرب وعدم الحاجة إلى استخدام مبانيها ستؤدى إلى تلفها فان الحكومة تضطر إلى صرف مبالغ كبيرة وبصفة مستمرة لصيانتها وترميمها من وقت لآخر لأجل المحافظة عليها لأنها من طراز فنى دقيق وبها زخارف كثيرة وبالنسبة لطبيعة الأراضى المقامة عليها هذه المبانى وكثرة نزول الأمطار وهبوب العواصف والرمال بشدة على ساحل البحر فى هذه المنطقة فإن

أى إهمال أو تقصير من جانب الحكومة فى ترميم وصيانة هذه المبانى ولأى سبب آخر سيؤدى حتما إلى أن تصبح هذه المبانى فى القريب العاجل أطلالا وخرائب مهجورة .

النتيجة الختامية :

بعد كل هذه الاعتبارات نخرج بنتيجة واحدة هى أن بلدة برج العرب ذات المبانى الفنية الجميلة والطراز الرومانى الفخم والتى كلفت الحكومة أموالا طائلة ومجهوداً كبيراً أصبحت غير ذات فائدة للدولة وللجهات التى فكرت فى انشائها ولذلك فإنه يجب أن تتحقق الدولة من النتائج التى قد تعود عليها من مثل هذا المشروع قبل البدء فى الإنشاء والصرف .

على أن المستر براملى بعد إحالته للمعاش استمر مقيما فى جوار برج العرب تحت ستار صاحب المشروع وعند قيام الحرب العالمية الثانية اتضح أنه من كبار ضباط المخابرات البريطانية وظهرت حقيقة نواياه حيث كان يعمل بنشاط فى معاونة قوات الحلفاء فى العمليات الحربية بالصحراء الغربية فى الحرب العالمية الثانية .

١٩ — للذكرى والتاريخ

****

معركة العلمين سنة ١٩٤٢

وارتباطها بكثير من العالم والأحداث بالصحراء الغربية (معلومات مبسطة وسهلة)

« اهتز العالم أجمع لمعركة العلمين . لأنها كانت إحدى نقط التحول فى سير الحرب العالمية الثانية . وهذا الفصل الذى أكتبه عن هذه المعركة التى كانت أرض مصر مسرحاً لها ، اعتمد فيه على التقارير الرسمية والمعلومات الشخصية وإنى أقربها إلى ذهن القارئ العادى وأبعدها عن التعقيد الحربى الفنى وأتوفى الدقة فى تصوير المراحل التى تمت منذ تقهقر قوات الحلفاء وتوقفها فى العلمين حتى نهاية انسحاب قوات المحور من الأراضى المصرية » .

وإن كل صورة أرسمها للقارىء فى هذا الفصل تروى قصة . كما أن هذه الصور المتلاحقة تعبير عن قصة ذلك القتال الذى نشب على حدود مصر على الساحل الشمالى الغربى من البحر الأبيض المتوسط . ودام زهاء عامين بين مد وجزر حتى انتهى إلى انسحاب قوات المحور من شمال أفريقيا . وأنا أكتفى هنا بأن أصور باختصار هذه المعركة حتى نهاية تطهير الأراضى المصرية من قوات المحور وقد كانت فى الواقع معركة مستقلة فى حد ذاتها .

معركة مصر الأولى : (الجنرال ويفل) ومساعدة اليونان من ديسمبر سنة ١٩٤٠ — فبراير سنة ١٩٤١ :

فى الفترة بين ديسمبر سنة ١٩٤٠ وفبراير عام ١٩٤١ استطاع الجنرال ويفل أن يطهر مصر من الجيوش الإيطالية فى ليبيا وأن يتقدم حتى وصل إلى خليج (سيرت)

وفى ذلك الوقت كان عليه وعلى الحكومة البريطانية أن تقرر الخطوة التالية باختيار أحد أمرين . إما أن يستمر فى هجومه إلى أن يطهر الساحل الافريقى حتى حدود افريقيا الفرنسية الشمالية من العدو أو يرسل الإمداد إلى اليونان . وقد استقر الرأى على أن اليونان يجب أن تنال المساعدة أولا . ولذلك فقد أبحر جزء هام من جيوش الجنرال « ويفل » إلى بلاد اليونان لمساعدتها فى حربها . وبذلك أصبح موقف الحلفاء فى شمال أفريقيا معلقا ، وعلى جانب كبير من الحرج وقبل أن تتمكن إمدادات الحلفاء من الوصول إلى أفريقيا سواء من الجزر البريطانية أو من شرق أفريقية استطاع الألمان الذين أجبروا على مديد المساعدة لإنقاذ الجيش الإيطالى أن يهجموا بفرقتين مدرعتين وبذلك اكتسحوا جيوش الحلفاء أمامهم حتى أعادوها إلى الجبهة المصرية .

طبرق شوكة فى جنب المحور :

واستطاعت طبرق ، أن تصمد فى وجه قوات المحور . وظلت تقاوم الحصار قرابة ثمانية أشهر وصارت كشوكة فى جنب قوات المحور . ولا شك أنه كان لهذه المدينة أثر حاسم فى العمليات الاستراتيجية التى سبقت هجوم الجنرال أوكنلك الذى حل محل الجنرال ويفل فى قيادة جيوش الحلفاء بالشرق الأوسط .

خط الدفاع فى غزالة — وبئر حكيم :

ومرة أخرى استطاع الحلفاء بعد معارك عنيفة عبر صحراء ليبيا أن يصلوا إلى الغزالة على الجانب الشرقى من خليج سيرت ولكنها لم تتمكن من القضاء على قوات المحور أو تشتيت قواته تماما لمنعه من الوقوف عند الغزالة والصمود بها . فقد كانت قوات الحلفاء فى ذلك الوقت أضعف من أن تستطيع الهجوم ومواصلة دفع العدو إلى الخلف . ولكنها كانت أقوى من أن يستطيع الألمان الهجوم عليها . واستطاع رومل بهجومه المضاد أن يدفع الحلفاء ويحملهم على الوقوف فى خط الغزالة — بئر حكيم وبذلك استطاع أن يستفيد من الموانى الكثيرة التى ساعدته على جلب الامداد إليه وبخاصة ميناء بنى غازى .

معركة بئرحكيم فى ٢٦ من مايو سنة ١٩٤٢ وتقهقر قوات الحلفاء :

وبقى الموقف على هذه الصورة مدة أربعة أشهر وقف فيها كلا من الجيشين يحدق فى عدوه ولا يستطيع الهجوم . ولا شك أن كلا منهما كان يعمل جاهدا ليجعل نفسه أقوى من غريمه . ولا شك أيضاً أنه كانت للألمان ميزة السبق فى اتمام استعداداتهم بالنسبة لقصر خطوط مواصلاتهم وتمكنهم من جلب الامدادات من اليونان وإيطاليا . وفى ٢٦ من مايو سنة ١٩٤٢ استطاع رومل أن يهاجم قوات الحلفاء ويفتح ثغرة فى حقول الألغام . وثبت أقدامه فيها وراح يعمل على توسيع هذه الثغرة كما استطاعت حامية بئر حكيم وكانت تتكون من جنود فرنسيين أن تصمد فى وجه أقسى الهجمات الألمانية مدة أحد عشر يوما وبذلك منعتهم من العبور من خلال الثغرة التى فتحوها . وكانت المعركة متكافئة طالما بقيت بئرحكيم صامدة فىوجه قوات المحور ولكنهاعندما اضطرت للانسحاب بعد أن صدرت إليها الأوامر بذلك انقلب ميزان المعركة ضد الحلفاء وساءت حالهم وفى المدة من ١١ من يونيه إلى ١٣ منه كنتيجة للخسائر التى لحقت بدباباتهم اضطروا إلى الانسحاب والتراجع .

سقوط طبرق يونيه ١٩٤٢ والانسحاب شرقاً نحو وادى النيل :

وكان الأمل معقوداً على أن تبقى طبرق فى يد الحلفاء فى هذه المرة أيضاً ولكنها سرعان ما سقطت تحت ضغط هجوم قوى مفاجىء فى ست وثلاثين ساعة. وبذلك فقد الجنرال أوكنلك ما كان يعتمد عليه فى تدبير هجوم مضاد كما فقد ٢٨ ألفاً من رجاله سقطوا أسرى فى يد العدو وكان هذا سبباً فى إفساد كل خطط الحلفاء وتحتم على بقايا الجيش الثامن أن ينسحب على عجل من سيدى برانى ومرسى مطروح وواصلت تقهقرها لمائة ميل أخرى حتى العلمين حيث لا يوجد إلا ممر بعرض أربعين ميلا بين البحر والمستنقعات الملحة التى لا يمكن عبورها فى منخفض القطارة ، وفى العلمين استطاع الجنرال أوكنلك الوقوف .

خط دفاع العلمين :

وكانت العلمين آخر وأنسب مكان للدفاع عن الاسكندرية ودلتا النيل التى لم تكن تبعد عن العدو بأكثر من ستين ميلا .

وفى الشمال يمتد الطريق الساحلى والسكة الحديدية التى تجرى فى الصحراء المستوية على مقربة من المستنقعات الملحة التى تتخلف من البحر وفى الوسط توجد الهضاب التى لا تعدو طبقة رقيقة من الرمال تغطى بعض الصخور . وفى الجنوب تنبعث الصخور وعرة وسط الرمال . ثم تنحدر حادة نحو منخفض القطارة . الذى يمتلىء بالرمال الناعمة التى لا تصلح لسير العربات . وليس بها غير الطريق الوحيد الذى يصل بين سيوة والواحات البحرية ثم وادى النيل .

معركة ٣٠ من يونيه ١٩٤٢ وهجوم روميل :

وفى ٣٠ من يونيه حاول روميل أن يقتحم الطريق بفرقة دبابات (ليتوريا) الإيطالية . ولكنه ارتد بخسارة فادحة . حيث استطاع الحلفاء صده بما تبقى لديهم من الوحدات المدرعة ، وفى اليوم التالى دفع مشاته محاولا اختراق جبهة الحلفاء فى أقصى الشمال حيث تحتلها فرقة جنوب أفريقيا إلا أن كل هجوم من جانبه منى بالفشل . وفى أقصى الجنوب كانت الفرقة الهندية الرابعة تكافح الدبابات الألمانية طيلة النهار ، وجدد روميل هجومه فى الليل . واستطاع أن يكتسح أحد المواقع الهندية الحصينة مما دفعه إلى الظن بأنه قد اخترق الجبهة ولعل هذا هو ما دفعه لأن يعلن للعالم فى ٢ من يونيه أنه يدفع الجيوش البريطانية المنهزمة نحو وادى النيل .

الجنرال أوكنلك يسلب روميل ثمرة انتصاره :

ولقد تبين أنه أخطأ فى تصوره . فإنه عندما حاول أن يدفع جيوش الحلفاء فوجىء بهجمة عنيفة . وما أن جاء الليل حتى بدأ يتراجع . وأعاد محاولته فى اليومين التاليين ولكن هجماته كانت تنتهى بخسارة فادحة . وتقدمت الفرقة الاسترالية التاسعة فى هجوم مضاد فاستطاعت احتلال « تل العيصى » وظلت المعركة

بعد ذلك لبضعة أيام مائعة بين مد وجزر . ولم يكن فى استطاعة أى الجانبين أن يكتسح الآخر .

الجنرال الكسندر والجنرال مونتوجمرى :

وفى خلال الشهر التالى قام الحلفاء بهجومين قويين فتحسنت مراكزهم ولكن هذين الهجومين أظهرا بجلاء أن الجيش الألمانى أقوى من أن يهزم بسهولة وحدث أن أسند الحلفاء إلى الجنرال الكسندر الذى كان آخر رجل غادر دنكرك والذى تمكن بعد ذلك من الانسحاب بجيش الحلفاء من بورما سالما وكذلك استبدل الجنرال ريتشى فى قيادة الجيش الثامن بالجنرال مونتوجمرى .

محاولات رومل لكسر جبهة الحلفاء واستدراج قواتهم المدرعة للمعركة :

ولم يكن لهذه التغيرات تأثير يذكر عندما قام رومل بعد ذلك بعدة محاولات لكسر الجبهة . واستطاعت خطوط الحلفاء فى الجنوب أن تبقى سليمة ولو تمكن الألمان من التعمق فيها لقوبلوا بهجوم قوى من الشمال على جناحه الشمالى تؤيده قوات الحلفاء الاحتياطية القادمة من دلتا النيل إلى الجبهة بلا انقطاع .

وفى ٣٠ من أغسطس فى خلال هجمة ليلية استطاع الألمان أن يخترقوا الجبهة من الجنوب بين (الرويسات والحميات) واندفعوا صوب الشمال خلف خطوط الحلفاء بأمل جذب قواتهم المدرعة إلى المعركة . ولكن الحلفاء رفضوا هذا التحدى . وظل الجيش الثامن فى مواقعه الدفاعية خلال ثلاثة أيام يدفع الأعداء بما لديه من مدافع وبالغارات العنيفة . ولم يكن فى وسع الألمان الاستمرار فى التعمق فى حين يهدد جناحهم جيش لم ينهزم بعد كما أن تموين جيش رومل بالبترول والإمدادات كان على جانب كبير من الصعوبة مما اضطره إلى الانسحاب فى ٣ من سبتمبر واضطر فى اليوم التالى بعد ثلاث هجمات عنيفة فاصلة إلى التوقف لإراحة رجاله .

عوامل النصر

الإمدادات والأسلحة والمهمات الأمريكية تتدفق نحو الشرق :

أوضح المستر تشرشل كيف أن النصر فى هذه المعركة كان نتيجة لخطة أحكم تدبيرها وقتاً طويلا وقد تلقى تشرشل نبأ سقوط طبرق وهو فى أمريكا يباحث الرئيس روزفلت وقد أمر روزفلت فوراً بتوجيه أول فوج من دبابات شيرمان صوب الشرق الأوسط — ومن المحتمل أن تكون مدافع ٦ رطل المضادة للدبابات قد أنقذت جيش الحلفاء من الهزيمة فى الغزالة ، ولكن هذه المدافع أرسلت بكثرة إلى جبهة العلمين فكانت عاملا هاماً من عوامل النصر . وتدفقت الإمدادات من أمريكا حتى كادت أن تكون مهمات الجيش الثامن كلها منها وكان عدد الطائرات كبيراً جداً حتى أننا لنجد فى بعض أدوار المعركة أن الغارة الواحدة كانت تشنها سبعمائة طائرة من قاذفات القنابل مما ساعد على تحطيم قوات العدو الجوية .

كان الحلفاء يرغبون فى تغطية مركزهم فى الشرق الأوسط مهما عانوا فى هذا السبيل وفيما عدا الإمداد الهائل من الطائرات فإن الإنسان ليروعه ذلك المدد من الرجال فى وقت لم يكن فيه فى الجزر البريطانية نفسها حتى بعد موقعة دنكرك فرقه كاملة التسليح تقف فى وجه الألمان لو سولت لهم أنفسهم اجتياح انجلترا ذاتها .

١ — التحضير للمعركة

خطوط تموين الحلفاء وخطوط المحور :

تم تدريب الجيش الثامن وإعداده وتموينه بأطول خط تموين يمكن لجيش منظم أن يحارب فيه فى أى بقعة من بقاع العالم . فكانت إمدادات هذا الجيش تحتاج إلى رحلة تستغرق أربعة أشهر أو خمسة عن طريق رأس الرجاء الصالح وبرغم ذلك

فقد تمكن الحلفاء من إمداده بالرجال من مختلف بلاد الإمبراطورية البريطانية ، كما تم نقل مدافع ٢٥ رطل والبنادق المضادة للدبابات وكاسحات الألغام إلى الشرق الاوسط من مسافة إثنى عشر ألف ميل . وكان هذا الطريق الطويل معرضا لهجوم الغواصات الألمانية والغارات الجوية العنيفة وفى الوقت نفسه كان طريق تموين قوات المحور عبر البحر الأبيض المتوسط قصيراً للغاية . وبرغم ذلك فإن معظم عتاده أغرق فى البحر ومع ذلك استطاع أن يمون بمهمات وفيرة . ولعل ذلك هو ما دعا روميل إلى التأكد من قدرته على كسب معركة التموين ولعل هذا ما دفعه أيضاً إلى أن يصرح فى ٣ من أكتوبر قبل هجوم الجيش الثامن بقرابة عشرين يوما بما نصه : «إننا واقفون على باب النصر وعلى استعداد للعمل ، ونحن لم نصل إلى هنا إلا وقد طردنا أية فكرة عن التراجع عاجلا أو آجلا » .

وهذه الكلمات الصريحة الواضحة كانت آخر كلماته .

٢ — ساعة الهجوم

الساعة التاسعة والنصف من مساء يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٢ :

بدأت معركة مصر على وجه التحديد فى الساعة التاسعة والنصف من مساء يوم الجمعة فى الثالث والعشرين من أكتوبر . فى جبهة طولها ستة أميال وراحت مدفعية الحلفاء (ولا يبعد المدفع منها عن الآخر أكثر من ٢٣ ياردة) تصب نيرانها على طول خط دفاع العدو بلا انقطاع وظلت النيران تطلق لمدة ٢٠ دقيقة بأقصى قوتها وكان الاختيار قد وقع على ليلة مقمرة زاهية . حتى إذا جاء دور المشاة فى التقدم كان فى استطاعتهم أن يروا طريقهم جيدا . وكان هذا القطاع ذو ستة الأميال فى شمال الأربعين فى النقطة التى تفصل بين منخفض القطارة والبحر .

مفاجأة الهجوم والاتجاه :

كان الهجوم فى الواقع مفاجأة للألمان . وبخاصة فى اختيار مكانه . فإن ذلك

القطاع هو الذى يحتفظ فيه المحور بأقوى قواته . إذ كان يحتشد فيه الجزء الأكبر من فرق المشاة الألمانية وفرقة من البانزر وفرقة مدرعة إيطالية وفرقتان إيطاليتان . وكان روملى يتوقع هجوم الحلفاء من الوسط . ولذلك حشد هذه القوة لكى تشن هجوماً مضاداً من الجناح . لكن الجيش الثامن لم يقع فى هذا الشرك . بل هاجم قوات المحور من الشمال حتى يحمله ، إذا شاء أن يقابل هذا الهجوم بهجوم مضاد ، أن يقوم به مواجهة .

ذكرى ١٩١٦ — ١٩١٨ :

ولا شك أن تشكيل الهجوم فتح طريق المشاة بعد دق عنيف بالمدافع قد أعاد إلى الأذهان ذكرى ١٩١٦ —١٩١٨ من سنوات الحرب العالمية الماضية والواقع أن ذلك كان كارثة بالنسبة للخسائر الشديدة التى منى بها العدو ولم يكن فى وسعه سدها مما جعل الهجوم يسير بسرعة وإلى حد تمكنت معه المشاة من فتح طريقها بسهولة ، والواقع أن كل قوات المارشال روملى ومدافعه كانت مشتركة فى المعركة . وإذا كان ضرب الدفعية العنيف قد أرغم الألمان فى ربيع عام ١٩١٧ على الانسحاب إلى خط هندنبرج فإن ما حدث إذ ذاك فى تسعة أشهر قد حدث الآن فى العلمين وحدث فى المدة التى تمكن فيها روملى من الوقوف عند أول خط شبيه بخط هندنبرج إلا أن خط روملى كان يبعد عنه ٧٠٠ ميل وسط هذه الصحارى الجرداء القفرة .

٣ — أعمال مشاة الحلفاء

من ٢٣ أكتوبر إلى أول نوفمبر :

فى الساعة العاشرة من مساء ٢٣ من أكتوبر تقدمت مشاة الامبراطورية المتحدة والمستعمرات المستقلة وفى الساعة الخامسة والنصف من صباح اليوم التالى كانوا فى جبهة عرضها ستة أميال غرب منطقة ألغام العدو بما يقرب من أربعة أميال . وكان عليهم فى الأيام التالية أن يوسعوا هذه الثغرة ويتعمقوا فى منطقة

الألغام حتى يشرفوا على خطوط العدو الدفاعية . وقد تمكنوا من فتح طريق للدبابات خلال الألغام . ولكن كثافة الألغام فى الغرب أوقفت كل تقدم . ومر يوم ٢٥ من أكتوبر هادئاً نسبياً . إلا أنه فى مساء ذلك اليوم تمكن الاستراليون من تعميق الثغرة وفى خلال الأيام الستة التالية فى أول نوفمبر صدرت كل الهجمات المضادة التى شنها عليهم الألمان بمشاة الجيش الثامن والمدفعية وليلة بعد أخرى زاد التقدم وكان عبء هذا العمل المجيد يقع على عاتق الاستراليين والأتراك وجنود جنوب أفريقيا والهنود وبعض المحاربين من الفرنسيين واليونانيين . وكانت الخسائر بنسبة واحد إلى خمسة من خسائر العدو . وفى ليلة أول نوفمبر تمكن لواء من الفرقتين الخمسين والحادية والخمسين النيوزيلاندية من الاندفاع إلى مسافة ثلاثة أميال صوب الغرب فى جبهة عرضها أربعة أميال وكان ذلك بدء الالتحام بقوات العدو .

٤ — التناسق بين الجيش والقوات الجوية

قائد واحد للأرض والبحر والجو :

كان التعاون بين الجيش والقوات الجوية تاماً من كل الوجوه كما عبر عنه مونتجومرى بأنه لم يكن هناك انفصال فى القيادة ، كان هناك قائد واحد ، وبين هزيمة رومل فى هجماته خلال الأسبوع الأول من سبتمبر وبين الثالث والعشرين من أكتوبر أمطرت الطائرات كل الأرض الواقعة بين الجيشين بالقنابل كما ظلت تدق مواصلات الألمان فى الخلف وطرق تموينهم بكل عنف وبمعونة الغواصات أمكن ضمان عدم وصول الإمداد إلى الجيش الألمانى . ويمكن القول بصفة عامة أن أربعة أخماس السفن التى أقلعت من موانى إيطاليا أو اليونان خلال هذه الفترة أغرقت وأتلفت . واستطاعت قوات الحلفاء الجوية أن تكتسح من السماء طائرات الألمان وفى ٢٣ من أكتوبر شنت ألف طائرة من طائرات الحلفاء غارة رهيبة على مطارات العدو وأماكن حشوده ومواصلاته وأوكار

مدافعه سواء فى خطوطه الأمامية أو الخلفية . وهناك حقيقتان تدلان بجلاء عن مقدار الفائدة العظيمة التى جنتها وحدات الجيش الثامن من وراء هذه الغارة فقد وجدت القوات الإنجليزية عند تقدمها ٥٥٠ طائرة من طائرات المحور محطمة فى مطارات أو عاطلة بسبب نفاذ الوقود . ولعل هذا ما يفسر عدم هجوم الألمان من الجو على القوات المتقدمة .

وفى هجوم الجيش الثامن أسدت الطائرات من الجو خدمات عظيمة فى الهجمات المضادة التى حاول الألمان أن يوقفوا بها تقدم الحلفاء .

٥ — فتح ثغرة للقوات المدرعة

حقول الألغام :

كان دفاع الألمان فى العلمين يتكون من نطاق ضخم من الألغام وأوكار للمدافع الرشاشة تحمى الثغرات التى بينها . وكان من الضرورى تطهير الأرض التى يكسبها المشاه من الألغام بواسطة الفرق المختلفة حتى تكون صالحة لمرور المدرعات . والألغام بالنسبة للدبابات أشبه بالأسلاك الشائكة التى تعوق المشاة وهى تدق تحت سطح الرمال مباشرة فى مجموعات غير منتظمة وكان اكتشافها بوساطة آلة كهربية صغيرة يحملها لاقطو الألغام الذين بدءوا أعمالهم بهمة قبل الهجوم بحوالى أسبوعين وفى الأيام التسعة الأولى للمعركة كانوا يعملون كل ليلة بلا انقطاع فى هذا العمل الدقيق الخطر . ولكنهم كانوا على درجة عالية من التدريب مكنتهم من أداء عملهم . وكان من الضرورى تحديد حقول الألغام حتى لا تسقط فى حبائلها المشاة المتقدمة . وغالبا ما كان ذلك يتم بوضع الأسلاك الشائكة على الجانبين وبذلك يفتح لاقطو الألغام الطريق للوحدات المدرعة .

٦ — الدبابات تشترك فى المعركة

ففى الصباح الباكر من نوفمبر كان المشاة ولاقطو الألغام قد أتموا مهمتهم واندفعت دبابات الحلفاء لتحمل دبابات الألمان على الاشتباك بها . فى يونية ويولية كانت القوات الانجليزية تعانى عجزاً شديداً فى الدبابات الثقيلة أما الآن فلم يعد لهذه الشكوى أثر بعد أن تدفقت على الجيش الثامن إمدادات هائلة من دبابات « كروسيدر » الانجليزية و « شترمان » و « جرانت » الأمريكية وكان رجال الدبابات فى الجيش الثامن من رجال الامبراطورية المتحدة جميعا من فرق الفرسان المشهورة وفرق اليومانروى وفرق الدبابات الملكية المدرعة البريطانية .

مفاجأة الجيش الثامن معسكرات هيكلية فى الدلتا :

لم تكن الدبابات قد اشتركت فعلا فى المعركة حتى ٢ من نوفمبر ولو أن بعض الدبابات كانت تصحب المشاة المهاجمين . ولا شك أن العدو قد قاسى كثيرا من الدبابات عندما دخلت المعركة . ليس فقط لمجرد التكتيك الجديد الذى اصطدم به فى العمليات التى تمت . ولكن لمفاجأة أخرى كان يدخرها له الجيش الثامن والحق أنها كانت مفاجأة رائعة . فإن الحلفاء كانوا قد سحبوا الفيلق العاشر الذى يتكون من فرقتين مدرعتين والمشاة النوزيلانديين إلى الدلتا عقب التراجع من العلمين وكانت غارات الألمان الاكتشافية تعلم أن هذه الفرق ظلت فى مكانها هناك فى أقصى الدلتا حتى اليوم الثانى والعشرين من أكتوبر ولكن الواقع أن أغلبية هذه الفرق عادت وأخذت مكانها فى العلمين وتركت وراءها معسكرا للتمويه . وفى ٢ من نوفمبر فقط أدرك الألمان أن هذه الفرق موجودة فى العلمين بعد التحامهم بها فى تل العقاقير وكانت هذه نقطة التحول فى المعركة .

هلاك البانزر فى تل المقاقير

حادثان فى معركة مصر :

فى معركة مصر حادثان كان لهما أثرهما فى سير المعركة . أولهما تمكن المشاة من التقدم وثانيهما معركة الدبابات الهائلة فى تل العقاقير . وكان الحادث الأول بغير شك هو ما فتح السبيل للحادث الثانى . وقد تم تقدم المشاة خلال تسعة أيام على حين استغرق الحادث الثانى تسع ساعات . عندما انتهت معركة الدبابات تحول تل العقاقير إلى مقبرة للوحدات الألمانية المدرعة وكسب الحلفاء معركة مصر وكل ما حدث بعد ذلك لم يكن إلا تتبع جيش منهزم .

مقبرة الدبابات الألمانية بتل العقاقير ٢ - ١١ — ١٩٤٢ :

قامت معركة عقاقير فى ٢ من نوفمبر . وفى أول نوفمبر كان العدو قد أجبر على تحويل قواته المدرعة إلى (تل العقاقير) حيث اندفع المشاة البريطانيون صوب خطوطه الدفاعية وفى ذلك اعتمد الجيش الثامن على الخسائر التى منيت بها قوات الألمان المدرعة نتيجة لعدة هجمات جزئية قاموا بها . واضطروه إلى مواجهة آلاياتهم بكامل قواتهم وبذلك أفسدوا خططه المضادة التى كانت تقوم على إجراء الهجوم من الجانبين ولم تنقض ساعات قليلة على هجوم المشاة ليلة واحد واثنين من نوفمبر وقبيل بزوغ النهار حتى كان آلاى من دبابات الحلفاء قد استقر خلف خطوط الألمان كما كانت فرقة مدرعة وآلاى آخر يدفع بهم نحو الغرب . وفى الساعات الأولى من نهار ٢ من نوفمبر كانت معركة الدبابات على أشدها حيث وقعت خسائر فى الجانبين على أن المعركة انتهت وشيكا بهزيمة الألمان وبذلك تم احتلال تل العقاقير فى ليلة ٢ و ٣ من نوفمبر .

أما احصائيات الجيش الثامن فى ٥ من نوفمبر فقد دلت على أن مائتين وستين دبابة ألمانية وإيطالية قد دمرت .

٨ — الجيش المنهزم

الانسحاب — الألمان يتخلون عن حلفائهم الإيطاليين :

تمت هزيمة الألمان بعد معركة المشاة فى ٢٣ من أكتوبر ومعركة الدبابات فى ٢ من نوفمبر . وفى ٢ من نوفمبر بدأت بعض عمليات الانسحاب تظهر بين الوحدات الألمانية على طول الجبهة . وفى ٣ من نوفمبر كان هذا الانسحاب أكثر وضوحا . أما فى الجنوب فلم يكن فى وسع الفرق الإيطالية أن تنسحب بعيداً . إذ تخلى عنهم الألمان وهجروهم بعد هزيمتهم واستولوا على كل عربات الحملة وطرق النقل لاستخدامها فى نقل رجالهم وبذلك كان عسيراً على أى إيطالى أن يفر من الأسر.

تحقق آمال المحور فى احتلال دلتا وادى النيل — قواد المحور فى أرض مصر:

سبقت أفواج عدة من الأسرى الطليان إلى الدلتا التى رابطوا على مقربة منها يأكل صدورهم الأمل فى احتلالها وكذلك الفرقة السادسة عشرة من مشاة الألمان لم تتمكن من الانسحاب ورغم أن الألمان كانوا هم البادئين بالانسحاب عقب المعركة مباشرة فقد أسر منهم أكثر من ٨٠٠٠ أسير منهم القتلى والجرحى وبين الألمان الذين أسروا الجنرال « فون توما » قائد فيلق أفريقيا والجنرال وركهاردت قائد القوات الألمانية وبين الذين أسروا من الطليان قواد فرق بافيا وترنتو . وقد كلفت معركة مصر المحور حوالى ٧٥ ألف جندى و ٥٠٠ دبابة وألف مدفع .

قواد المحور فى أراضى مصر :

٩ — تتبع الجيوش الألمانية

المطاردة :

وعندما انتهت معركة الدبابات بدأ تتبع الجيوش المنهزمة . وفى ٤ من نوفمبر عرف العالم كله من قيادة الشرق الأوسط أن العدو ينسحب انسحاباً تاما . وقد استغرق الأمر ثمانية أيام لتطهير الأراضى المصرية كلها من العدو . وقد خلف العدو وراءه بعض الدبابات والمدافع المضادة للدبابات فى الشمال . وكانت أول محاولة للجيش فى التوقف فى الانسحاب فى فوكة . ولكن الجيوش المنتصرة التى كانت تتبعه أرغمته فى ٦ من نوفمبر على معاودة الانسحاب مرة أخرى . ولاشك أنه كان من حسن حظ الألمان أن يعوق تتبع الحلفاء لهم سقوط الأمطار . ولكن الأرض جفت فى ٩ من نوفمبر وكانت قوات الحلفاء الميكانيكية إذ ذاك فى مرسى مطروح على حين كانت مشاتهم تتقدم إلى سيدى برانى . وفى ١٠ من نوفمبر التحم الحلفاء بمؤخرة الجيش المنسحب فى بقبق بالقرب من سيدى برانى وعاد الألمان إلى الانسحاب وبذلك تم الاستيلاء على حلفاية والسلوم .

تطهير الأراضى المصرية :

وفى ١٢ من نوفمبر كانت الأراضى المصرية كلها قد تم تطهيرها من العدو ، كما تم تطويق الفرق الإيطالية المحصورة فى الجنوب عند منخفض القطارة وأسرها كلها .

وكانت خسائر الألمان خلال الانسحاب عظيمة . فقد كان الجيش الثامن يعثر باستمرار فى الطرق والمسارب على عربات ألمانية مخربة بما فيها من متاع وقد تحطمت تحت ضربات سلاح الطيران . ولم يكن طول المسافة التى اضطروا إلى قطعها مما يحول دون الاستمرار فى ضربهم من الجو . فقد كانت القوات الجوية تتقدم وتحتل المطارات المتقدمة لتقوم منها بغارات واسعة النطاق لتسلب العدو كل قدرة له على الوقوف فى ليبيا أو طرابلس .

نشرت جريدة أخبار اليوم تحت عنوان « تسعة وتسعون فى المائة من أرض مصر . . صحراء » بتوقيع الناقد المجهول .

ما ملخصه :

لو أن كتاباً من الكتب التى وضعها اللواء رفعت الجوهرى عن الصحارى قد ترجم إلى الانجليزية للقى من غير شك أكبر رواج بين قراء هذه اللغة المنتشرين فى بقاع الأرض .

والمؤلف وقد أمضى جزءاً كبيراً من حياته فى الصحراء قائداً لأقسام سياراتها المسلحة وحاكما عسكريا لبعض أرجائها فاستهوته حياتها ولذلك فإنه لم يقف عند حد تكليف وظيفته ليفر منها فى أول وأقرب فرصة إلى أنوار المدن بل جلس خلال هذه الصحراء وعرف من أسرارها الكثير وقدم خلاصة تجاربه الطويلة التى عرضته كثيراً إلى الأخطار والمتاعب فى كتابه الأخير الزاخر بالمعلومات وقد سبق أن أصدر الكتب التالية : « جنة الصحراء » ، « سيوة أو واحة آمون » ، « مشاهدات فى الصحراء الشرقية وسيناء » ، « أسرار من الصحراء الغربية » «عرائس فى الرمال» (الوادى الجديد) «ساحل المرجان مشاهدات فى الصحراء الشرقية والبحر الأحمر» ، ومن العار أن يفد علينا الناس من أنحاء العالم فيرتادوا الصحراء ويتحدثوا عنها ونجهل نحن عنها كل شىء فى حين أنها تؤلف تسعاً وتسعين فى المائة من أراضينا وأشهد أن المؤلف له جرأة فى اختيار الموضوعات التى يعالجها ولا يعنيه الرواج المنتظر لمؤلفاته بقدر ما يلقى بالا إلى أهمية ما يعالجه .

لقد عرف المؤلف كيف يجمع معلوماته الكثيرة فى عبارات بسيطة ووصف مختصر وأن يذكر معلوماته للجميع مقدراً ما فى خدمة بلاده عن هذا الطريق الوعر من شرف ومجد .

الفهرس

****

هيئة قناة السويس

مناقصة عامة

بين مقاولى القطاع العام

تطرح هيئة قناة السويس فى مناقصة عامة عملية انشاء المركز الثقافى والاجتماعى والمتحف والمكتبة بالاسماعيلية ويمكن الحصول على مستندات العملية بالحضور شخصيا الى مقر الهيئة بالاسماعيلية ـ الادارة الهندسية (المشروعات) وذلك نظير دفع مبلغ ثلاثين جنيها .

وتقدم العطاءات باسم السيد / رئيس هيئة قناة السويس (الادارة الهندسية) فى ميعاد أقصاه الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الاثنين ٢٥ من نوفمبر سنة ١٩٦٣ مصحوبة بتأمين ابتدائى قدره خمسة آلاف جنيه ولن يلتفت الى أى عطاء يقدم بعد هذا الموعد أو غير مصحوب بالتأمين الابتدائى المذكور .



المؤلف

من خريجى الكلية العسكرية عام ١٩٢٠ ، وقد أمضى شطرا كبيرا من حياته فى الصحراء وقدم خلاصة تجاربه فى عدة كتب زاخرة بالمعلومات الطريفة منها (جنة الصحراء) و (عرائس الرمال) و (شريعة الصحراء) و (مشاهدات فى صحراء سينا والصحراء الشرقية) ، ثم هذا الكتاب الطريف الذى يجده القارىء الآن بين يديه .

هذا الكتاب

ان عهدا جديدا من العمل الصالح البناء يسود الآن مناطق الصحراء . وهذا الكتاب محاولة موفقة للتعريف بعالم الصحراء الغامض ، وجلاء كثير من خوافيها من النواحى الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والثقافية .



العـــدد ٨٥

الثمن ٢٥ قرشا

الدار القومية للطباعة والنشر